الحراك الشعبي أمام تحدي تجديد الصيغة اللبنانية

ص5

عزالدين ميهوبي

رومانسي يعزف على أنغام الجزائر

ص8

ربع قرن على غياب المفكر العربي الأجرأ الصادق النيهوم

ص10، 11، 12

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/11/10

13 ربيع الأول 1441

السنة 42 العدد 11524

Sunday 10/11/2019

42nd Year, Issue 11524

رئيس الوزراء العراقي يريد انتفاضة على مقاس إيران وميليشيا الحشد

عبدالمهدي يأذن بـ«استخدام ما يلزم من الوسائل» للسيطرة على الوضع

بغداد – غيّر عادل عبدالمهدي، رئيس الوزراء العراقي، خطابه من التعاطف مع المتظاهرين إلى التجاهل التام لهم. وعلى العكس فقد ركز عبدالمهدي في خطابه الأخير على الجوانب الأمنية لحركة الاحتجاج، بهدف ترسيخ فكرة أنها مخترقة، وموجهة من الخارج، وليست مشروعة، في وقت قال فيه متظاهرون إن عبدالمهدي يريد انتفاضة "سلمية" على مقاس إيران وميليشيا الحشد الشعبي.

ويضيف هؤلاء المتظاهرون أن خطاب عبدالمهدي مليء بعبارات التهديد والردع للمحتجين، من دون أن يمنح لنفسه فرصة سماعهم.

ويسعى رئيس الوزراء العراقي من خلال التحريض على الانتفاضة إلى فضّ الاعتصامات ودفع المتظاهرين إلى إخلاء الساحات، وسط تسريبات عن خطة أعدتها إيران والميليشيات الحليفة لها لاستعادة الجسور وتقليص هامش الانتفاضة مقدمة لمواجهتها بالقوة.

وسخر نشطاء عراقيون من تعهدات عبدالمهدي بـ"منع أي سلاح خارج الدولة واعتبار أي كيان مسلح يعمل خارج سيطرة الدولة غير قانوني"، متسائلين هل السلاح المقصود سلاح الحشد الذي يتحكم برقبة رئيس الوزراء العراقي وكل أعضاء حكومته، أم هو سلاح مجهول يراد إلصاقه بالمتظاهرين لإضفاء شرعية على مواجهتهم بالعنف.

ويعتقد هؤلاء النشطاء أن عبدالمهدي، الذي أسعفته إيران بالبقاء على رأس الحكومة خوفا من سقوط مدوّ للعملية السياسية، يريد أن يرد لها الجميل من خلال مساعيه لإسكات المحتجين وتنفيذ خطط لإجبارهم على إخلاء الساحات العامة، فضلا عن استعمال قوات الأمن العنف ضدهم وإيقاع المئات بين قتلى وجرحى في صفوفهم.

وهدد رئيس الوزراء العراقي المتظاهرين بالسجن، محمّلا عددا منهم مسؤولية حرق المقرات والاعتداء على الأملاك العامة والخاصة دون إشارة إلى مسؤولية الميليشيات عن قتل المحتجين.

«المسيرة الخضراء» مسيرة مستمرة

خيرالله خيرالله

ص4

ودعا عادل عبدالمهدي، المتظاهرين إلى المحافظة على سلمية الاحتجاجات، متوعّدا المخالفين بعقوبات صارمة تصل إلى السجن المؤبد.

وقال بيان لمكتب عبدالمهدي، صدر في وقت متأخر، الجمعة، إن "التظاهرات صاحبتها أفعال إجرامية وإرهابية وبشكل واضح للعيان، بغية النيل من هيبة الدولة وإضعاف مقدراتها، وتستهدف شعب العراق وأمنه".

وأضاف أن "هذه الأفعال لا تمت إلى الممارسات الديمقراطية بصلة، مثل جريمة القتل العمد ضد المواطنين والقوات الأمنية"، مشددا على أن "عقوبة جريمة التهديد بارتكاب جناية ضد المواطنين الأبرياء والقوات الأمنية، السجن لفترة لا تزيد عن سبع سنوات".

وأشار إلى أن "جريمة منع موظفي الدولة عن القيام بواجباتهم، عقوبتها الحبس لفترة لا تزيد عن ثلاث سنوات".

وأوضح أن "جريمة تخريب أو هدم أو إتلاف أو احتلال مبان أو أملاك عامة مخصصة للدوائر أو المصالح الحكومية أو المرافق العامة أو منشآت الدولة، ومنها المواصلات والجسور عقوباتها تكون شديدة".

ويريد رئيس الوزراء العراقي، الذي كان على شفا الإقالة، أن يظهر لإيران أنه قوي، ولذلك يسابق الزمن لضمان انسيابية العمل الرسمي، الأحد، في بغداد وبقية المحافظات.

ويريد عبدالمهدي أن يحصر الاحتجاجات في ساحة التحرير وسط بغداد، ليضمن أن تكون الحركة طبيعية أو شبه طبيعية في باقي مناطق العاصمة.

ويدرك المتظاهرون هذه الحقيقة جيدا، لذلك يضربون عبدالمهدي في خاصرته الرخوة، من خلال مهاجمة مداخل الجسور في جانب الرصافة، فسرعان ما تتعطل الحركة عند مداخل الجسور الواقعة في جانب الكرخ.

ويستخدم المتظاهرون عادة الإطارات المستعملة في غلق الجسور والطرق، إذ يضرمون النار في عدد منها، ويضعون أمامها ما لديهم من حجارة وخردوات.

حدث هذا في جسور السنك والأحرار والشهداء والباب المعظم، لكن القوات الأمنية قررت أن تدافع عن الجسر الأخير بشراسة، لأنه يقع في منطقة حيوية، ويمكن أن يؤدي قطعه إلى شلل في حركة مناطق قلب العاصمة العراقية.

وأبلغت مصادر رفيعة "العرب"، بأن عبدالمهدي أقر، الجمعة، خطة تقضي باستعادة جميع الجسور التي يسيطر عليها المتظاهرون، باستثناء جسر الجمهورية الرابط بين ساحة التحرير والتقاطع المؤدي إلى السفارة الإيرانية شمالا والمنطقة الخضراء جنوبا.

وقالت المصادر إن الخطة تنصّ على "استخدام ما يلزم من الوسائل" لتفريق المتظاهرين عند مداخل الجسور حتى تكون جاهزة لأسبوع عمل طبيعي.

وتطبيقا لهذه الخطة، هاجمت قوات مكافحة الشغب، فجر السبت، حشود المتظاهرين المتجمهرين عند مدخل جسر السنك من ساحة الخلاني، وسيطرت على الموقع بضع ساعات، بعد استخدام القنابل الصوتية والمسيلة للدموع.

مطالبة التظاهرات بالسلمية لعبة جديدة للإجهاز عليها

ص4

المحتجون يتحدون لاءات عبدالمهدي

ارتباك أميركا في سوريا بين الانسحاب وحماية حقول النفط

واشنطن – وضع الرئيس الأميركي دونالد ترامب قوات بلاده في سوريا في وضع صعب بعد إعلان الانسحاب من سوريا والتراجع عن ذلك سريعا، في خطوة عكست حجم الارتباك في استراتيجية البيت الأبيض. كما أنها أظهرت أميركا في صورة من يسعى لسرقة النفط السوري وهزت من مصداقية الحرب على الإرهاب.

ومن شأن هذه الاستراتيجية المرتبكة أن تهز ثقة الأكراد بالولايات المتحدة، بعد أن تخلت عنهم وتطالبهم الآن بحماية آبار النفط، وهم لا يعلمون إن كانت ستتخلى عنهم مجددا أم أنها تضعهم مجرد حراس على نفط سيعود ريعه لها.

وكان الرئيس دونالد ترامب ندد بـ"حروب لا نهاية لها"، وقرر في السادس من أكتوبر الماضي سحب ألف جندي منتشرين في شمال شرق سوريا لمحاربة الجهاديين.

ولكن بعد مضي فترة شهر، لا يزال عديد القوات الأميركية نفسه تقريبا مع استبدال القوات الخاصة التي غادرت من الشمال بوحدات مدرعة في منطقة دير الزور حيث حقول النفط الرئيسية.

وصرح، الخميس، الضابط في هيئة الأركان الأميركية نائب الأدميرال وليام بيرن خلال مؤتمر صحافي في البنتاغون بـ"أن الانسحاب من المناطق الحدودية مع تركيا مستمر، لقد تم سحب معظم المعدات والعناصر من هذه المنطقة".

وقال بيرن إن المقاتلين الأكراد من الذين شعروا في البداية بأن واشنطن خانتهم، استأنفوا تعاونهم مع القوات الأميركية، وإن البنتاغون يواصل تزويدهم بالأسلحة.

وشدد المتحدث باسم البنتاغون جوناثان هوفمان، في المؤتمر الصحافي نفسه، على أن الانسحاب لم يعد واردا، مؤكدا "نحن مصممون على البقاء في المنطقة"، وأن القوات الأميركية ستبقى في سوريا "طالما كان ذلك ضروريا".

وفي حين يؤكد ترامب أن مهمة الجيش الأميركي حاليا تقضي بحماية حقول النفط، يتعين على مسؤولي البنتاغون تحوير ذلك للتأكيد على أنها ضد الجماعات الإرهابية، كتبرير لتدخل الولايات المتحدة في منطقة أجنبية ضد إرادة حكومتها.

وقال بيرن "لن أقول إن المهمة هي تأمين حقول النفط. المهمة هي إلحاق الهزيمة بداعش. تأمين حقول النفط مسألة تتبع لهذه المهمة، والهدف هو منع داعش من الاستفادة من حقول النفط".

وأضاف هوفمان "لذا، يتعلق الأمر بمنع داعش من الوصول إليها وكذلك السماح للأكراد وقوات سوريا الديمقراطية بالسيطرة على النفط".

وتابع أن الهدف هو "إعطاء الأكراد في المنطقة، وقوات سوريا الديمقراطية مصدرا للدخل وإمكان تشكيل قوة في حملتهم العسكرية ضد داعش".

وقال "إنها ليست مهمة جديدة. يبدو أن الجميع يعتقدون أن الأمر قد تغير، لكنه ليس كذلك".

وفي حين كانت القوات الأميركية تسيطر في السابق على كامل الأراضي السورية شرق الفرات بحماية غطاء جوي والحدود الطبيعية للنهر، أسفر وجود القوات الروسية والتركية والسورية في الشمال عن فتح جبهة جديدة، ما يفسّر إرسال آليات مدرعة.

وقال نائب الأدميرال بيرن "هناك سببان، أحدهما استخدام مركبات تسير بسرعة، والآخر هو حماية قواتنا. إنها مدرعة"، مشيرا إلى أن هذا الخيار كان بسبب "التهديدات".

وردا على سؤال لصحافي عما إذا كانت "الولايات المتحدة تسرق النفط"، أجاب هوفمان أن "الولايات المتحدة لا تستفيد من كل هذا لأن الأرباح تعود إلى قوات سوريا الديمقراطية".

وأضاف التقرير أن القوات الأميركية أخلت أكثر من نصف قواعدها في سوريا خلال "نبع السلام"، إلا أنها عادت مجددا إلى بعض تلك القواعد.

وكشف تقرير لوكالة الأناضول أن القوات الأميركية عادت إلى القواعد التي انسحبت منها في سوريا، وأنها بدأت في بناء قواعد جديدة قرب آبار النفط.

وحسب التقرير فقد كانت القوات البرية الأميركية منتشرة في 22 نقطة داخل سوريا تستخدمها كقواعد ونقاط عسكرية قبل الهجوم التركي في 9 أكتوبر الماضي، كاشفا عن أنها انسحبت من كافة قواعدها ونقاطها في الرقة ومنبج وعين العرب، وأبقت على وجودها في دير الزور الغنية بالنفط، وقواعدها في الحقول النفطية بالحسكة.

وكشفت الوكالة أن القوات الأميركية بدأت في بناء قاعدتين بدير الزور، وأرسلت تعزيزات إلى تلك المناطق بلغ قوامها ما بين 250 و300 جندي، إضافة إلى آليات ومصفحات وراجمات صواريخ.

لماذا روجت صفحة الغنوشي لإشاعة وفاة محمد الناصر

الضغوط تقود النهضة إلى توافق جديد يسحب منها رئاسة الحكومة

تونس – نشرت صفحة راشد الغنوشي، رئيس حركة النهضة، على فيسبوك، في ساعة مبكرة من صباح السبت خبر وفاة الرئيس التونسي المؤقت، محمد الناصر، الذي انتهت مهمته منذ أسابيع قليلة، وهو ما ساهم في انتشار الإشاعة بشكل واسع على مواقع التواصل الاجتماعي وأفاق التونسيون صباحا على وقعها.

واعتبرت نقابة الصحافيين أن نشر الإشاعة على الصفحة الرئيسية لرئيس حركة النهضة، أوقع كثيرا من الصحافيين في فخ إعادة نشر الإشاعة على صفحاتهم الخاصة بفيسبوك.

وأثار نقل صفحة رسمية لشخصية سياسية بارزة إشاعة من الحجم الثقيل تساؤلات بين الفاعلين السياسيين، هل كانت مجرد خطأ أم ضمن خطة أشمل لتخفيف العبء عن حركة النهضة في وقت تتزايد الضغوط عليها بشأن تشكيل الحكومة، ودفعتها إلى القبول بأن تكون جزءا من حكومة كفاءات وتقطع الطريق على مساعيها للهيمنة على الحكومة.

ووصف نشطاء على فيسبوك مغامرة الترويج للإشاعة على صفحة الغنوشي بأن هدفها الرئيسي إحداث ضجة قد تساهم في حرف الأنظار ولو قليلا عن ملف الحكومة، الذي وجد فيه الغنوشي والفريق المعاون له صعوبات كبيرة في إقناع الكتل البرلمانية بالتحالف مع الحركة بسبب سجلها في التحالفات السابقة، وخوفا من خطر وضع يدها على مؤسسات الدولة في حال تمكنت من قيادة الحكومة وحصلت على الحقائب الهامة.

ودأبت النهضة على إطلاق تسريبات وإشاعات مختلفة خلال السنوات الماضية بهدف توجيه اهتمام المتابعين وتخفيف الضغوط عنها، خاصة أن لأنصارها حضورا قويا على مواقع التواصل الاجتماعي.

ورغم النفي الذي يصدر عن بعض القيادات في حركة النهضة بشأن الاتفاق على رئيس حكومة مستقل والدفع نحو حكومة وحدة وطنية يهيمن عليها التكنوقراط، فإن المؤشرات كثيرة على أن هذا هو الخيار الوحيد، وأن اجتماع مجلس الشورى الذي ينهي جلساته، الأحد، هدفه إعطاء تفويض للغنوشي بالتفاوض حول هذه الفرضية.

وقال القيادي في حركة النهضة، وأحد المرشحين لرئاسة الحكومة، عبداللطيف المكي، إنه "لا صحة لما يروج حول ترشيح النهضة لشخصية من خارجها (...) نتفاوض بمعطى واحد وهو ترؤس شخصية نهضاوية للحكومة". وأضاف "لن نتراجع ومستعدون لكل الخيارات الدستورية بما فيها إعادة الانتخابات".

ويعتقد متابعون للشأن التونسي أن تصريحات المكي هدفها تقوية وضعه كشخصية رئيسية في الصراع الداخلي مع الغنوشي على قيادة الحركة، ما يجعله حريصا على إظهار تشدده في مختلف الملفات. لكن أمر الحكومة لم يعد قرارا خاصا بالنهضة وقياديها ومؤسساتها.

وواجهت رغبة النهضة في ترؤس الحكومة رفضا قويا من شركائها المحتملين من بينهم التيار الديمقراطي (22 مقعدا)، وحركة الشعب (16 مقعدا)، وحزب تحيا تونس الذي يقوده رئيس الوزراء الحالي يوسف الشاهد (14 مقعدا).

عبداللطيف المكي

مستعدون لكل الخيارات بما فيها إعادة الانتخابات

وأطلق قياديون محسوبون على الغنوشي تسريبات عن الاستعداد للتنازل عن حق رئاسة الحكومة والتفاوض على وزارات محدودة، بهدف تحضير جمهور "النهضة" لهذا السيناريو.

ويلعب القيادي المثير للجدل لطفي زيتون دورا في هذا المسار من خلال تصريحات يقول فيها إنه "يرفض أن يكون رئيس الحكومة من داخل النهضة".

وسيكون رئيس البرلمان السابق مصطفى بن جعفر ووزيرا المالية السابقان إلياس فخفاخ وفاضل عبدالكافي من بين مجموعة من المرشحين المحتملين إذا توصلت النهضة إلى اتفاق مع شركائها حول حكومة خلال الأيام القادمة.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

غياب غير مسبوق للحزب الحاكم في الجزائر عن الاستحقاق الرئاسي

انقسام داخل جبهة التحرير الوطني على دعم تبون أو بن فليس

الحزب في حالة تيهان سياسي

صابر بليدي

الجزائر – غاب حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم، أكبر القوى السياسية عن القائمة النهائية لمرشحي الاستحقاق الرئاسي، بسبب عدم تقديمه لأي مرشح لخوض الانتخابات الرئاسية المقررة قبل نهاية العام الجاري، رغم وجود مرشحين محسوبين عليه أو مقربين منه، على غرار رئيس حزب طلائع الحريات علي بن فليس، والمرشح المستقل عبدالمجيد تبون.

وكشف المسؤول الإعلامي في حزب جبهة التحرير الوطني محمد عماري، أن الحزب لم يحدد بعد مصير وعائه الانتخابي في الاستحقاق الرئاسي القادم، وأن المشاورات جارية داخل المؤسسات من أجل بلورة موقف نهائي في وقت لاحق.

ويعكس تأخر الحزب المستحوذ على الأغلبية في المجالس النيابية والمنتخبة، حالة الارتباك الداخلي، نتيجة التطورات التي أفرزتها عملية إجهاض مخطط النظام السابق القاضي بالتجديد للرئيس بوتفليقة للمرة الخامس على التوالي، بعد انفجار احتجاجات الحراك الشعبي، وإبطال موعدين للانتخابات الرئاسية، فضلا عن سجن أمينين عامين له، وهما جمال ولد عباس ومحمد جميعي، إلى جانب وزراء ومسؤولين ونواب رجال أعمال محسوبين عليه.

وحال الفراغ القائم في هياكل الحزب والتجاذبات الداخلية دون مواكبة الحزب للتطورات المتسارعة في البلاد، عكس القوى السياسية الأخرى، التي تتقاسم معه نفس الخندق في دعم سلطة الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة، على غرار التجمع الوطني الديمقراطي في البلاد، الذي رشح أمينه العام بالنيابة وزير الثقافة الأسبق عزالدين ميهوبي، لخوض غمار الانتخابات الرئاسية.

وكان المجلس الدستوري (المحكمة الدستورية)، قد أعلن السبت عن سقوط جميع الطعون التي قدمت له من طرف مرشحين لم يقتنعوا بقرار السلطة المستقلة للانتخابات، ليترسم بذلك خوض الانتخابات المذكورة بالمرشحين الخمسة المعلن عنهم، وبرر قراره بـ"افتقاد الطاعنين للمبررات والأدلة الملموسة".

وإذا كان ذلك لا يفيد الحزب الحاكم في شيء، فإنه سيؤشر على وعائه الانتخابي الذي سيكون موزعا بحسب مصادر من داخله بين المرشح المستقل عبدالمجيد تبون، على اعتبار أنه مرشح النظام الأول وينحدر سياسيا من الحزب، وبين رئيس طلائع الحريات علي بن فليس، على اعتبار أنه أيضا ينحدر من صفوفه وكان في مطلع الألفية أمينه العام قبل أن ينشق عنه ويؤسس حزبه الجديد، بسبب خلافاته مع الرئيس السابق بوتفليقة.

وتكون بوادر الانشطار الداخلي في جبهة التحرير الوطني، قد تجلت مع ظهور عناصر قيادية تتجه إلى تجنيد الوعاء الانتخابي لدعم رئيس الحكومة السابق عبدالمجيد تبون، نظرا للقواسم المشتركة بينه وبين جبهة التحرير الوطني وبين النظام السياسي، في حين عبرت عناصر أخرى عن إمكانية دعم رئيس الحكومة الآخر علي بن فليس، لأسباب متشابهة.

ويرى متابعون للشأن الحزبي الجزائري، بأن مساعي الوسطاء الذين يعتزمون تعبئة الحزب من أجل دعم أحد المرشحين أو الاثنين معا، ودفع هيئة المكتب السياسي لبلورة قرار نهائي في هذا الشأن، يصعب عليها التوصل إلى بلورة موقف محدد، في ظل الفراغ المؤسساتي الذي يعيشه الحزب واستحالة التوفيق بين جميع الأجنحة حتى في الأوضاع الطبيعية للحزب.

> **الفراغ القائم في هياكل حزب جبهة التحرير الوطني والتجاذبات الداخلية حالا دون مواكبة الحزب للتطورات المتسارعة في البلاد، عكس القوى السياسية الأخرى**

وكان مناضلون وأنصار من جبهة التحرير الوطني، قد انخرطوا في حملة جمع التوقيعات للمرشح المستقل عبدالمجيد تبون، مما يعيد إلى الأذهان سيناريو انخراط قطاع معتبر من وعاء الحزب في حملة المرشح المستقل في منتصف تسعينات القرن الماضي اليامين زروال، الذي قدمه حينها العسكر كمرشح للسلطة، رغم أن القيادة الرسمية للحزب حينها كانت متخندقة في صفوف المعارضة.

ويحاول قياديون مركزيون ومحليون فرض الأمر الواقع على هيئة المكتب السياسي، لإصدار قرار دعم المرشح عبدالمجيد تبون، من خلال الانخراط المبكر في المناوبات الانتخابية بالعاصمة وفي العديد من الولايات (المحافظات)، فضلا عن دعم وتنظيم ما بات يعرف بـ"المسيرات الشعبية المؤيدة للخيار الانتخابي"، والفاشلة لحد الآن في حشد الشارع الجزائري، من أجل استعادة التوازن مع الرافضين لها.

ورغم أن القيادة السابقة للحزب جردت عبدالمجيد تبون من الغطاء الحزبي في صائفة العام 2017، بعد تنحيته من رئاسة الوزراء، بسبب التجاذبات القوية آنذاك بينه وبين المقربين من جناح الرئاسة بقيادة سعيد بوتفليقة، شقيق ومستشار الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة، وبإيعاز من لوبيات سياسية ومالية تضررت من قرارات تبون، إلا أن التيار الموالي للنظام داخل الحزب لا يولي القرارَ أهمية ويهرول دائما من أجل البقاء قريبا من السلطة.

وفي المقابل يتجه جناح آخر إلى إرساء قطيعة سياسية مع القيادات المتعاقبة على الحزب منذ مطلع الألفية، وبدعوى قطع الطريق على المتورطين في انحرافات نظام بوتفليقة، يدعون إلى دعم المرشح علي بن فليس، قياسا بجذوره الجبهوية ومساره النضالي في الحزب إلى غاية التربع على عرشه في العام 2000، وما تعرض له من إجحاف من طرف الجناح الموالي لبوتفليقة حينها، لتجريده من الحزب.

ويعيش الحزب الحاكم في البلاد حالة من التيهان السياسي غير المسبوق، فبعدما قاد البوصلة السياسية والحزبية في كبريات الاستحقاقات الانتخابية خاصة خلال العشريتين الأخيرتين، اتجه إلى تكرار سيناريو منتصف التسعينات، لما انشطر بين تيار داعم لمرشح المؤسسة العسكرية، وبين تيار مقاطع، وهو الوضع الذي اضطر القيادة حينها إلى الإقرار بترك الحرية للوعاء الانتخابي، والتغيب عن الانتخابات الرئاسية.

حراك مصري- صيني لتحصين العلاقات السياسية

أحمد جمال

القاهرة – نظمت جامعة القاهرة احتفالية السبت، بمناسبة اليوم الثقافي الصيني، شارك فيها عدد كبير من الطلاب والأكاديميين، في خطوة من شأنها الترويج لتدريس اللغة الصينية بالجامعات والمدارس المختلفة في مصر، ما يعزز سعي القاهرة وبكين لتحقيق المزيد من التقارب السياسي والاقتصادي والثقافي بينهما.

وشهدت العلاقات بين البلدين حراكاً متسارعا الأيام الماضية، وتستعد وزارة التربية والتعليم لإجراء استطلاع آراء الطلاب والمعلمين بشأن إمكانية تدريس اللغة الصينية في المدارس الثانوية بدءاً من العام المقبل، في الوقت الذي شاركت فيه نخب ثقافية في افتتاح أول صالون ثقافي مصري مهتم بالشأن الصيني "صالون بيت الحكمة الثقافي" الخميس الماضي.

وتسعى القاهرة لتوظيف كل المكونات لخدمة الاستثمارات الصينية التي تركز على توطين التكنولوجيا الحديثة في القطاعات المختلفة، على رأسها إقامة حي المال والأعمال في العاصمة الإدارية بشرق القاهرة، وإنجاز المنطقة الصناعية في منطقة قناة السويس التي تأخذ أبعادا سياسية تتعلق بالربط بينها وبين مبادرة الحزام والطريق، بحيث لا يؤثر كلاهما على الآخر بالسلب.

وتركز تعاملات الصين مع مصر وغيرها من الدول العربية على الأنظمة الحاكمة بصورة رسمية ولم تستثمر في النخب الثقافية والأكاديمية والإعلامية والسياسية والاقتصادية، وأدركت أهمية ذلك وتسعى لمد جسور الثقة بينها وبين المجتمع المدني المصري حاليا.

يتوقع مراقبون أن تعرف العلاقات الثقافية تطوراً خلال الفترة المقبلة، ارتكاناً على حاجة بكين إلى تحسين صورتها السياسية أمام الشعوب العربية من المجتمع المدني والديمقراطية وحقوق الإنسان. واقتصرت علاقات الصين فترات طويلة على النظر إليها كمورد أساسي للسلع الرديئة، ولذلك عليها إنفاق أموال باهظة لتغيير الحالة المزاجية السياسية تجاهها.

وقالت نادية حلمي، مديرة وحدة دراسات جنوب وشرق آسيا بجامعة بني سويف المصرية، إن القاهرة تسعى لإدراج اللغة الصينية في مناهجها لزيادة حجم التبادل والتعاون المعرفي مع بكين، في خطوة تستهدف ترجمة السياسة المرنة التي اتخذتها مصر تجاه الشرق وعمدت خلالها إلى تعزيز الروابط مع دوله الرئيسية، ما يتطلب توفير أواصر ثقافية توازي الاهتمام بالثقافة الغربية.

وأضافت في تصريح لـ"العرب"، أن صعوبات تعلم اللغة الصينية أحد عوامل عدم التطبيع الثقافي العربي- الصيني، ما يجعل خطوات القاهرة التعليمية والثقافية نحوها تجريبية بالدرجة الأولى، والأمر سوف يحتاج إلى ضخ المزيد من المنح لتهيئة الطلاب وتشجيعهم على دراستها، ما ينطبق بالدرجة ذاتها على المثقفين الذين لا يولون اهتماما كبيراً بترجمة الأعمال الصينية.

وناقش طارق شوقي وزير التربية والتعليم في مصر، مع لياو لي شيانج سفير الصين بالقاهرة، الأسبوع الماضي، إمكانية تدريس اللغة الصينية في المدارس المصرية، وتطرقا إلى تطوير التعاون في مجال التعليم الفني، وتم توقيع عقود تعاون مشترك مع عدد من المصانع الصينية لتدريب الطلاب المصريين هناك.

ولا تخلو هذه الملامح الثقافية والتعليمية من مضامين سياسية، لأن بكين تريد أن تضاعف نفوذها في العالم ولا بد أن تتغلب على المعوقات التي تحول دون ذلك، ومن بينها اللغة.

وشدد أحمد قنديل، الخبير في الشؤون الآسيوية بمركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، على أن الخطوات المصرية الأخيرة تحاول أن تتواءم مع الاهتمام الصيني في ظل وجود فجوة كبيرة بين البلدين، غير أنه وصف هذه التحركات بـ"العشوائية ولا تتركز على فئات معينة بإمكانها أن تكون قادرة على دفع العلاقات بين الجانبين".

وأوضح لـ"العرب" أن تأسيس شراكات سياسية من الضروري أن يأخذ في الاعتبار طبيعة العلاقة بين العمال المصريين والصينيين الذين يعملون داخل الحي المالي والإداري بالعاصمة الإدارية الجديدة، وهو ما تقوم به بعض مراكز الأبحاث المحلية من البلدين في الوقت الحالي، وأن نتائج تلك الدراسات ستكون في شكل توصيات ترفع إلى القيادة السياسية في البلدين.

عماد الأزرق

التعاون السياسي والاقتصادي انعكس على المستوى العسكري

ويتواجد آلاف العمال في المناطق الصناعية التي يعمل فيها الصينيون داخل مصر، وشهدت تنظيم فعاليات ثقافية هدفت إلى التشارك بين الصينيين والعمال المصريين الذين يتواجدون معهم في أكثر من 1600 مصنع تشكل غالبية استثمارات بكين في مصر، والتي بلغت 7 مليارات دولار، ما يشي بأن هناك رغبة صينية في استغلال نفوذها الاقتصادي الهائل، بهدف توسيع نفوذها الثقافي الذي ينعكس مباشرة على تعظيم مكاسبها السياسية.

ويقول متابعون، إن القاهرة تدرك أن علاقات بكين السياسية الجيدة مع كل من تركيا وإسرائيل وإيران، يمكن أن تكون مفيدة لها، حال اقتضت الحاجة إلى وسيط يمهد لحلول سياسية متوازنة خلال السنوات المقبلة، لكن يظل رهينة مدى الفائدة التي ستعود على الصين.

وأكد عماد الأزرق، الباحث المصري في الشأن الصيني، أن الاحتفال بالعام الثقافي المصري الصيني منذ ثلاثة أعوام، كان عنوانا للمزيد من التعاون السياسي والاقتصادي بين البلدين، وهو ما تسعى القاهرة لإعادة تفعيله من خلال جملة من المبادرات مؤخراً، الأمر الذي ظهرت تجلياته في وجود 19 قسما لتدريس اللغة الصينية في الجامعات المختلفة. وأشار لـ"العرب" إلى أن القاهرة تراهن على دور صيني أكبر ضمن خطتها التنموية 2030، وبدت معالم ذلك في زيارات الرئيس عبدالفتاح السيسي السنوية لبكين، وعقد 9 لقاءات مباشرة مع الرئيس شي جين بينج، ما يفتح الباب أمام المزيد من التعاون. ولفت إلى أن التعاون السياسي والاقتصادي انعكس أيضا على التعاون العسكري، بعد أن حصلت مصر على بعض القطع البحرية الصينية للاستفادة منها في قواعدها البحرية في البحر الأحمر، وتوظيف التقنيات الصينية في مجال الطائرات دون طيار.

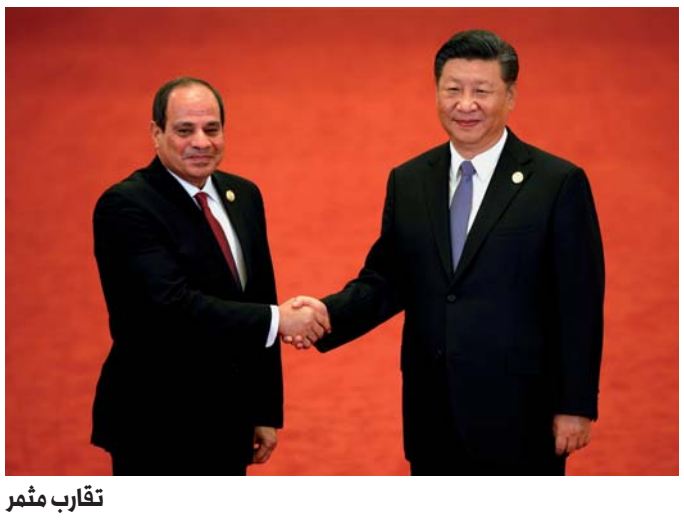

تقارب مثمر

حكومة الوفاق تستنجد بواشنطن لتسوية الصراع

طرابلس – اتهم فتحي باشاغا، وزير الداخلية المفوض بحكومة الوفاق الوطني الليبية، التي تدعمها الأمم المتحدة، روسيا بتأجيج حرب مستمرة منذ أشهر لتمديد نفوذها على منتج النفط الاستراتيجي، داعيا الولايات المتحدة إلى تعزيز جهودها لتسوية الصراع الدائر منذ عام 2011.

ونقلت وكالة "بلومبرغ" للأنباء السبت عن باشاغا قوله في مقابلة أجرتها معه في تونس قبل زيارة واشنطن إن "التعاون لمكافحة الإرهاب مع الولايات المتحدة، الذي أدى إلى سلسلة من الغارات الجوية المدمرة على تنظيم الدولة الإسلامية في سبتمبر الماضي مستمر"، غير أن النزاع الدائر حاليا قد قوض هذه الجهود.

ويرى مراقبون أن حكومة الوفاق الليبية تبحث عن دعم سياسي أميركي لها كحل ينتشلها من المأزق الذي تعيشه خاصة بعد أن عجزت عن عرقلة تقدم الجيش الليبي المدعوم من العديد من الجهات الدولية والعربية في معركة تحرير طرابلس وردا على انتقادات أميركية سابقة طالتها تتهمها بتقصير أمني في ملف الإرهاب.

وكان القائد العام للجيش الليبي المشير خليفة حفتر قد أكد مؤخرا في حوار مع صحيفة "اندبندنت عربية" أن موعد تحرير طرابلس قد حان وسيتم دحر الميليشيات من المدينة عاجلاً وليس آجلاً، لافتا إلى أن الجيش يحارب وفق خطة عسكرية دقيقة تضع في أولوياتها سلامة المواطنين من سكان العاصمة ومنشآت المدينة ومرافقها.

وأوضح حفتر أن الجيش الليبي يعمل على استدراج المجموعات المسلحة خارج العاصمة لتجنيب المدينة الدمار وتجنيب سكانها الأذى، قائلا "نجحنا في ذلك وألحقنا بها خسائر فادحة، وهي الآن تحتضر". وتحاول حكومة الوفاق مغازلة واشنطن التي لا تريد المزيد من التمدد الروسي في مناطق الصراع باتهامها روسيا بإرسالها مرتزقة إلى ليبيا وكانت تقارير إعلامية أميركية قد تحدثت عن ذلك، وهو ما نفته موسكو بشدة. واتهم باشاغا موسكو بأنها تتدخل لصب الوقود على النار وتأجيج الأزمة بدلا من إيجاد حل. والدليل هو نشر مجموعة المرتزقة الروس (فاجنر) في ليبيا".

من جانبه نفى نائب وزير الخارجية الروسي سيرجي ريابكوف، وجود مرتزقة روس في ليبيا، واصفا الأمر بالمزاعم العارية من الصحة. ويعتبر العمل كمرتزقة جريمة في روسيا.

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

رصّ الصفوف سياسيا لمواجهة الاحتجاجات في العراق

مساع لتشكيل تحالف وطني ينقذ السلطة الحالية من مطلب إسقاط النظام

توصلت القوى السياسية في العراق، بحسب ما تقول المصادر، إلى اتفاق على الإبقاء على السلطة الحالية التي تسعى لإنقاذ نفسها والخروج بأقل الأضرار الممكنة من مأزق الاحتجاجات المطالبة بإسقاط النظام، على غرار ما حققته ثورات الربيع العربي، لكن المراقبين يرون أن المتظاهرين العراقيين المنتفضين ضد فساد الطبقة السياسية والمطالبين بالتغيير الجذري لن يرضوا بإجراءات برلمانية أقرب إلى المسكنات من الحلول.

قمع الاحتجاجات بالقوة

بغداد – كشفت مصادر سياسية وإعلامية عن وجود اتفاق بين القوى السياسية في العراق يقضي بالإبقاء على السلطة الحالية وإنهاء الاحتجاجات المطالبة بـ"إسقاط النظام" حتى لو اقتضى الأمر استخدام القوة لتحقيق ذلك.

وواصلت غالبية القوى اجتماعاتها خلال الأيام الأخيرة، بحسب ما أكدته لوكالة فرانس برس كوادر من أحد الأحزاب التي شاركت في الاجتماعات.

وأشار مصدران سياسيان إلى أن "الأحزاب السياسية اتفقت خلال اجتماع ضم غالبية قيادات الكتل الكبيرة على التمسك بعادل عبدالمهدي (رئيس الوزراء) والتمسك بالسلطة مقابل إجراء إصلاحات في ملفات مكافحة الفساد وتعديلات دستورية".

> **الاتفاق بين الأطراف المعنية جاء بعد لقاء قاسم سليماني بمقتدى الصدر ومحمد رضا السيستاني وهو ما تمخض عنه اتفاق على بقاء عبدالمهدي في منصبه**

وأضاف أن الأطراف اتفقت أيضا على "دعم الحكومة في إنهاء الاحتجاجات بكافة الوسائل المتاحة".

ويبدو أن هناك توجها قديما متجددا إلى إعادة ترميم البيت الشيعي على أن يكون بمثابة تحالف وطني، وفق المصادر نفسها.

ولفتت مصادر سياسية أخرى أيضا إلى أن الاتفاق بين الأطراف المعنية "بما فيها سائرون والحكمة" جاء بعد "لقاء الجنرال قاسم سليماني بمقتدى الصدر ومحمد رضا السيستاني (نجل علي السيستاني) والذي تمخض عنه الاتفاق على أن يبقى عبدالمهدي في منصبه".

وأكدت المصادر أن الطرف الوحيد الذي رفض الاتفاق هو تحالف "النصر" بزعامة رئيس الوزراء السابق حيدر العبادي، الذي يرى أن الحل الوحيد للأزمة هو رحيل عبدالمهدي.

وتحدثت المصادر عن انعقاد جلسة برلمانية، السبت خصصت لعمل اللجان على التعديلات الدستورية، بهدف ترجمة ذلك الاتفاق.

لكن المحلل السياسي العراقي أحمد الشريفي استبعد أن "يتمكن البرلمان العراقي من وضع حدّ للمظاهرات من خلال استضافة رئيس الحكومة، لأن الجميع متورطون في قضايا الفساد وسوء الإدارة".

ومع بدء رص الصفوف سياسيا، بدأت القوات الأمنية تتقدم في الشارع. وتمكنت تلك القوات من استعادة السيطرة على ثلاثة جسور من أصل أربعة سيطر عليها المتظاهرون في بغداد.

ورغم أن الأعداد الكبيرة من المتظاهرين تتجمع في ساحة التحرير المركزية للاحتجاجات المطالبة بـ"إسقاط النظام"، فإن المواجهات تدور منذ أيام عدة على أربعة من 12 جسرا في العاصمة.

وتقدم المتظاهرون أولا باتجاه جسر الجمهورية، الذي يصل التحرير بالمنطقة الخضراء التي تضم مقارّ حكومية. ورفعت القوات الأمنية على الجسر ثلاثة حواجز إسمنتية، يقف المتظاهرون عند أولها.

وبعد ذلك، تقدم متظاهرون آخرون في اتجاه جسور السنك والأحرار والشهداء، الموازية لجسر الجمهورية شمالا.

وشهدت تلك الجسور الثلاثة ليلا مواجهات بين المتظاهرين والقوات الأمنية التي صدتهم.

وقامت القوات العراقية صباح السبت، بإطلاق قنابل الغاز المسيل للدموع في اتجاه المتظاهرين المتجمهرين بشارع الرشيد وسط العاصمة. وقال أحد المتظاهرين المتواجدين على جسر السنك "أيقظتنا القوات الأمنية عند الثانية فجرا". وأضاف الشاب الملثم "أطلقوا القنابل الصوتية وصرخوا فينا: هيا تعالوا اعبروا.. الأمور ليست جيدة لكننا باقون حتى إيجاد حل".

ودعا المرجع الديني الشيعي الأعلى آية الله العظمى علي السيستاني، الجمعة، القوات الأمنية والمتظاهرين إلى ضبط النفس وعدم استخدام القوة.

لكن متظاهرا آخر قال إن "المرجعية قالت أمس: لا تضربوا.. لا رصاص حي ولا شيء آخر"، وتابع "لكنهم اليوم ضربونا، قالوا عنا: مندسين وبعثيين، ولكن نحن لا نملك أي شيء".

وإلى أقصى الجنوب، في محافظة البصرة الغنية بالنفط، استخدمت القوات الأمنية الرصاص الحي ضد المتظاهرين المتوجهين إلى مبنى مجلس المحافظة. وأسفر ذلك عن مقتل ثلاثة أشخاص وسقوط العشرات من الجرحى، بحسب مصادر طبية.

أما بالنسبة إلى المخيمات التي أقامها المحتجون في ساحات بغداد ومدن الجنوب، فقد فضتها القوات الأمنية بالقوة في البصرة، ورمتها بالقنابل المسيلة للدموع في مدينة كربلاء المقدسة لدى الشيعة.

ومع استمرار قطع الإنترنت قسريا في البلاد منذ بداية الأسبوع، بدأ العراقيون يتخوفون من الأسوأ، مع عودة ذكرى الأسبوع الأول من الاحتجاجات مطلع أكتوبر إلى الأذهان.

واتسمت الموجة الأولى من الاحتجاجات بين الأول والسادس من أكتوبر بتواجد قناصة على أسطح مبان استهدفوا المتظاهرين، لكن هويتهم لا تزال مجهولة بالنسبة إلى السلطة.

ورجح الشريفي، الذي كان ضابطا في سلاح الجو العراقي، استمرار المظاهرات الاحتجاجية في العراق لكونها جاءت على خلفية فساد وسوء إدارة حكومية وأنها لن تنتهي إلا بتغيير جذري للنظام السياسي في البلاد مستبعدا المراهنة على الزمن لإيقافها.

وأضاف الشريفي، لوكالة الأنباء الألمانية، "الحكومة لا تستطيع تجاوز الأزمة الحالية وأعتقد أن حكومة عادل عبدالمهدي ستنهار ونحن باتجاه حكومة طوارئ لا بد أن تكون مقنعة أو ربما عسكرية تشبه ما جرى في مصر".

وتابع "مشهد المظاهرات العراقية هو أقرب اليوم إلى مظاهرات الربيع العربي، واستخدام القوات العراقية للعنف ستكون له آثار سلبية على مكانة الحكومة دوليا وفي الأمم المتحدة".

وذكر الشريفي أن "الحكومة العراقية لم تعد قادرة على إقناع الجماهير بسلسلة إصلاحاتها بعد انطلاق المظاهرات بدليل أنها لجأت إلى القوة والعنف ضد المتظاهرين وارتفاع حصيلة الضحايا والجرحى إلى أرقام غير مسبوقة".

وشهدت الاحتجاجات، التي انطلقت في الأول من أكتوبر الماضي، أعمال عنف دامية أسفرت عن مقتل نحو 300 شخص ونحو 13 ألف مصاب بحسب إحصائيات للمفوضية العليا لحقوق الإنسان في العراق غالبيتهم من المتظاهرين المطالبين بـ"إسقاط النظام".

وقال "هناك علامات استفهام حول نوعية المقذوفات التي تستخدمها القوات الأمنية ضد المتظاهرين من حيث الشكل والوزن والتأثير".

وأضاف أن سقوط عدد كبير من الضحايا "بين المتظاهرين، برصاص القوات العراقية، هو علامة خطيرة، وتتحمله الحكومة العراقية، حتى وإن أكدت أنها لم تعط الأوامر للقوات الأمنية باستخدام السلاح الحي لأنه في كل الأحوال ما يجري يؤكد أن هناك قوات غير منضبطة تقوم بهذه الأعمال الخطيرة وهذا لا يسقط مسؤولية النظام السياسي في هذا الشأن".

وذكر أن "محركات المظاهرات العراقية اليوم ليست بمطلب جماهيري بعينه حتى تتمكن الحكومة من حله، وإنما المؤثر الحالي هو المطالبة بتغيير أقرب ما يكون إلى ما شهدته البلاد العربية في الربيع العربي".

ولأول مرة في تاريخ العملية السياسية في العراق بعد عام 2003، تشهد البلاد مظاهرات شعبية متواصلة منذ بداية الشهر الماضي تطالب بإقالة الحكومة وحل البرلمان وتعديل الدستور.

البرلمان العراقي يناقش تعديل قانون الانتخابات المحلية

بغداد – ناقش مجلس النواب (البرلمان) العراقي، السبت، تعديل قانون الانتخابات المحلية المزمع إجراؤها في أبريل المقبل.

وكانت الحكومة قد اقترحت تعديل قانون انتخابات مجالس المحافظات والأقضية (الانتخابات المحلية).

والقوانين التي تنظم الانتخابات العامة والمحلية في مرمى انتقادات واسعة من قبل المحتجين العراقيين الذين يقولون إنها مفصّلة لديمومة سيطرة الأحزاب النافذة على حساب الكتل الصغيرة والمستقلين.

كما ناقش البرلمان تعديل قانون التقاعد، ومقترح قانون إلغاء امتيازات مسؤولي الدولة. وقانون إلغاء امتيازات مسؤولي الدولة اقترحته الحكومة الشهر الماضي، لتقليص الفجوة في الرواتب بين المسؤولين الرفيعين وبقية الموظفين الآخرين، كما يهدف إلى إلغاء امتيازات منها مخصصات مالية كبيرة للسكن والإيفادات وتأمين الحماية.

وسيواصل البرلمان في الجلسات المقبلة مناقشة القوانين المذكورة قبل أن يصوّت على فقراتها لتصبح قوانين نافذة.

وتأتي مناقشة هذه القوانين في إطار مساعي البرلمان لتلبية مطالب الاحتجاجات المناوئة للحكومة والمتواصلة منذ أكثر من أسبوعين.

ودعا رئيس البرلمان محمد الحلبوسي، الأمانة العامة لمجلس النواب إلى مخاطبة الأمانة العامة لمجلس الوزراء من أجل الإسراع في إرسال ميزانية العام المقبل من أجل مناقشتها وإقرارها. وقال الحلبوسي "نرفض رفضا قاطعا استخدام العنف المفرط ضد المتظاهرين".

وأشار إلى أنه سيطلق "مبادرة وطنية تجمع السلطات الثلاث والأكاديميين والمراجع الدينية والطيف الاجتماعي، لمعالجة المشكلات، ووضع المطالبات الشعبية بالحقوق والواجبات اللازم على السلطات تنفيذها وإشراك الأمم المتحدة وفق جدول زمني وبعمل جدي"، دون المزيد من التفاصيل.

البرهان يدعو الشعب السوداني إلى مساندة الحكومة الانتقالية

الخرطوم – حذر رئيس مجلس السيادة الانتقالي الفريق أول عبدالفتاح البرهان، السبت، من أن السودان يمر بمرحلة حرجة جدا، داعيا إلى دعم الحكومة الانتقالية إلى تجاوز المرحلة الراهنة.

وجاء ذلك خلال خطاب جماهيري بثه التلفزيون الرسمي من مدينة شندي بولاية نهر النيل (شمال)، خلال تسلم البرهان وثيقة صلح قبلي، بحضور وزراء من الحكومة الانتقالية.

وحكومة عبدالله حمدوك الراهنة هي أول حكومة في السودان منذ أن عزلت قيادة الجيش، في 11 أبريل الماضي، عمر البشير من الرئاسة (1989– 2019)؛ تحت وطأة احتجاجات شعبية منددة بتردي الأوضاع الاقتصادية.

وأضاف البرهان "لدينا مشكلات في الوقود والخبز وفي كل شيء، لا بد أن نعمل سويا بيد واحدة وبقلب واحد، وما عندنا همّ غير إخراج السودان من مشكلاته".

ويعاني السودانيون صعوبات اقتصادية عديدة، وثمة صفوف سيارات مكتظة أمام محطات الوقود بسبب نقصه، وكذلك صفوف للحصول على الخبز في البعض من الولايات بينما انفرجت الأزمة نسبيا في الخرطوم، ويسجل الجنيه هبوطا مستمرا أمام الدولار، حيث بلغ سعره في تداولات الأسواق الموازية 80 جنيها.

ودعا الشعب السوداني إلى مساندة الحكومة الانتقالية ومحاربة مهربي الوقود والدقيق حيث قال "لجان الأحياء (لجان الثورة) لها دور كبير في مراقبة حصص الخبز والوقود، أي زول (شخص) ما عنده خير لا بد أن تقفوا ضده، لنحمي الثورة".

وتابع "نريد أن ننقذ البلد؛ لأنها تمر بمرحلة حرجة جدا، ونفوت الفرصة على المتربصين، ونوفر العيش ونحارب الفساد والمحسوبية والاحتكار وكل عادة سيئة كانت تمارس في الماضي".

ومضى البرهان قائلا "نحن جادين لإخراج بلدنا من الظلم والفساد.. الثورة السودانية تحتاج جهدكم جميعا، لا بد أن تلتفوا حول حكومة الفترة الانتقالية".

وبدأت في 21 أغسطس الماضي فترة انتقالية من 39 شهرا تنتهي بإجراء انتخابات، ويتقاسم خلالها السلطة كل من الجيش وقوى "إعلان الحرية والتغيير"، قائدة الحراك الشعبي.

وكان من المقرّر تشكيل البرلمان الجديد المؤلّف من 300 عضو في غضون ثلاثة أشهر من تاريخ إبرام اتّفاق تقاسم السلطة الذي تمّ توقيعه في 17 أغسطس بين قادة الحركة الاحتجاجية والمجلس العسكري الذي تولى السلطة، لكن الحكومة دخلت في محادثات السلام منذ ذلك الحين.

ووافقت الحركة الاحتجاجية، الخميس الماضي، على إرجاء تشكيل البرلمان لما بعد توصّل الحكومة الانتقالية إلى اتفاق سلام مع الحركات المسلحة المتمردة في ثلاث مناطق حدودية.

وقال البرهان إن الحكومة تسعى إلى تحقيق السلام، ووجه رسالة إلى قيادات الحركات المسلحة المتمردة قائلا "تعالوا.. مرحبا بكم لتشاركوا في بناء السودان". وتستضيف جوبا، عاصمة دولة جنوب السودان، في 21 نوفمبر الجاري، مفاوضات تهدف إلى إحلال السلام بين الحكومة و"الجبهة الثورية" السودانية، وهي تضم ثلاث حركات مسلحة.

وجعلت حكومة حمدوك من التوصّل إلى اتفاق سلاما ينهي الصراع في مناطق الحرب الثلاث في البلاد أولوية. وقُتل المئات من الآلاف وشرّد ملايين آخرون منذ حملت مجموعات من أقليات عرقية في مناطق النزاع الثلاث السلاح ضدّ حكومة الرئيس المخلوع البشير –والمسجون حاليا في الخرطوم بتهم فساد– الذي ردّ على التمرّد بالحديد والنار.

والبشير نفسه مطلوب من قبل المحكمة الجنائية الدولية ومقرّها لاهاي بتهم الإبادة الجماعية وارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في إقليم دارفور.

من جهته، قال وزير الشؤون الدينية، نصرالدين مفرح، في كلمة له، "نحن أسرة واحدة ونعمل مع بعضنا البعض؛ مدنيين وعسكريين، لإنجاز مهام الفترة الانتقالية ولصنع مستقبل الوطن ولنضع أساسا للحكومة المنتخبة القادمة".

ودعا مفرح لجان المقاومة في الأحياء (لجان الثورة) لتغيير اسمها إلى لجان التغيير والخدمات وتقديم خدماتها إلى المواطنين عبر مبادرات لتنظيف الشوارع وإنارة الأحياء، إضافة إلى تفعيل دورها الرقابي.

وتناقلت وسائل إعلام دولية، الجمعة، تصريحا منسوبا إلى وزير المالية السوداني، إبراهيم البدوي، قال فيه إن السودان بحاجة لنحو 5 مليارات دولار دعما للميزانية؛ ما يجعله يجهز لإلغاء دعم الوقود والأغذية.

وتشمل السلع المدعومة في السودان: المحروقات (البنزين، الجازولين، وغاز الطبخ)، إضافة إلى القمح والأدوية.

> **وزير الشؤون الدينية يقترح على لجان الثورة تغيير اسمها وخدمة المواطنين عبر مبادرات لتنظيف الشوارع وإنارة الأحياء بالإضافة إلى تفعيل دورها الرقابي**

وتبلغ قيمة الدعم الحكومي للمحروقات مليارين و250 مليون دولار سنويا، فيما يصل دعم القمح إلى 365 مليون دولار، حسب إحصاءات حكومية سابقة.

ويأمل السودانيون في أن تنجح الحكومة في إنهاء معاناتهم الاقتصادية والعبور نحو مرحلة استقرار اقتصادي، عبر استثمار موارد طبيعية يزخر بها بلدهم.

وقال وزير المالية السوداني إن ميزانية 2020 ستتضمن أهدافا تنموية مستدامة للتعليم والرعاية الصحية والإنفاق الاجتماعي، ما يشي بأن السودان ربما يتحرك بعيدا عن هيمنة الإنفاق العسكري الذي يخنق التنمية.

عزم على إنقاذ البلاد

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

«المسيرة الخضراء» مسيرة مستمرّة

مسيرة المغرب تتقدم على كل الصعد

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

يتذكّر المغرب في كلّ سنة "المسيرة الخضراء". يعود ذلك إلى مشاركة الشعب المغربي كلّه في استعادة صحرائه التي كانت تحت الاستعمار الإسباني. استطاع المغرب ذلك من دون إطلاق رصاصة واحدة بفضل ما كان الملك الحسن الثاني يتمتع به من حكمة وحنكة وقدرة على استيعاب التوازنات الإقليمية والدولية إبان الحرب الباردة وفي مرحلة ما بعد سقوط جدار برلين وانتهاء هذه الحرب في مثل هذه الأيام من العام 1989.

هذه السنة ارتدى احتفال المغرب بالذكرى الـ44 لـ"المسيرة الخضراء" نكهة خاصة في ضوء ما تشهده منطقة شمال أفريقيا من تطورات أكدت أن المملكة كانت وستظل واحة سلام. الأهم من ذلك كلّه أن المناسبة وفرت فرصة لتأكيد أن الحقّ يبقى حقّا وأنّه يعلو ولا يُعلى عليه، خصوصا عندما يكون هناك من يرفع لواءه مثل الملك محمّد السادس الذي أثبت مرّة أخرى أن القافلة المغربية تتابع مسيرتها نحو مزيد من التقدّم على كلّ الصعد.

هذه السنة ارتدى احتفال المغرب بالذكرى الـ44 لـ«المسيرة الخضراء» نكهة خاصة في ضوء ما تشهده منطقة شمال أفريقيا من تطورات أكدت أن المملكة كانت وستظل واحة سلام

لم تعد الصحراء المغربية مجرّد قضية استطاع المغرب أن يحسمها لمصلحته بفضل الجهود الدؤوبة التي بذلها منذ العام 1975، بل منذ ما قبل ذلك بكثير. صارت الصحراء بمثابة دليل على "قدرة المغاربة، ملكا وشعبا، على رفع التحديات التي تواجه الأمة". وتحوّلت "المسيرة الخضراء" إلى "مسيرة دائمة". وكما يقول العاهل المغربي في خطابه الأخير إنّ "الروح التي مكنت من استرجاع الصحراء، سنة 1975، هي التي تدفعنا اليوم، للنهوض بتنمية كل جهات المملكة. وهذا ما ينطبق على أقاليمنا الجنوبية، التي تعتبر صلة وصل بين المغرب وأفريقيا، على الصعيد الجغرافي والإنساني والاقتصادي".

من قضيّة تستخدم من جهات معروفة للإساءة إلى المغرب وابتزازه، أصبحت الصحراء أكثر من مفيدة على صعيد لعب دور في إطار الفضاء الأفريقي الذي يعمل المغرب على تطويره. لذلك قال محمّد السادس: "لقد مكنت المسيرة الخضراء، من استرجاع المغرب لأقاليمه الجنوبية. منذ ذلك الوقت، تغيرت خريطة المملكة، ولم نستوعب أن الرباط صارت في أقصى الشمال، وأكادير هي الوسط الحقيقي للبلاد. فالمسافة بين أكادير وطنجة، هي تقريبا المسافة نفسها، التي تفصلها عن الأقاليم الصحراوية. ليس من المعقول أن تكون جهة سوس – ماسة في وسط المغرب، وبعض البنيات التحتية الأساسية، تتوقف في مراكش، رغم ما تتوفر عليه المنطقة من طاقات وإمكانات. لذا، فإننا ندعو للتفكير، بكل جدية، في ربط مراكش وأكادير بخط السكة الحديدية، في انتظار توسيعه إلى باقي الجهات الجنوبية ودعم شبكة الطرق، التي نعمل على تعزيزها بالطريق السريع، بين أكادير والداخلة. وسيساهم هذا الخط في فك العزلة عن هذه المناطق وفي النهوض بالتنمية وتحريك الاقتصاد لاسيما في مجال نقل الأشخاص والبضائع ودعم التصدير والسياحة وغيرها من الأنشطة الاقتصادية. كما سيشكل رافعة لخلق العديد من فرص الشغل ليس فقط في جهة سوس وإنما أيضا في جميع المناطق المجاورة. فجهة سوس – ماسة يجب أن تكون مركزا اقتصاديا، يربط شمال المغرب بجنوبه، من طنجة شمالا، ووجدة شرقا، إلى أقاليمنا الصحراوية، وذلك في إطار الجهوية المتقدمة والتوزيع العادل للثروات بين جميع الجهات. فالمغرب الذي نريده، يجب أن يقوم على جهات منسجمة ومتكاملة تستفيد على قدم المساواة من البنيات التحتية ومن المشاريع الكبرى التي ينبغي أن تعود بالخير على كل الجهات".

بالنسبة إلى ملك المغرب، باتت هناك في أيامنا هذه فرصة للبحث في مستقبل العلاقات بين القوى المختلفة في منطقة شمال أفريقيا وبين هذه المنطقة وكلّ من أوروبا والداخل الأفريقي. لذلك يقول "إن حرصنا على تحقيق تنمية متوازنة ومنصفة بكل جهات المملكة، لا يعادله إلا التزامنا إقامة علاقات سليمة وقوية مع الدول المغاربية الشقيقة. فالوضع الحالي في المنطقة وفي الفضاء المتوسطي يطرح علينا جميعا تساؤلات ويدعونا إلى التحرك الإيجابي نظرا لما يحمله من فرص وتحديات.

- فالشباب المغاربي يطالبنا بفضاء منفتح للتواصل والتبادل.
- وقطاع الأعمال يطالبنا بتوفير الظروف للنهوض بالتنمية.
- كما أن شركاءنا، وبخاصة الأوروبيون، يحتاجون إلى شريك فعال.
- وإخواننا الأفارقة جنوب الصحراء، ينتظرون مساهمة بلداننا في البرامج والتحديات الكبرى للقارة.
- وأشقاؤنا العرب يريدون مشاركة المغرب الكبير في بناء نظام عربي جديد.

إن الآمال والانتظارات كبيرة، والتحديات كثيرة ومعقدة. وما يبعث على الأسف هو أن البعض لا يتعامل معها بجدية. والحقيقة أن عدونا المشترك هو الجمود وضعف التنمية، التي تعاني منها شعوبنا الخمسة (الشعوب العربية في شمال أفريقيا).

كشفت الأيام أن المغرب كان مصيبا في كلّ ما طرحه. لم تأت "المسيرة الخضراء" من فراغ، بل في أساسها حقوق تاريخية ثابتة. ففي خطابه في ذكرى "المسيرة الخضراء"، تطرّق محمّد السادس في العام 2017 إلى الارتباط التاريخي بين المغرب والصحراء. قال في هذا المجال إنه "قبل تسجيل قضية الصحراء في الأمم المتحدة عام 1963، وفي الوقت الذي لم تكن فيه أي مطالب بخصوص تحرير الصحراء، باستثناء المطالب المشروعة للمغرب، بل وقبل أن تحصل الجزائر على استقلالها (في 1962) قبل كلّ هذا، أكّد جدنا (الملك محمّد الخامس)، آنذاك، الحقوق التاريخية والشرعية للمغرب في صحرائه حين قال أمام ممثلي القبائل الصحراوية وشيوخها الذين قدّموا له البيعة في محاميد الغزلان: "نعلن رسميا وعلانية أننا سنواصل العمل من أجل استرجاع صحرائنا في إطار احترام حقوقنا التاريخية وطبقا لإرادة سكانها".

للتذكير فقط، كانت زيارة محمّد الخامس لمحاميد الغزلان، على تخوم الأقاليم الصحراوية التي كانت وقتذاك تقع تحت سلطة المستعمر، في العام 1958. هذا يعني أن المغرب يناضل منذ خمسينات القرن الماضي من أجل استرجاع أراضيه وتثبيت وحدته الترابية. ظلّ نضاله على أسس صلبة وليس على مجرّد أوهام مبنية على شعارات فارغة من نوع "حقّ تقرير المصير للشعوب" استخدمتها الجزائر للمتاجرة بالصحراويين. لم تتمنّ الجزائر لهؤلاء يوما سوى العيش في بؤس منطقة تندوف بدل أن يكونوا مواطنين معززين مكرمين يتمتعون بكلّ حقوقهم في الأقاليم الصحراوية مثلهم مثل أيّ مواطن مغربي.

ارتدّت سياسة إيذاء المغرب على الذين يقفون خلف هذه السياسة. ما أثبته خطاب الملك محمّد السادس في الذكرى الـ44 لـ"المسيرة الخضراء" أنه لا يصحّ إلّا الصحيح وأنّ الصحراء المغربية صارت واقعا. صارت أرضا مغربية تلعب دورها في التكامل بين المناطق المغربية المختلفة. كما أنّ محمّد السادس على حقّ عندما يقول إن "المسيرة الخضراء" إنّما هي "مسيرة دائمة". إنّها مسيرة بلد بكامله فضّل التعلّق بكل ما هو حضاري في هذا العالم بعيدا عن أيّ عقد من أي نوع كان.

مطالبة التظاهرات العراقية بالسلمية لعبة جديدة للإجهاز عليها

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

في محاولة لإخراج حكومة عادل عبدالمهدي والأحزاب القائدة للعملية السياسية من أزمتها الحالية تحاول إيران عن طريق ممثلها الجنرال قاسم سليماني تقديم خبراتها الطويلة في حروب قمع الشعوب رغم تعقيدات وخصوصيات الأزمة العراقية التي وصلت إلى مأزق مغلق. ثمة لعبة جديدة يتم الاشتغال عليها حالياً لتوظيف شعار "السلمية " الذي رفعه المتظاهرون في انتفاضتهم من الأول من أكتوبر الماضي وتصوير المشهد على النحو التالي: قطاع كبير من المتظاهرين يمارس الأسلوب السلمي للمطالبة بحقوق مشروعة من قبل الحكومة التي تؤيد تلك المطالب المحدودة، فيما يوجد قطاع آخر مدسوس يستخدم العنف المسلح ضد القوات الأمنية، وهذا التفسير المغرض عبر عنه رئيس الوزراء عادل عبدالمهدي حين قال في أحد خطاباته بأننا نواجه في التظاهرات جيشاً منظماً له قيادة ومنتسبون يرتدون الملابس العسكرية و"الخوذ "، فيما لم يعرض على الشعب ما يؤيد مثل هذه المزاعم التي يكذبها الجمهور المنتفض في ساحة التحرير ببغداد أو ساحات المحافظات الأخرى.

إن خرق السلمية قد حصل من قبل القوات العسكرية والأمنية والنتائج هي مقتل ما لا يقل عن 269 متظاهرا وجرح أكثر من خمسة عشر ألفا، حسب تقارير منظمات حقوق الإنسان المحلية، التي اتهمها الناطق باسم القائد العام للقوات المسلحة بأنها "مسيّسة"، وكذلك منظمة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة التي أصدرت في الثامن من الشهر الجاري تقريرها الصادم وتوصياتها إلى حكومة بغداد "بضرورة ضمان التزامها بحماية ممارسة الحق في التجمع السلمي وهذا يعني اتخاذ خطوات وقائية لحماية المتظاهرين من العناصر المسلحة، وكذلك إصدار تعليمات واضحة لقوات الأمن بالالتزام بالمعايير الدولية المتعلقة باستخدام القوة، بما في ذلك على سبيل المثال الحظر الصريح لإطلاق النار واستخدام قنابل الغاز المسيل للدموع مباشرة ضد المتظاهرين".

في المواجهة الحاصلة حالياً هناك طرفان، الأول جمهور الانتفاضة السلمية المتمركز حالياً في العاصمة بغداد والبصرة وكربلاء والناصرية، والطرف الثاني الأجهزة الأمنية والعسكرية الحكومية وقوات متخفية من الميليشيات حيث يتساءل العراقيون مثلا عن القوات الإيرانية التي دخلت الأراضي العراقية عشية الاحتفال بأربعينية "الحسين" بكربلاء وتعدادها 2700 من قوات مكافحة الشغب الإيرانية وفق تصريحات حكومية، ولم يلاحظ المراقبون خروجها من العراق كما لم تعلن الجهات الرسمية الإيرانية ذلك.

الطرف الحكومي الذي يمارس قمع المتظاهرين يمتلك إمكانيات لوجستية هائلة هي إمكانيات دولة من أسلحة فتاكة وقنابل مسيلة للدموع قاتلة للبشر لمواصفاتها الخطرة، وكذلك رجال عسكريون مدربون ضمن القوات الأمنية وجهاز مكافحة الشغب، وآخرون يختفون تحت الأقنعة والملابس السوداء لديهم تجربة الحرس الثوري الإيراني في قمع الشعب السوري واليمني والشعوب الإيرانية. وهناك إمكانيات وتقنيات إعلامية كبيرة مسخرة لتوصيل خطاب شيطنة الانتفاضة الشعبية وتقزيمها إلى مجرد تظاهرات مطالبة ببعض الحقوق، كما تتوفر لدى المؤسسة الحاكمة إمكانيات لقطع الإنترنت عن المواطنين العراقيين بينما هي لديها بوارج خاصة تغذي محطاتها من شبكة الإنترنت والتواصل الاجتماعي للتواصل مع العالم الخارجي، فيما يحرم منها العراقيون، وهي لعبة لا تستخدم إلا في أوقات الحروب وفي أزمات انتفاضات الشعوب الثائرة، أما الشباب المنتفضون فلا يمتلكون في مواجهة جبهة القتل سوى صدورهم العارية وشعارات "نريد وطنا وإيران برة برة" في إصرار على تنفيذ مطالبهم بالتغيير السياسي الشامل.

ولاستكمال اللعبة الجديدة الموازية لأسلوب القمع والقتل الميداني يقوم رئيس الوزراء عادل عبدالمهدي بتنفيذ خطة حماية حكومته من وهج الانتفاضة عبر وعود نظرية بالإصلاح إلى جانب الأحزاب ومؤسسات الحكومة المؤيدة لذلك. هدف الخطوات الجديدة هذه إحداث انقسام وشرخ في الجبهة الشعبية العراقية المنتفضة في مواقعها المختلفة وفي مقدمتها "ميدان التحرير" وخلق إرباك لوجستي وسياسي وانقسام وتخلخل في صفوف المتظاهرين باستغلال الاختلاف في الشعارات ما بين الاستجابة للحكومة ببعض المطالب الجزئية وما بين المطالبة برحيلها ومواصلة التغيير الشامل. ويبدو أن هذه اللعبة الجهنمية لم تحقق أهدافها رغم التكثيف الخطابي من قبل عادل عبدالمهدي والمسؤولين في الأحزاب وبعض المريدين، لكن الوجه الحربي يعبر عنه مثلاً مستشار الأمن الوطني (فالح الفياض) بأن حكومته ستحارب ما وصفه بـ"محاولات إسقاط الدولة"، في إشارة ضمنية منه إلى الاحتجاجات الشعبية التي تشهدها مدن وسط البلاد وجنوبه.

في المواجهة الحاصلة حالياً هناك طرفان، الأول جمهور الانتفاضة السلمية المتمركز حاليا في العاصمة بغداد والبصرة وكربلاء والناصرية، والطرف الثاني الأجهزة الأمنية والعسكرية الحكومية وقوات متخفية من الميليشيات

ويسخر الدكتور ياسين البكري الأستاذ في جامعة النهرين من نظرية العنف المسلح ضد المتظاهرين لتغطية تلك الجريمة بقوله "مطالبة التظاهرات بالسلمية من قبل الخندق المقابل إنكار لحقيقة أنها كذلك، سلمية كانت وما زالت، ومحاولة إنكار وقحة لحقيقة من بادر بالعنف، ومسعى لتمييع وتغييب الفاعل في جريمة قنص المتظاهرين وتورية على أرقام الضحايا، فالمئات من الشهداء والآلاف من الجرحى لم يكونوا نتاج صدامات بينية لمتظاهري ساحات التحرير والتظاهر في بغداد والمحافظات الأخرى، بل كان فعلاً ممنهجاً من قبل السلطة ضد المتظاهرين".

إذا كانت الحكومة تعترف بأن نسبة 98 بالمئة من التظاهرات سلمية فلماذا تقترف هذه الجريمة بقتل المتظاهرين؟

هروب من القنص

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

الحراك الشعبي إزاء تحديات تجديد الصيغة اللبنانية

شارع يبحث عن تغيير حقيقي

د. خطار أبودياب
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للجيوبوليتيك-باريس

تتواصل حركة الاحتجاج الشعبية في لبنان بعد أكثر من ثلاثة أسابيع على انطلاقتها، ومع فشل محاولات الالتفاف والتحوير والاستيعاب تبرز خلاصة واضحة: بقاء الحراك الشعبي والشارع والناس في واد، والسلطة والفئة المتحكمة في واد آخر. ولا يبدو أنهما سيلتقيان.

وبالرغم من فشل محاولات الاستيعاب والتحوير والإخماد، تراهن القوى الأساسية في السلطة على استعادة زمام المبادرة من الشارع خاصة بعد قرار فتح الطرقات، فإذ بثورة الطلاب والابتكار في المبادرات يمنحان "ثورة 17 تشرين الأول/ أكتوبر" زخما جديدا يؤكد ولادة رأي عام من أجل التغيير الحقيقي. في المقابل، تدور المناورات من أجل تجديد التسوية الرئاسية السلطوية في 2016 وكأن الانتفاضة لم تحصل.

غالبية الطبقة السياسية لا تتعامل بجدية مع خطورة المرحلة ووجوب اتخاذ قرارات ملحة، والبدء بتشكيل حكومة إنقاذ اقتصادي وانتقال سياسي، عبر تقصير ولاية مجلس النواب وإعادة إنتاج السلطة وفق قانون انتخابي غير طائفي

هكذا يوجد الحراك الشعبي على مفترق الطريق بين مساعي إنهاكه ومحاولات تقسيمه من جهة وسباق الطبقة السياسية بين الانهيار الاقتصادي وتأليف الحكومة العتيدة. بيد أن الصعوبات الحالية ليست بغريبة لأسباب بنيوية نتيجة التركيبة الطائفية والنيو-الليبرالية المفرطة، إلى جانب وجود لبنان على خط الزلازل الأميركي-الإيراني. لذا لن تنفع المعالجات السطحية والمهدئات ولا بد من شرطين موضوعيين للإنقاذ: النقلة النوعية من الطائفية إلى المواطنة وتحييد لبنان عن لعبة المحاور الإقليمية.

من أجل تفادي الوقوع في مأزق والمراوحة في المكان، تبرز أهمية الاستماع إلى نبض الشارع واعتماد الواقعية في التدرج بتحقيق المطالب من خلال الإسراع في تشكيل حكومة "نظيفة" والشروع في خطوات إنقاذية فعلية. بيد أنه يتوجب الإقرار أنه بالإضافة إلى العوامل المعقدة التي تتحكم عادة في الوضع اللبناني يبرز الآن معطى جديد يتمثل بزخم الشارع وإمكانية استمرارية الدور الرقابي للرأي العام في ظل التجارب السابقة المريرة والقلق من التدهور المالي والاقتصادي. ولذا فإن ارتسام الحل المقبول أو الممكن يتطلب تفاهما بين أصحاب الحل والربط من أهل الحكم مع مراعاة الشارع هذه المرة.

وفي هذا الصدد يبدو أن غالبية الطبقة السياسية لا تتعامل بجدية مع خطورة المرحلة ووجوب اتخاذ قرارات ملحة والبدء بتشكيل حكومة إنقاذ اقتصادي وانتقال سياسي، عبر تقصير ولاية مجلس النواب وإعادة إنتاج السلطة وفق قانون انتخابي غير طائفي. وإذا كان التعديل الحكومي الذي يستبعد وزراء "مستفزين" ورموز فساد، غير ممكن قبل استقالة الرئيس سعد الحريري، يبرز الإشكال اليوم حول طبيعة الحكومة بين حكومة اختصاصيين حيادية غالبا أو حكومة سياسية مطعمة بخبرات وكفاءات. وفي هذا الإطار، كما يمكن أن يكون وجود سعد الحريري على رأس الحكومة حلا، فإنه قد يكون مشكلة في الوقت نفسه، وذلك تبعا لانغماسه في تسوية 2016 مع الرئيس ميشال عون والوزير جبران باسيل بمباركة وإشراف حزب الله.

واللافت أن ابني الشهيدين وسام الحسن ومحمد شطح (من رموز مرحلة 14 آذار الذين قضوا اغتيالا) طالبا أيضا برحيل الحريري. لكن بقاء الرئيس الحريري أو ذهابه لا تتم مقاربته برؤية موحدة من قبل الطرفين الأساسيين في الحكم أي حزب الله (ومعه الرئيس نبيه بري) الذي يبدو حذرا حيال أي تغيير غير مضمون على رأس السراي الحكومي، والتيار الوطني الحر الذي يريد استغلال حراك الشارع للقبض على السلطة وإبعاد فريقي سمير جعجع ووليد جنبلاط من السلطة التنفيذية كي يعبّد جبران باسيل دربه إلى قصر بعبدا مهما كان الثمن. وفي محاولة لصرف الأنظار وربما للضغط على الرئيس الحريري في المفاوضات، يتم التركيز على رؤساء حكومات ووزراء سابقين من الطائفة السنية في نبش ملفات الفساد في انتقائية مكشوفة ومن دون ذكر كل الملفات على طريقة "كلن يعني كلن" يلفت الخبير الاقتصادي المستقل مروان إسكندر الأنظار إلى الفضيحة في قطاع الكهرباء ويحدد أن "التيار الوطني الحر، هو المسؤول الأساسي عن عجز الكهرباء بما يساوي 30 مليار دولار حتى تاريخه دون احتساب الفوائد (...) لأن الوزير باسيل يرغب دائما في انصياع وزراء الطاقة لإرشاداته علما أن وزراء الطاقة منذ 2008 اختارهم جبران باسيل وكان واحدا منهم في سنة العجز الأكبر سنة 2012".

في هذا السياق، يعود الرئيس ميشال عون بالزمان إلى الوراء أي إلى حقبة 1990-1989 عندما عارض اتفاق الطائف وتمسك بالسلطة وحينها تم إضعاف دور المسيحيين تحت وطأة الانقسام والتدخل السوري، ومن دون الاستعانة بالذاكرة التاريخية ودروسها، يصر رئيس "العهد القوي" على تأخير الاستشارات النيابية وضمان التأليف قبل التكليف في خطوة تجاوز وتقويض لاتفاق الطائف وأعرافه تحت ذريعة عدم وجود نص دستوري ملزم، وكأن وضع البلاد المريع يتحمل الترف السياسي والجدل البيزنطي والمماطلة.

من جهته، يحرص حزب الله على التمسك بوجوده داخل الحكومة وهذا من الأسباب الرئيسية المعيقة لتشكيل حكومة تكنوقراط. وقلق حزب الله على موقعه في السلطة يؤخر تشكيل الحكومة ويعمق المأزق في لبنان الذي يعتبره حلقة أساسية من ضمن صراع "اللعبة الكبرى الجديدة" في الإقليم والممتدة اليوم من العراق إلى لبنان.

هناك مغالاة في اعتبار غضب الشعوب صنيعة المؤامرات، لكن بعض التصريحات الأميركية وآخرها للوزير مايك بومبيو تعطي نظرية التآمر عند البعض نسبة من المصداقية. لكن الطبيعي أن يستغل كل خصم أو كل لاعب دولي وإقليمي مجريات الأوضاع لصالحه عند الإمكان. ولهذا يبدو من الطبيعي بالنسبة لبلد مثل لبنان دراسة وضعه الجيوسياسي بإمعان وأهمية بعده العربي وابتعاده عن الارتهان والانخراط في لعبة المحاور ونتذكر أن شعار "لا شرق ولا غرب" كان عماد صيغة ميثاق الاستقلال في العام 1943، ولا بد في القرن الحادي والعشرين من حوار معمق حول سياسة لبنان الخارجية واستراتيجيته الدفاعية، تضمنان ديمومة كيانه.

رأى البعض في يوم 17 أكتوبر احتفالية مبكرة أحيتها نساء لبنان ورجاله قبل موعد مئوية لبنان الكبير في سبتمبر 1920، وذلك من خلال تجديد الثقة بالكيان من بعلبك في البقاع إلى طرابلس في الشمال مرورا بصور وصيدا والجبل وبيروت، ومن خلال لحظة تاريخية نادرة للوحدة في المعاناة والتطلعات. حتى الآن لا يستشعر أهل الحكم خطورة غليان الرأي العام ومخاطر الانهيار الاقتصادي واللعب على عامل الوقت، ومن هنا لا يتوقع تراجع الحراك الشعبي لأن ثمة الكثير الذي تحقق وأدهش العالم، ولا يمكن تكرار الأخطاء التاريخية، من أجل التوصل إلى تحقيق عقد اجتماعي ووطني يجدد الصيغة اللبنانية بعيدا عن التسويات السلطوية والارتهان.

قطاعات حيوية تواجه صعوبات مع استمرار التظاهرات في لبنان

بيروت - مع استمرار التظاهرات ضد الطبقة السياسية وفسادها في لبنان، تسود حالة من الفوضى في الأسواق مع إغلاق محطات وقود أبوابها وارتفاع أسعار سلع أساسية وإشكالات شهدتها المصارف، فيما لم تحرك السلطات ساكناً منذ استقالة الحكومة قبل عشرة أيام.

وإثر لقاء بين رئيس الجمهورية ميشال عون ومسؤولين ماليين ومصرفيين، سعى المجتمعون لطمأنة اللبنانيين، مؤكدين اتخاذهم تدابير لتيسير أمور المودعين المالية لدى المصارف وأن "لا داعي للهلع".

والسبت عاد الآلاف من المواطنين، وعلى رأسهم طلاب المدارس الذين تولوا لليوم الرابع على التوالي زمام المبادرة، إلى شوارع مدن رئيسية عدة ضمن الحراك الشعبي المستمر منذ الـ17 من أكتوبر ضد الطبقة السياسية برمتها.

وتسود حالة من الخوف بين المواطنين غير القادرين على تحصيل ما يريدون من ودائعهم المصرفية مع تشديد المصارف إجراءات الحد من بيع الدولار والخشية من زيادة ارتفاع أسعار المواد الغذائية.

وبات التجار الكبار غير القادرين على الحصول على الدولارات من المصارف يتلاعبون هم أيضا بالأسعار ويبيعون بضائعهم للتجار الصغار بسعر الصرف الذي يناسبهم، وفق قول رئيس جمعية المستهلك غير الحكومية زهير برو لفرانس برس.

وأوضح "نتلقى الكثير من الشكاوى من أن البلد في مرحلة فوضى بالأسعار"، مشيراً إلى ارتفاع طال "العديد من المواد من البيض إلى اللحوم والأجبان والألبان، والخضار" بنسب مختلفة.

وللمرة الأولى منذ أكثر من عقدين ظهرت خلال الصيف سوق موازية، وبات الدولار اليوم يصل إلى 1800 ليرة، فيما لا يزال السعر الرسمي لليرة ثابتاً على 1507 ليرات.

ويتوافد اللبنانيون إلى المؤسسات التجارية الضخمة للتموين خشية انقطاع البضائع وتحسباً لارتفاع جديد في أسعارها. ويأتي ذلك مع تشديد المصارف اللبنانية إجراءات الحدّ من بيع الدولار خلال أسبوع فتحت فيه أبوابها بعد توقف دام أسبوعين جراء الاحتجاجات الشعبية. ولم يعد بإمكان المواطنين الحصول على الدولار من الصراف الآلي، كما تفرض المصارف رسماً إضافياً على عمليات سحب الدولار المحدودة جداً مباشرة منها.

وإثر لقاء بين عون ووزيري الاقتصاد منصور بطيش والمالية علي حسن خليل وحاكم مصرف لبنان رياض سلامة وجمعية المصارف، أعلن رئيس جمعية المصارف سليم صفير في بيان أنه جرى اتخاذ قرارات عدة بينها "تيسير الحاجات اللازمة للمودعين ولاسيما منهم صغار المودعين للمحافظة على أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية".

وأكد البيان أن "أموال المودعين محفوظة (...) ولا داعي للهلع"، مشيراً إلى "الطلب من حاكم مصرف لبنان الاستمرار في اتخاذ التدابير اللازمة للمحافظة على سلامة النقد والاستقرار الاقتصادي وسلامة أوضاع النظام المصرفي".

وتداول مواطنون خلال الأسبوع الماضي أشرطة فيديو تظهرهم وهم يتشاجرون مع موظفين في المصارف لعدم السماح لهم بسحب ما يريدون من مبالغ بالدولار، أو لعدم قبول المصارف أن يدفعوا مستحقات قروضهم بالليرة.

حيرة متزايدة

وأغلقت محطات وقود عدة السبت أبوابها مع انتهاء المخزون لديها وصعوبة القدرة على الشراء من المستوردين بالدولار الأميركي.

وحذر رئيس نقابة أصحاب المحطات سامي البراكس من أنه إذا لم يتم التوصل إلى حل "سنضطر إلى أن نوقف استيراد المشتقات النفطية ونغلق كافة المحطات ونجلس في بيوتنا".

وبدأت أزمة محطات الوقود في سبتمبر مع صعوبة الحصول على الدولارات لتسديد فواتير المستوردين. ورغم تعميم من مصرف لبنان لتسهيل حصولهم على الدولار، عاد أصحاب المحروقات لمواجهة الأزمة ذاتها مؤخراً نتيجة الإجراءات المصرفية المتشددة.

وهددت المستشفيات اللبنانية الجمعة بأنها ستتوقف عن استقبال المرضى ليوم واحد في منتصف الشهر الحالي كإجراء تحذيري، في حال لم تستجب المصارف خلال مهلة أسبوع لطلبها تسهيل تحويل الأموال بالدولار لشراء مستلزمات طبية.

وبدأت التحركات الشعبية، غير المسبوقة في لبنان ضد أداء الحكومات المتعاقبة، مع ازدياد الوضع الاقتصادي سوءاً ومعارضة المواطنين لزيادة الضرائب عليهم، وتخوفهم من تدهور قيمة الليرة.

وتشهد أيام الأسبوع تحركات احتجاجية عدة، تشمل اعتصامات أمام مؤسسات رسمية ومصارف وإجبارها على إغلاق أبوابها، ولكن عادة ما تحصل التظاهرات الأكبر والتي تملأ الساحات يومي السبت والأحد.

وصباح السبت، خرج مئات الطلاب في مسيرات حاشدة في بيروت وصيدا وصور جنوباً إلى طرابلس شمالاً وعرسال في الشرق.

وتوجه الطلاب إلى ساحات التظاهر الرئيسية في كل مدينة قبل أن ينضم إليهم منذ بعد الظهر متظاهرون آخرون يحملون شعارات مختلفة ضد الفساد والسياسيين وسياسة المصارف.

وسار المئات من أمام قصر العدل باتجاه ساحة التظاهر في وسط بيروت تحت شعار "لا للقضاء الفاسد". ومع حلول الظلام، أضاء المتظاهرون هواتفهم الخلوية أثناء سيرهم مرددين شعار "ثورة، ثورة".

وقال محمد (18 عاماً) أثناء مشاركته في التظاهرة الطلابية في بيروت "نريد أن نضمن مستقبلنا، لست مضطراً إلى أن أنهي تعليمي وأسافر لأجد عملاً... الطبقة السياسية الموجودة حالياً غير قادرة على تأمين ذلك".

ومنذ استقالة رئيس الوزراء سعد الحريري في أكتوبر تحت ضغط الشارع، ليس هناك أي بوادر لتشكيل حكومة جديدة يطالب المتظاهرون بأن تضم اختصاصيين من خارج الأحزاب التقليدية.

ولم يدع عون حتى الآن إلى الاستشارات النيابية الملزمة بتكليف رئيس جديد للحكومة. ويجري المسؤولون، وفق ما تنقل وسائل إعلام محلية، لقاءات للتفاهم حول صيغة الحكومة قبل بدء تلك الاستشارات.

وحض البنك الدولي لبنان الأربعاء على تشكيل حكومة سريعاً، وقال إن "الآتي يمكن أن يكون أسوأ إن لم تتم المعالجة فوراً" في بلد تبلغ ديونه المتراكمة 86 مليار دولار، أي ما يعادل 150 في المئة من إجمالي الناتج المحلي.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

المكايدة السياسية فضحت أردوغان وكبدت إخوان مصر خسائر فادحة

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

قدم أحد البرامج التلفزيونية الجماهيرية في مصر قبل أيام صورا ومستندات تثبت حصول عدد من قيادات جماعة الإخوان المقيمين في تركيا على جنسيتها، وأثبتت جوازات السفر غير المدون بها الأسماء الحقيقية أن هناك أهدافا سياسية خفية من قبل الحكومة التركية عندما حرصت على أن تكون هويتهم جديدة من حيث الجنسية والاسم الذي يحمله كل شخص، وغالبيتهم حصلوا عليها خلال العامين الماضيين، كما هو مدون في جوازات السفر التي عرضها البرنامج، ما يعني وجود قلق يساورهم بعد انتهاء مرحلة الرئيس رجب طيب أردوغان.

تضيف هذه الطريقة دليلا دامغا على علاقة الرجل بجماعات متطرفة مختلفة، فمعظم الأسماء المصرية التي منحت الجنسية التركية متورطة، بشكل مباشر أو غير مباشر، في أعمال عنف وإرهاب وقعت في مصر خلال السنوات الماضية، وصدرت بحق أصحابها أحكام قضائية متفاوتة، بعضها يصل إلى الإعدام، ولحمايتهم من مطاردات الإنتربول وتوابعها وتسهيل حركتهم بين دول العالم قدم لهم غطاء الجنسية.

تعتقد الحكومة التركية أنها وفرت الحماية القانونية لهم، ولم يدر بخلدها أنه ثمة أجهزة متقدمة تستطيع أن تثبت أن الهويتين المصرية الأصلية والتركية التي حصل عليها كل شخص لفرد واحد، وكان من الممكن أن يصبح الأمر مفهوما لو كان الاسم واحدا في الحالتين، لكن التغيير أثبت وجود شبهة جريمة من وراء التغيير ويريد صاحبها الفرار منها أو إخفاءها.

مسافة سياسية شاسعة

أكدت توقيتات الحصول على الجنسية للعشرات من القيادات، وربما مئات، من المنتمين للإخوان المصريين أنهم والحكومة التركية لم يبقوا واثقين في أنهم سوف يعودون سالمين إلى القاهرة مرة أخرى، في حين أن خطاب كبار المسؤولين في أنقرة وقيادات الإخوان يتحدث دوما بصورة سلبية عن قرب انهيار النظام المصري وتدهور الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية ما يجعل شبح الثورة عليه مخيما، وبالتالي عودة الجماعة للحكم.

لم يزعج هذا التناقض قيادات الإخوان، لأنهم أعلم من غيرهم بانسداد جميع المنافذ أمامهم، وبات تسللهم إلى حياة المصريين والتحكم في بعض جوانبها المادية والمعنوية غير مطروح، والبون شاسع بين ما يجري فعلا داخل مصر، وما يحاك له ويتردد في إسطنبول من خلال الأدوات الإعلامية التي تديرها جماعة الإخوان، وكل من يهمهم ضمان استمرار الحياة المرفهة، بصرف النظر عن المعاناة التي تعيشها الكوادر الصغيرة.

جاءت مسألة الجنسية لتراكم الأزمة داخل الجماعة، وتشير إلى أن المسافة تباعدت في صفوفها، على الرغم من كل المحاولات التي بذلت للحفاظ على كيانها متماسكا ولو رمزيا، ورأب الصدع الذي نالها بفعل الإخفاقات التي تلاحقها وفشلها في تقويض الدولة المصرية، ولم تفلح المساعي الخشنة التي قامت بها تركيا والأموال التي ضختها دوائر متباينة في شرايين الإخوان في تمكينها من عودة مضمونة للفضاء السياسي في مصر.

توقف مصريون عند فضيحة تغيير الهوية كاملة، لأنها تجاوزت حدود تجديد جوازات السفر المنتهية، ونزعت عنها ما يدور بشأن عدم تعاون السفارات المصرية مع المحسوبين على الإخوان، ووفرت دليلا عمليا لطرق التحايل والالتفاف التركي، ورسخت فكرة عدم رغبة قيادات الجماعة في العودة إلى مصر في أي وقت مستقبلا.

وعرّت الانتقائية التي تتعامل بها أنقرة مع من تسميهم بـ"اللاجئين" السياسيين، وتصر على حصر كرمها في نطاق الحسابات الأيديولوجية، وتنفي أي بعد إنساني تتشدق به حول طرح قضية نحو ثلاثة ملايين لاجئ سوري أدمنت المتاجرة بهم، واستفادت منهم في تبرير بعض التحركات العسكرية التي تقوم بها في سوريا، وتفسير بعض الخطوات السياسية التي تسلكها مع أوروبا، ولذلك ستظل تناور بهم للحصول على تنازلات في ملفات إقليمية مهمة.

من الشك إلى الحقيقة

كشفت المستندات التي عرضت على المشاهدين في مصر حجم الهشاشة التي يعاني منها النظام التركي، فالحصول على صور لجوازات السفر يؤكد أن كل تصرفات حماية الحلفاء مفضوحة، منها ما يستحق عرضه حاليا، وما يمكن تأجيله، فقد يتم لاحقا تقديم نماذج لأسماء كبيرة ضالعة في عمليات إرهابية وقعت في دول مختلفة، وهو ما ألمح إليه البرنامج التلفزيوني، وقتها ستوجه ضربة قوية أخرى لأردوغان بعد الاتهامات المتزايدة له بتوفير ملاذات آمنة للكثير من المتشددين.

وحولت هذه المعلومات الشكوك التي عبرت عنها بعض الجهات الغربية إلى واقع، فبعد العملية العسكرية التركية في شمال شرق الفرات لوّح الرئيس أردوغان بإمكانية إطلاق سراح مئات من المتطرفين وإعادتهم إلى بلدانهم، وكانوا محتجزين في سجون تتولى حراستها قوات سوريا الديمقراطية، ونجحت قواته وعملاؤه في فك أسر عدد كبير منهم، مستغلا ممانعة الدول الأوروبية استقبال هؤلاء والبحث عن حلول خارج أراضيها، في محاولة جديدة للابتزاز السياسي والمالي عقب نجاحه سابقا في توظيف ورقة اللاجئين السوريين مع ألمانيا والحصول على معونات سخية منها.

لم تتوان الكثير من الدول الغربية في الحديث عن مخاطر تسرب عناصر إرهابية إليها، وحذرت من استخدام تركيا لهم عبر اللجوء إلى أساليب ملتوية قد يصعب كشفها، ولفتت إلى خطورة الاعتماد على منح الجنسية لحمايتهم وتسريب بعضهم إلى دول بعينها، وأثبت البرنامج المصري أخيرا عدم استبعاد ذلك، فالإسراف الحاصل في استقبال أعداد غفيرة من المتطرفين وشخصيات مدانة في دول كثيرة يؤكد أن مهامّ قتالية تنتظرهم في مناطق أبعد من سوريا.

قد تكون الساحة الأوروبية اتخذت إجراءات أمنية حاسمة، ما يمكنها من حماية أراضيها بصورة محكمة، خاصة مع القادمين من أي مدينة في تركيا، غير أن هناك دولا في منطقة الشرق الأوسط قد تصل إليها شخصيات تحمل الجنسية التركية دون الشك فيها.

وفي ظل إعادة الفرز الحالي من الممكن أن يعاد تدوير بعض الإرهابيين وإخراجهم من سوريا التي تواجه تحديات جسيمة في مجال مطاردة المتشددين واختلاف رؤى القوى الكبرى منه، بما يمثل خطرا على دول كثيرة يستطيعون وضع أقدامهم فيها.

لعل ليبيا من الأمثلة الناصعة التي تثبت إلى أيّ درجة لعبت أنقرة دورا تخريبيا كبيرا في تعطيل التسوية السياسية، وتحولت إلى جسر لعبور الآلاف من الإرهابيين إليها، واستقبلت العديد من المقاتلين الأجانب من جنسيات مختلفة، علاوة على المعدات العسكرية التي كانت تنقل بحرا وجوا بمعرفة تركيا إلى موانئ ليبية.

> النظام التركي مصمم على عدم التخلي عن الإخوان وكل المتطرفين، لأنهم جزء أساسي في استراتيجية حزبه، وخاض بسببهم معارك ضارية دارت بين جدرانه، وتخلى عن قيادات كثيرة في سبيلهم

تنطوي هذه التحركات على معان ومضامين مهمة، تتعلق بأن النظام التركي مصمم على عدم التخلي عن الإخوان وكل المتطرفين، لأنهم جزء أساسي في استراتيجية حزبه، وخاض بسببهم معارك ضارية دارت بين جدرانه، وتخلى عن قيادات كثيرة عارضت هذا النوع من التوجهات في سبيلهم، ويعلم أنهم ركيزة في تنفيذ تصوراته الخارجية، وتنتظرهم فصول لم تظهر معالمها النهائية بعد، ويمكن أن تكون خطوة منح الجنسية لها دور لم تكتمل ملامحه.

يرتبط الحضور الإخواني في المشهد التركي بالتحالف الوثيق الذي عقده أردوغان كذراع سياسية وعسكرية يمكنها من التغلغل في نسيج المجتمعات العربية، لكنه لم يدرك أن العلاقة المتنامية نبهت بعض الدول العربية إلى خطورتها، فاستنفرت همم الكثير من الأجهزة الأمنية، وفرضت توسيع دور الأدوات الدبلوماسية لتعريتها، في وقت تتصاعد فيه الهواجس من التوظيف التركي المتشعب للتيار الإسلامي. الأمر الذي يجعل المكايدة السياسية المبالغ فيها تضرّ بأردوغان وجماعة الإخوان في العالم.

الهجوم التركي على سوريا حملة بتوجّهات قومية

دايفيد ليبسكا
كاتب مختص بالشأن التركي

ينبع الهجوم التركي على شمال شرقي سوريا من مخاوف سياسية في الداخل، وقد أسكتت النزعة القومية التي أشعلها الرئيس رجب طيب أردوغان ووسائل الإعلام الموالية للحكومة جميع الأصوات المعارضة تقريبا، وجعلت الأكراد مستهدفين.

انطلقت العملية العسكرية التركية في سوريا في التاسع من أكتوبر، وأدت إلى مقتل ما لا يقل عن 250 شخصا، معظمهم من الأكراد، ونزوح نحو 300 ألف. أثار هذا مخاوف بين المتابعين البارزين للمشهد، بمن في ذلك سامانثا باور، سفيرة الولايات المتحدة السابقة لدى الأمم المتحدة، من وجود حالات تطهير عرقي.

ووضع المسؤولون الأتراك هدفين رئيسيين لهذا الهجوم، أولهما تطهير المنطقة الحدودية من قوات سوريا الديمقراطية التي يقودها الأكراد، ووحدات حماية الشعب التابعة لها، وثانيهما إعادة توطين ما يصل إلى مليوني لاجئ في المنطقة الآمنة المزمعة.

وترى ميرفي طاهر أوغلو، منسقة برنامج تركيا في مشروع الديمقراطية في الشرق الأوسط، أن هذين الهدفين نابعان من دوافع سياسية.

وقالت أوغلو لموقع أحوال تركية في تدوينة صوتية إن "هذا التوغل العسكري حقق دوافع سياسية كبيرة في تركيا... السياسة الداخلية تحركه بكل تأكيد".

ويتفق معظم المراقبين على أن تنامي الشعور بالإحباط من وجود لاجئين سوريين، والضغوط الاقتصادية التي فرضها في تركيا، قد لعبا دورا مهما في الانتخابات البلدية، التي مُني حزب أردوغان الحاكم -حزب العدالة والتنمية- خلالها بخسائر في إسطنبول ومدن أخرى كبرى هذا العام.

وقالت أوغلو إن هذا يمكن أن يفسر خطة أنقرة لإعادة توطين معظم اللاجئين في سوريا. وترى أوغلو أن من غير المرجح إعادة الملايين اللاجئين إلى سوريا، لأسباب أولها أن تركيا تمكنت فقط من السيطرة على شريط محدود من الأراضي في شمال شرقي سوريا، وتعتقد أن أردوغان سيعاني سياسيا، نتيجة لذلك.

وأشارت أوغلو إلى أن الأمر الثاني المهم الذي أدى إلى فوز أكرم إمام أوغلو في انتخابات بلدية إسطنبول في وقت سابق من هذا العام، كان دعم حزب الشعوب الديمقراطي الموالي للأكراد، والذي قرر عدم طرح مرشحين في إسطنبول ومدن أخرى من أجل تحسين فرص حزب المعارضة الرئيس؛ حزب الشعب الجمهوري.

وعندما تعرض حزب العدالة والتنمية بزعامة أردوغان إلى أول نكسة سياسية، حينما فشل في الفوز بأغلبية صريحة في الانتخابات العامة التي أجريت في يونيو 2015، ألقى الحزب الحاكم باللوم على حزب الشعوب الديمقراطي، الذي تمكّن من تخطي عتبة العشرة في المئة اللازمة للحصول على مقاعد في البرلمان.

بعد ذلك بشهر، جددت الحكومة صراعها مع حزب العمال الكردستاني، الذي يخوض تمردا في تركيا منذ عام 1984، والمصنف كتنظيم إرهابي في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وتركيا.

وكتب جلال جاهيت أغار، وهو مُحاضر في جامعة سانت أندروز، في موقع (ذا كناري) يقول إن "المسألة الكردية ظلت دائما أداة عملية في أيدي النخبة السياسية الحاكمة في تركيا، لاستمرار سلطتها السياسية ولتخفيف الاضطرابات السياسية، من خلال إعادة توحيد المنظمات السياسية والمجتمع المدني القومي اليميني المتطرف تحت لواء الشوفينية التركية".

وقضى الهجوم التركي على شمال شرقي سوريا عمليا على الشراكة الناشئة بين حزب الشعب الجمهوري وحزب الشعوب الديمقراطي. ولو كانت تلك الشراكة قد ترسّخت، لكانت شكّلت تهديدا حقيقيا لحزب العدالة والتنمية، وفقا لأوغلو.

> مبعث القلق الحقيقي لدى تركيا كان الدعم الذي قدمته الولايات المتحدة إلى وحدات حماية الشعب في حربها ضد تنظيم الدولة الإسلامية، والذي يُقوّي شوكة الوحدات ويحسن صورتها على الساحة الدولية

وتنظر تركيا إلى وحدات حماية الشعب على أنها امتداد لحزب العمال الكردستاني. ولذلك، فقد طرحت عمليتها ضد سوريا على أنها تأتي في إطار جهود مكافحة الإرهاب. وتشكك أوغلو في دقة هذا الوصف، إذ تقول إن "تركيا كانت تنظر إلى دويلة قوات سوريا الديمقراطية على أنها تمثل تهديدا استراتيجيا، لكن من الصعب القول إن تهديدا عسكريا كان موجودا في أي وقت من الأوقات... وحدات حماية الشعب لم يسبق لها أن هاجمت تركيا أبدا".

وأضافت أن مبعث القلق الحقيقي لدى تركيا كان أن الدعم الذي قدمته الولايات المتحدة إلى وحدات حماية الشعب في حربها ضد تنظيم الدولة الإسلامية، يُقوّي شوكة الوحدات ويحسن صورتها على الساحة الدولية.

وأردفت ميرفي طاهر أوغلو قائلة إن "وحدات حماية الشعب في سوريا، كلما ازدادت شعبيتها على الساحة الدولية بسبب حربها ضد تنظيم الدولة الإسلامية، كلما زاد التأثير السلبي لهذا الأمر على عملية السلام التركية مع حزب العمال الكردستاني".

وقال آرون شتاين، مدير برنامج الشرق الأوسط في معهد أبحاث السياسة الخارجية، إن المشكلة الكردية في تركيا كانت دائما قضية محلية مرتبطة بحزب العمال الكردستاني، وإن إعادة إطلاق مباحثات السلام التي انهارت في عام 2015 بشكل مفاجئ سيكون سياسة عاقلة.

لكنه أشار إلى أنه "لا توجد نوايا طيبة حقيقية على أي جانب من الجانبين، ومن ثم فإن المفاوضات ستكون صعبة ومشحونة، وهي مدوّلة الآن... حل مشكلة حزب العمال الكردستاني بات الآن أصعب مما كان من عام 2012 إلى عام 2015، بسبب الأزمة السورية".

توغل عسكري بدوافع سياسية كبيرة

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

غرفة سرية بلا نوافذ تحت درج حلزوني في مبنى الكابيتول.. هنا تكتب أولى سطور قصة عزل ترامب

منشأة المعلومات الحساسة تشهد معركة مصيرية بين الجمهوريين والديمقراطيين

سلط اقتحام أكثر من عشرين نائبا غرفة اجتماعات تعرف بـ"منشأة المعلومات الحساسة" وتخضع لإجراءات أمنية مشددة في مبنى الكابيتول، الضوء على هذا المكان الغامض الذي تجري فيه كتابة مسودة عملية عزل الرئيس الأميركي دونالد ترامب في إطار التحقيق الذي أطلقه الديمقراطيون بشأن احتمال استغلال ترامب للسلطة عبر ممارسته ضغوطا على أوكرانيا تتعلق بالانتخابات الرئاسية المقبلة في بلاده عام 2020.

الغرف مصممة بطريقة تمنع التنصت عليها إلكترونيا

لوري كيلمان

واشنطن - عندما يتحدث التاريخ عن فترة رئاسة دونالد ترامب، سيذكر سعي مجلس النواب لعزله في غرفة صغيرة مقاومة للتجسس تحت درج حلزوني في مبنى الكابيتول الأميركي. هناك، تسمع ثلاث لجان الشهادات عن حملة الضغط التي شنها ترامب على أوكرانيا، حتى تجمع الأقوال كأساس تنطلق منه حملة سحب الثقة من الرئيس الأميركي.

وعلى الرغم من أهميتها في عملية عزل الرئيس في واشنطن، تبقى الغرفة المعزولة بعيدة عن الأنظار. ويسلم كل الأشخاص الذين يسمح لهم بدخولها هواتفهم عند الباب ويشقون طريقهم إلى المكان الصغير المصمم لاحتضان عدد قليل من الأشخاص. وتشحن الطموحات والمخاطر السياسية الكبيرة جو الغرفة الذي يتحول من البرد الشديد إلى الحرارة.

آدم شيف

الإجراءات المشددة هدفها الحفاظ على السرية المهمة لمنع الشهود من تنسيق قصصهم لتتماشى ضمن رواية واحدة

وقال الديمقراطي آدم شيف، الذي يشغل منصب رئيس لجنة المخابرات في مجلس النواب الأميركي، إن الموجودين أخبروه بأن رائحة الغرفة أصبحت تشبه تلك الموجودة في غرف تبديل الملابس.

أصبحت الغرفة مركز العملية. وصممت المساحة الآمنة وفقا لمعايير محددة تفصل المواد والحجم وكيفية استخدامها بهدف السماح بإجراء عمليات سرية دون التعرض لخطر التجسس.

ويملك مجلس الشيوخ الأميركي واحدة من هذه الغرف، أين يجتمع أعضاؤه لقراءة المستندات الخاصة مثلما حدث خلال جلسات استماع القاضي المحافظ بريت كافانو المتهم بالتحرش الجنسي في العام الماضي. كما تصنّف غرفة العمليات المعروفة رسميا باسم قاعة جون إف كينيدي للمؤتمرات في البيت الأبيض ضمن هذه الغرف.

تجربة لا تنسى

عادة ما تبنى هذه الغرف بلا نوافذ. وتشمل الفتحات والفجوات الأخرى مواد مثل المطاط لعزل الصوت عن العالم الخارجي. ويجب على جميع الذين يدخلونها تسجيل حضورهم وتسليم الأجهزة الإلكترونية عند المدخل، حتى وإن كانت أساور اللياقة البدنية.

يفترض أن تسير الأمور على هذا النحو. لكن، في حادثة عززت شهرة هذه الغرف، توجه ما يصل إلى 20 من الجمهوريين الذين كانوا يشتكون من سرية العملية لاقتحام المكان خلال أواخر الشهر الماضي، ولم يتوقفوا سوى لعقد مؤتمر صحافي في أسفل الدرج الحلزوني.

مكنت هذه الممارسات من تعطيل تحقيق الديمقراطيين لبضع ساعات. من جهته، قال آدم شيف إن السرية مهمة لمنع الشهود من تنسيق قصصهم لتتماشى ضمن رواية واحدة. وبدأ العديد من أعضاء الحزب الجمهوري في التغريد على حساباتهم المفتوحة للجميع على موقع تويتر من داخل الغرفة، مما يعدّ اختراقا أمنيا محتملا. وتم استدعاء المسؤولين عن الأمن في البرلمان والكابيتول.

وقال عضو الكونغرس مات غايتز المدافع الشرس عن ترامب "عاجل: قدت أكثر من 30 من زملائي إلى منشأة المعلومات الحساسة حيث يعقد رئيس لجنة الاستخبارات في مجلس النواب (آدم شيف) جلسات استجواب سرية تتعلق بعزل ترامب. لا نزال في الداخل، سأزودكم بالمزيد من التفاصيل".

وفي تصعيد للمواجهة مع الديمقراطيين، طلب الجمهوريون عربة مليئة بالبيتزا للصحافيين الذين كانوا متواجدين حول الموقع. صورت صناديق البيتزا دون أن تفتح، إذ لا يمكن للصحافيين قبول هدايا من المشرّعين حفاظا على حيادهم عند نقل الأخبار.

وفي نهاية المطاف، غادر الجمهوريون وعقدوا مؤتمرا صحافيا آخر في طريقهم إلى الخارج. واستأنف الباقون العملية التي اجتمعوا من أجلها بعد التأكد من خلو الغرفة من أي أجهزة مراقبة. تبدو القصة على وشك الانتهاء، حيث أنهى الديمقراطيون إجراء المقابلات وستبدأ جلسات الاستماع العامة الأسبوع المقبل.

وستذاع جلسات الاستماع وعملية استجواب المشرعين الديمقراطيين والجمهوريين للشهود في مقر الكونغرس على الهواء مباشرة.

وسيكون بيل تايلور من أوائل الشهود، وهو القائم بأعمال سفير الولايات المتحدة في أوكرانيا.

لكن، ستبقى عربة البيتزا صورة رمزية. وستبقى الهاشتاغات في سجل الإنترنت مع مجموعة من الأسماء المستعارة المتنوعة والمسندة إلى الدرج الحلزوني الذي يقود إلى الغرفة.

رحلة خاصة

بالنسبة إلى المشرعين، يعدّ دخول الغرفة رحلة خاصة تبدأ من نفق في قبو الكابيتول. يأخذهم هذا الممر إلى آتريوم فوق الدرج، ثم ينزلون طابقين ويمرون من مجموعة من الأبواب التي تحمل علامات حمراء تمنع الدخول.

ثم يمرون فوق سجادة بلون التوت البري أمام أعلام وكالات الاستخبارات. ويترك المشرعون أجهزتهم الإلكترونية وراءهم ويأخذون مفتاحهم ليدخلوا غرفة آمنة صغيرة لا تسمع محادثاتهم خارجها.

كانت الغرفة مزدحمة خلال العمليات الأخيرة لأنها مصممة لجمع لجنة واحدة مع موظفيها. ويشمل التحقيق في قضية عزل تراب 3 لجان، وموظفيها، وشهودها، والمرافقين.

في الأيام الأخيرة، سافر الجمهوري تيم بورشيت من ولاية تينيسي في اتجاه الأبواب المزدوجة، ولم يكن يبدو متحمسا أو راغبا في التواجد هناك. كعضو في لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب، يحق له حضور الجلسات. وقال إنه شاهد 30 شخصا في غرفة واحدة، وكان بعض الحاضرين واقفين لعدم توفر المقاعد الكافية أو المساحة اللازمة لإحضار كرسي آخر. ووفق الدستور الأميركي، تمتد عملية العزل على مرحلتين؛ الأولى في مجلس النواب ثم تنتقل إلى مجلس الشيوخ.

رغم أهميتها في عملية عزل الرئيس في واشنطن، تبقى الغرفة المعزولة بعيدة عن الأنظار. ويسلم كل الأشخاص الذين يسمح لهم بدخولها هواتفهم عند الباب

وإذا صوت مجلس النواب لصالح تمرير القضية لمجلس الشيوخ بعد جلسات الاستماع، يبدأ الأخير محاكمة الرئيس. ويتطلب العزل تصويت مجلس الشيوخ لصالح ترامب.

كيف تحاول الصين السيطرة على الفضاء

اجتهاد في بناء القدرات الفضائية الخاصة

واشنطن - يرى خبير في تقييم القدرات العسكرية للقوى الأجنبية أن الصين تتبع نهجا محددا في الفضاء، وذلك ضمن جهودها لتصبح القوة الأولى في هذا المجال.

ويشير نايثن ستراوت، الخبير في شؤون الفضاء، إلى أن بكين تتبع قواعد لعبة تُلعب في الصين منذ آلاف السنين.

في هذه اللعبة يضع اللاعبون الحجارة على لوحة مقسّمة ويتنافسون للاستيلاء على معظم المناطق المحددة عليها.

ومع أن قواعد اللعبة تبدو بسيطة، إلا أنها تتطلب اختيار الإستراتيجية المناسبة والتمسك بها.

يكمن هدف اللعبة في حرمان الخصم من أكبر قدر ممكن من الأراضي. وعلى عكس لعبة الشطرنج، لا يحاول اللاعبون الإطاحة بالملك لإعلان النصر، إذ يمكن لهم أن يضيفوا أحجارا على اللوحة بناء على المساحة التي يتحكمون فيها.

وقارن مدير وكالة استخبارات الدفاع في الولايات المتحدة، روبرت آشلي، خلال كلمة ألقاها يوم 7 نوفمبر خلال مشاركته في مؤتمر سايبرسات 2019، هذه اللعبة بتصرفات الصين اليوم.

عند دراسة التطورات التي شهدتها منطقة بحر الصين الجنوبي، يلاحظ ستراوت أن بناء الصين لجزر اصطناعية يهدف إلى تعزيز شرعية وجودها في المنطقة. وقال روبرت آشلي إنه يرى صلة مباشرة بين لعبة الألواح القديمة والإستراتيجية العسكرية الحديثة التي تعتمدها الصين.

وإلى جانب المحاولات الهادفة إلى السيطرة على المناطق المحيطة بها، يرى مدير وكالة استخبارات الدفاع أن بكين تتخذ نفس النهج لبسط نفوذها في الفضاء.

تعدّ وكالة استخبارات الدفاع بالولايات المتحدة مسؤولة عن إعلام العسكريين وواضعي السياسات (وحتى الجمهور إذا تطلب الأمر) بالقدرات العسكرية التي تمتلكها الدول الأجنبية ونواياها إن حددت. بصفته مديرا لتلك الوكالة، قال آشلي إن الصين ترغب في استخدام الفضاء لتعزيز نفوذها وتحقيق الطموحات التي تتجاوز حدودها الجغرافية.

ويرى آشلي أن الصين تعمل على حماية مصالح بكين التي تتجاوز منطقة المحيط الهادي الهندي.

وفي سعيها لتحقيق هذا الهدف، تريد الحكومة الصينية أن تصبح قادرة على افتكاك أي قدرات فضائية عسكرية ومدنية وتجارية قد تكون مفيدة للولايات المتحدة.

علاوة على ذلك، أوضح آشلي أن الصين ترى في تلك القدرات الفضائية، بما في ذلك أنظمة الاستطلاع والإنذار المبكر والاتصالات والملاحة، أهدافا أولية محتملة للهجمات المستقبلية.

وتعمل الصين على تصنيع أسلحتها المضادة للأقمار الصناعية منذ سنة 2007 لتشمل أجهزة التشويش التي يمكنها حجب إشارات نظام التموضع العالمي أو الأقمار الصناعية، وأشعة الليزر. وتمتلك البلاد قمر إصلاح وفحص في المدار، ويمكن أن تستغله لتدمير أقمار صناعية أخرى.

روبرت آشلي

لاحظت أن هناك صلة مباشرة بين لعبة الألواح القديمة والإستراتيجية العسكرية الحديثة التي تعتمدها الصين

وتمتلك روسيا والولايات المتحدة أقمارهما الصناعية الخاصة بالمعاينة. وتعمل وكالة مشاريع البحوث المتطورة الدفاعية (داربا) على تطوير قمر صناعي مجهّز بأسلحة آلية. وتريد الولايات المتحدة إطلاقه بحلول سنة 2022.

واجتهدت الصين في بناء قدراتها الفضائية الخاصة، وأشار آشلي إلى أنها قد تطلق نظاما أكبر يشبه نظام تحديد المواقع العالمي بحلول سنة 2020، مضيفا أن الصين "أجرت العمليات الأكثر تركيزا على الفضاء في سنة 2018 مقارنة بدول العالم الأخرى، وتمتلك 250 قمرا صناعيا مدنيا وتجاريا وعسكريا في المدار مما يجعلها تحتل المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة في هذا المجال".

وأصدرت وكالة استخبارات الدفاع تقريرين يصفان جهود الصين في مجال الفضاء؛ تقريرا عن طموحات الصين العسكرية وقدراتها، وتقريرا منفصلا عن التهديدات التي يتعرض لها الفضاء.

وقال آشلي إن تهديد الصين المحتمل على الفضاء أثار استجابة من الحكومة. وأضاف "رسمت صورة سلبية تبرز تطور الأمور. يجب علينا التيقظ والالتزام بالحفاظ على الفضاء كمجال سلمي".

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

رومانسي يعزف على أنغام رئاسة الجمهورية

عزالدين ميهوبي

جزائري يرسم قدره بخط غامض

● ميهوبي يدرك جيدا، بحكم علاقته المتشعبة، حاجة السلطة إلى رجل مثله. وها هو أمامهم بشحمه ولحمه وعظمه، طيع، وخدوم، وفي الصفوف الأمامية دوما من أجل الحكم.

● الجزائريون الذين يعرفون ميهوبي حق المعرفة لم يتوقعوا أن يترشح للرئاسيات، ولكن الخطوط التي رسمها لنفسه منذ بدايات وعيه، تدل على أن طموحاته للمنصب غذتها الفرص وغياب "الرموز".

أبوبكر زمال
كاتب جزائري

صبور كالجمل. واجه عواصف تدمر وتهد الجبال. تلقى الضربات تلو الضربات من لدن الكل، شاعرا كان أو مناضلا أو مسؤولا أو وزيرا. تغير وبدل وغيرته الأحوال والمناصب كما يقول أقربهم إليه مودة. قرّب إليه الخلان والمعارف، وأبعد الأحباب والذين ساروا معه في الضراء والسراء، فتح أبوابه دوما للكل، ولكنه كان يغلقها بمجرد أن يغادروا عتبة المباني التي استوطنها طوال مسيرته.

السلطة لا تغادر رأس ميهوبي وهي التي اعتاد أن يحس بتغلغل نسماتها داخل روحه، خاصة وأنه ناضل في حزب جبهة التحرير الوطني، وعرف عن قرب أهم الفاعلين والشخصيات القوية في الدولة، قبل أن يغادره مثل العديد من مناضلي الجبهة الذين أدركوا أن عهد الحزب الحاكم بدأ يأفل

قطع عزالدين ميهوبي كل تأويل عن موقعه كشاعر ووزير سابق في عرين السلطة، فقال في أحد حواراته إنه "مثقف السلطة ويفتخر"، وبذلك وضع حدا للكثير من التأويلات والحروب التي كانت تخاض ضده في وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي وصالونات النميمة و"الهدرة" الكثيرة وثرثرات الشعراء والكتاب، فهو عكس الكثيرين ممن يوصفون بالنخب المثقفة تراهم ركعا سجدا بالخفاء وفي الستر يعبدون السلطة على عجل ويتمسحون بأعتابها، فهو عكسهم وضّح الموقف وكشف الأمر.

سيرة متصاعدة

لم يكن والد ميهوبي يتوسم فيه أي نبوغ أو "فهامة" أو ذكاء خارق. أدخله إلى المدرسة في سن التاسعة. كانت تلك ظروف العوائل الفقيرة والمعدمة التي عاشت ضنك العيش وقسوته بعد الاستقلال، حيث لم يكن الأطفال مثلا ينتعلون الأحذية إلا في سن الثامنة أو التاسعة وهو الحال التي كان عليها، حتى أنه لم ينعم برؤية التلفزيون إلا متأخرا جدا، وعندما نال الشهادة الابتدائية لم يصدقه والده، وبدل أن يكافئه مثلما يفعل أي أب حين يسمع بنجاح أبنائه تلقى منه صفعة باردة بقيت عالقة في مهب حياته التي بدأ يشق لها الطريق ويرسمه خطوة خطوة منذ تلك اللحظة إلى حيث هو اليوم.

تكاد تكون سيرة ميهوبي سيرة مخططا لها ومرسومة بدقة، فهو كما تقول مراجعه دخل بعد نيله الباكالوريا مدرسة الفنون الجميلة، فقد كان مهووسا بالخط العربي بجماله ودقته وحسنه وتلويناته. فهندس لنفسه خطوطا تُرى بعمق في كل مسار حياته، ثم كرس تحصيله العلمي في المدرسة الوطنية للإدارة، مخبر ومجمع تكوين إطارات تسير الدولة، ثم انحرف خطه إلى الصحافة حيث الاحتكاك بعالم الكتابة والمشاهير والفنانين والسياسيين.

سمح له ذلك العالم بالتعرف والتقرب من أكثر الرجال نفوذا داخل النظام كالجنرال العربي بلخير، ورئيس الحزب الحاكم الأوحد آنذاك في الجزائر الشريف مساعديه، ورئيس الحكومة الأسبق مولود حمروش، والمناضل والمجاهد عبدالحميد مهري، والعديد من أصحاب التيار الإسلامي كالشيخ محفوظ نحناح رئيس حركة مجتمع السلم المعروف باختصار حمس، ناهيك عن مشاهير الرياضة الكبار كالملاكم العالمي محمد علي كلاي ولاعب كرة القدم الشهير المكسيكي كامبوس والجزائري أوكاشا وغيرهم.

كوّن ميهوبي شبكة علاقات واسعة خاصة مع مسؤولي دول الخليج، كان ذلك بعد مسؤوليات عدة ومناصب كبيرة في الدولة والتنظيمات والأحزاب والاتحادات، وبعد تجارب إعلامية قادته أولا إلى رأس جريدة "الشعب" الجريدة العريقة التقليدية الناطقة باسم النظام والسلطة، أين حاول تجديد روحها ونفسها وهيكلتها لتتماشى والثورة الإعلامية المستقلة التي شهدتها تلك الفترة الجريحة من عمر البلد، ولكنه اصطدم بتيارات محافظة متكلسة ومتجذرة لا تقبل التطور والتجديد، فعاند وقاوم وتحدى، وفتح الجريدة لمن لا صوت لهم معارضين أو منتقدين للنظام، وهو ما خلق متاعب جمة له انتهت بمحاكمته وسجنه.

الرياضة طريق الزعامة

أسس ميهوبي أول جريدة رياضية في الجزائر "صدى الملاعب" التي كانت ملاذه وملجأه وصوته الآخر المغرم بالرياضة. كرة القدم على وجه الخصوص، ومثلما تفنن في رسم الخطوط وهندستها، تفنن أيضا في إجراء الحوارات ونقل كل ما يتعلق بالرياضة في الداخل والخارج. المتعة الوحيدة المتوفرة بكثرة داخل مجتمع فاقد لكل أنواع الزهو والمرح والتسلية. فالأزمة الاقتصادية اشتدت، وسبل العيش الكريم أصبحت منعدمة، ولم تتبق إلا الرياضة خاصة كرة القدم المتنفس الوحيد للرئات المنتفخة بهواء الضيق والقنوط.

لم تغادر رأس ميهوبي متعلقات السلطة التي بدأ يحس بتغلغل نسماتها داخل روحه، خاصة أنه ناضل في حزب جبهة التحرير الوطني، وعرف عن قرب أهم الفاعلين والشخصيات القوية في الدولة، قبل أن يغادره مثله مثل العديد من مناضلي الجبهة الذين أدركوا أن عهد الحزب الحاكم بدأ يأفل، وبدأ النظام يتخلى عنه شيئا فشيئا، فتلقوا الإشارة بالانسحاب، وأسسوا من الضلع الأعوج للجبهة حزبا سمي بـ"التجمع الوطني الديمقراطي"، وكان ميهوبي من أوائل مؤسسيه ومناضليه وفاعليه.

خولته مكانته في الحزب من ولوج أبواب التلفزيون الجزائري في أهم مديرية به؛ مديرية الأخبار، حيث أستدعي من طرف الرئيس اليمين زروال أحد قادة حزب التجمع الوطني الديمقراطي، وأسدى له تعليمات بضرورة إدخال إصلاحات عميقة على التلفزيون وبالضبط هذه المديرية التي تعنى بالأخبار خاصة الأخبار الأمنية المتعلقة بالإرهاب آنذاك والتي كانت متضاربة وخطيرة ومشككة في كل شيء، من الأرقام إلى عدد الضحايا، إلى حقيقة ما حدث وما يحدث، فضبطها مع جهات مختصة بالأمر، واحتلت المعلومة الأمنية الرسمية عناوين النشرات ومواضيعها، ورسم وخطط وأطلق العديد من الحصص والبرامج المتنوعة؛ سياسية، ثقافية، اجتماعية، اقتصادية ورياضية: أبيض وأسود، وضفاف، ورحالة، واليوم الثامن، وعلى التماس.

أنا في الخدمة أولا

في كل هذا كانت الأحلام والطموحات تتعاظم في عقله وروحه، وأصبح ميهوبي في كل محفل حاضرا ليلفت انتباه وإشارات أرباب الجزائر "أنا في الخدمة دوما"، ثم "لا تنسوني من فضلكم" مثلما يتهكم عليه خصومه، وطائرا في أجواء الكتابة، فكتب في كل شيء: الرياضة، السياسة، الملاحم، المسرحيات، المسلسلات، الأفلام، الرواية، وطبعا في الشعر عموديا أو حرا أو نثريا، حتى تساءل الكثيرون عن القدرة الخارقة التي يمتلكها لكتابة كل هذا؟ وكم يلزمه من الوقت؟ وكيف يكتب ضمن مسؤوليات باتت تطرق بابه المفتوح دوما على كل ما يأتي من السلطة؟

ومن مدير للأخبار إلى مدير للإذاعة إلى كاتب دولة مكلف بالاتصال إلى مدير للمكتبة الوطنية إلى آخر منصب رسمي تولاه وزيرا للثقافة، عمل، وكافح، و"كسر الحجر" من أجل أن يستوزر في قطاع حساس، وعندما ولي مفاتيح قصر الثقافة في زمن متوتر ومشحون بالتقلبات والتجاذبات والولاءات في أعلى هرم السلطة، استبشر قطاع واسع من المثقفين والكتاب والفنانين بهذا التعيين وقيل: أخيرا جاء للقطاع ابن حقيقي للقطاع منهم وإليهم، يعرفهم ويعرفونه، وستعرف الثقافة نقلة نوعية كبيرة ستمحو سنوات وزراء آخرين مروا وتركوا السلب والإيجاب في صحراء الثقافة الواسعة.

التقشف والعداء للثقافة

كان أول ما تلفظ به ميهوبي عندما استوزر، في كل ندوة أو لقاء أو جلسات عمل هو لفظة "التقشف" حتى غدت لصيقة به وحده دون غيره من الوزراء، وهي لفظة جاءت وطبعت آخر مراحل حكم بوتفليقة قبل أن يعزل في 22 فبراير، فبعد أن شبعت خزائن الدولة بأموال فائضة بفضل طفرات أسعار البترول، تبين في ما بعد أنها نهبت وضاعت بالسرقة المقننة، والاختلاسات المستورة، والتحويلات الغامضة لمشاريع قيل إنها لفائدة المجتمع ولكنها لم تترك إلا النزر القليل على الأرض.

وظهرت الكلمة السحرية المضللة "التقشف" لتجاوز العقبات، والعراقيل، ولتبرير الواقع المفروض، وقد كان ميهوبي أفضل ناطق رسمي لها، ومهللا بها، وباعثا برسائلها، فهو يعرف جيدا لمن توجه، ومن سيتلقاها بصدر رحب وبابتسامة عريضة، ولكن ظهر أن أول ضحايا هذه الكلمة هو القطاع الثقافي "المغبون" الذي كما قلنا كافح وناضل واستعمل ما أمكن له من قوة ورباط الخيل والمعارف والأصدقاء والمتنفذين الذين أفواههم في الآذان التي لا تسمع إلا ما تريد أن تسمعه، ليجلس أخيرا على كرسي لطالما خطط له ورسم أبعاده.

جلب هذا الجلوس لميهوبي عداوات وخصومات وقطائع وشائعات وحقائق وقيل وقال ومنكرات وسيئات، وصوبت نحوه نيران صديقة وسهام من كل صوب وحدب، وغدا بين ليلة وضحاها العدو رقم واحد للثقافة. وكان يتلقى كل هذا صابرا، ومستحبا للضربات تلو الضربات، مطمئنا، راضيا، خجولا، صامتا وهادئا. وحتى لما نظم في مرات عديدة ندوات صحافية للرد أو للشرح، كان يقابل الجدل والأسئلة الخطيرة والمشككة في نزاهته وإدارته للوزارة، ويجيب بأريحية وسكون ودم بارد، وكل ما قدمه من حجج وبراهين و"تنصالات" ودفوعات لم تنفع في صد الهجوم والاتهام، حتى تشك أن الرجل مخلوق من طين وتراب بل من حديد وصلب.

هو يعرف جيدا بحكم علاقته المتشعبة وفهمه لواقع السلطة التي يليق بها رجل مثله ولا يهمها "تكسار الراس" في البحث عن رجل آخر، فهو أمامهم بشحمه ولحمه وعظمه، طيع، وخدوم، وفي الصفوف الأمامية دوما من أجل السلطة أو الحكم، يعرف ميهوبي أن كل هذه الزوابع التي عصفت ومازالت تعصف به، بمحيطه، وبتحركاته، وسكناته، زوابع لم تسقطه ولم تخرب عليه أحلامه، ولم تهدم سقف طموحاته، حتى لو بلغت درجات الإساءة إلى الشخص والعائلة ككل، وها هو اليوم رغم كل هذا الهجوم الكاسح الضاري العنيف سواء أكان أصحابه على حق أو على باطل، يعود أقوى من ذي قبل أمينا عاما بالنيابة للتجمع الوطني الديمقراطي، ومترشحا باسمه للانتخابات الرئاسية المزمع تنظيمها في شهر ديسمبر.

لا أحد ممن يعرف ميهوبي حق المعرفة توقع أن يترشح للرئاسيات، ولكن كل الدلائل واضحة وكل الخطوط التي رسمها لنفسه منذ بدايات وعيه النضالي في السياسة والثقافة، تدل على أن طموحاته للمنصب غذتها الفرص، والحظوظ، والفراغات، وغياب "الرموز" التي يقال إنها متمنعة عن الخوض في الرئاسيات حتى لا تكون عدوة للحراك.

رئيس بقبعة عاطفية

آمن الكثيرون أن الحملات التي شنت ضد ميهوبي كفيلة برؤيته مكبلا بالأغلال والأصفاد ومقادا إلى السجن، ولم يصدقوا أنه في لمحة خاطفة غدا أمينا عاما بالنيابة للتجمع الوطني الديمقراطي ثاني أقوى حزب في البلاد بل مترشحا باسمه للرئاسيات. وقد تحدث المفاجأة وهي ليست مستحيلة في بلد مازال الكل يعتقد أنه بلد المعجزات والبطولات الخارقة والإنجازات الخرافية. ليست مستحيلة في عرف وتخطيطات ورسومات ميهوبي فقد كان يقول دوما إنه يدين للسلطة للموقع الذي وصل إليه في منظومة الحكم، وأن الجزائر بلد أعطاه الفرصة تلو الفرصة وقد أحسن استغلالها والاستفادة منها، وحين ينظر إلى مساره الذي كان يمكن أن يكون مختلفا لو أنه اختار أن يدرس البيطرة في المجر أو أن يستكمل دراسته في جوبا عاصمة جنوب أفريقيا بعد أن نال شهادة الباكالوريا، فقد يتغير مصيره كلية وما تلك ببعيدة عن اليد العليا للسلطة الحقيقية.

عالم الصحافة يعود إليه الفضل في تعرف ميهوبي إلى أكثر الرجال نفوذا داخل النظام الجزائري، كالجنرال العربي بلخير، ورئيس الحزب الحاكم الأوحد آنذاك الشريف مساعديه، ورئيس الحكومة الأسبق مولود حمروش وغيرهم

خط واحد طويل وعريض بهي وجميل ومتعرج ومتفنن في رسمه وغامض. ذلك هو خط الشاعر والوزير الأسبق عزالدين ميهوبي طوحت به الدنيا في معارج السلطة بقي وفيا لها، وربما كافأته على حسن الإصغاء والطاعة رئيسا شاعرا أو الرئيس الشاعر، أو أنهت أحلامه وقضت على طموحاته إلى الأبد.

أردني محاط برؤى صحرائه

خالد خريس

رسام الأشياء في أفولها

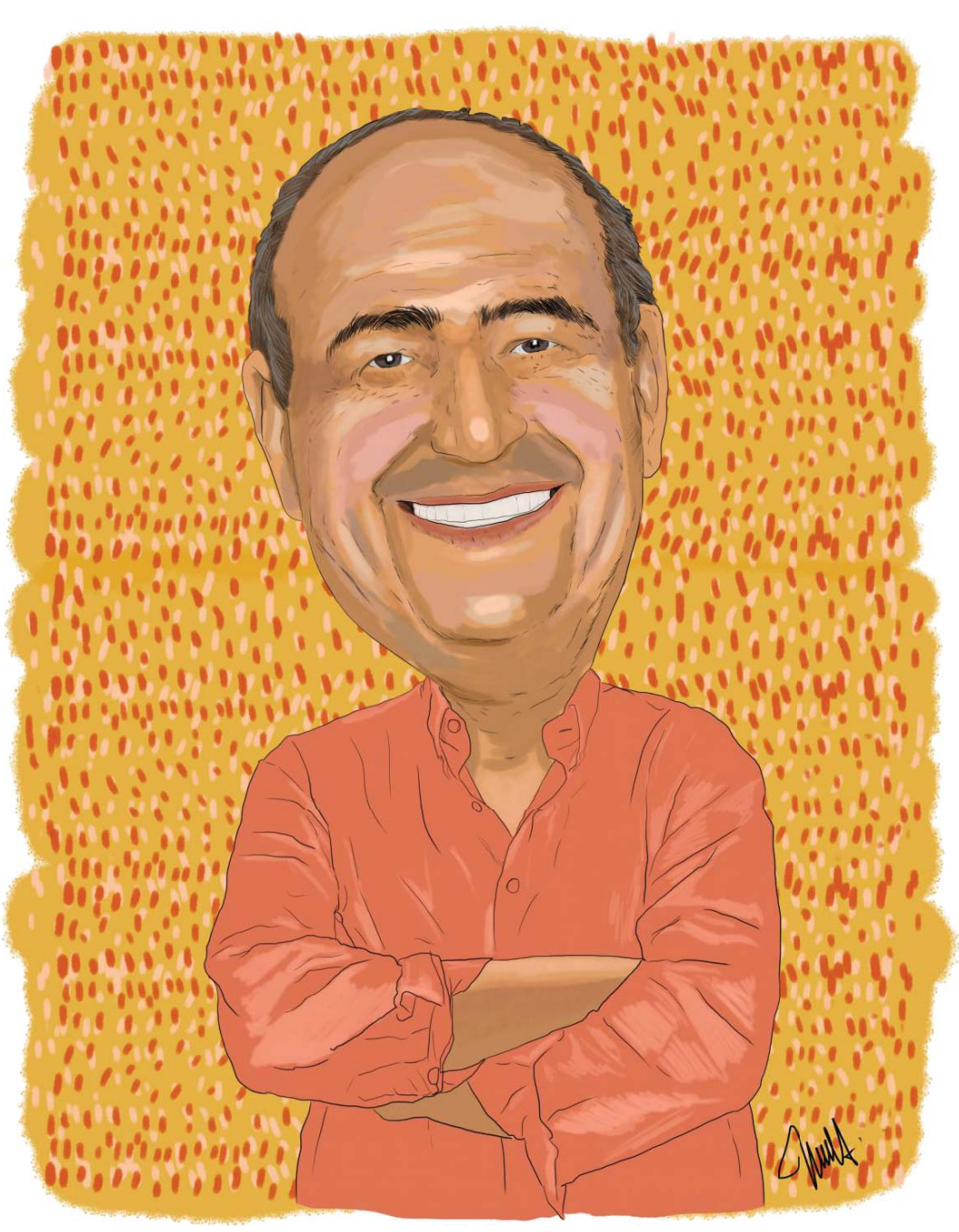

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ما لا نعرفه عن البدوي قدرته على التأمل العميق في اللاشيء. تلك مهارة تتطلب تقنية عالية في الإنصات إلى الأصوات الخفيضة. فكيف إذا كان القصد من الإنصات إنتاج صور يمكنها أن تري ما لا لا يُرى.

تجربة الأردني خالد خريس يمكن اختزالها في المسافة التي تفصل بين البدوي والصورة. وهي مسافة فرضت من خلالها الصورة تقنياتها غير أن البداوة لم تكن مستعدة للقبول بالصلح النهائي لذلك يمكن اعتبار فن خريس قطيعة مؤقتة مع بيئته التي رسم من أجلها.

يعرف خريس أن لا نظير له على الساحة التشكيلية الأردنية لذلك فإنه يرسم ما يراه مناسبا لمخيلته. وهي مخيلة تكونت من مزيج من التأثيرات.

ما تعلمه في إسبانيا من تقنيات النظر واللعب بالمساحة أهاده إلى ثقافته التأملية وجعله يتعمق في حقيقة مخزونه البصري الذي يستمد قوته من الثقة بما لا يُرى كونه جزءا من عالم حقيقي.

تجربة خريس يمكن اختزالها في المسافة التي تفصل بين البدوي والصورة. وهي مسافة فرضت من خلالها الصورة تقنياتها غير أن البداوة لم تكن مستعدة للقبول بذلك الصلح النهائي

ذلك ساعده على استخراج مفرداته كما لو أنه يستعيرها من أشباح وقفوا إلى جانبه وهو يقاوم الرموز والإشارات والعلامات المتاحة التي دأب الرسامون من حوله على إلصاقها على سطوح لوحاتهم.

عالم خريس لا يستدرج معاني بعينها بل يفيض بسحر تلك المعاني من غير أن يعتبرها هدفا له. وهو في ذلك يفلت من قبضة المعنى وفي الوقت نفسه ينقب بحثا عن أسباب جاذبيته، التي هي استثناء بالنسبة لعملية النظر.

يرسم خريس كما لو أنه عائد من رحلة في أعماق كون خفي يعرض بضاعته التي لا تذكر بشيء سبق لنا أن عرفناه أو سمعنا عنه. تلك غواية يمارسها مثلما يفعل الساحر الذي لا يرغب في الإفصاح عن بضاعته الأصلية حين يكتفي بتأثيرات حيله الماكرة.

خريس ينسينا مصادره الجمالية حين يضع لقاه أمام أبصارنا كما لو أنه اخترعها لتوه. رغبته المثالية في أن نقتنع بأنها ابنة لحظة الرسم الخاطفة وهي ليست كذلك بالتأكيد.

إنه يرسم ما رآه وعاشه في الوقت نفسه. هو في ذلك يخلص إلى تجربته الروحية والدرس الذي تعلمه من الفن في الوقت نفسه. إنه فنان يراقب المسافة التي تفصله عن مصادره البصرية. وهي مصادر واقعية ولكن لا يمكن التأكد من واقعيتها. غير أن ما يطمئنه شعوره بأن كل شيء في رسومه يمت إلى الحقيقة بصلة.

ما قبل الرسم وما بعده

ولد خريس في الكرك عام 1955. درس الرسم والحفر الطباعي في جامعة سات جوردي بإسبانيا ثم حصل على شهادة الدكتوراه في فلسفة وتاريخ الفن من جامعة برشلونة عام 1993.

قام بتدريس الرسم في معهد الفنون الجميلة كما تولى رئاسة قسم التصميم الداخلي في جامعة البتراء. سبق له أن عمل في دارة الفنون مسؤولا ثقافيا وهو يدير منذ سنوات المتحف الوطني الأردني للفنون. أقام ثمانية عشر معرضا شخصيا في الأردن وإسبانيا والنرويج. وآخر معارضه كان بعنوان "ذاكرة المطر" أقامه في قاعة نبض 2019.

وكما يبدو لي فإن ذلك المعرض يمثل خلاصة تجربته بعد عقود من الرسم. وهي تجربة تميل إلى الرسم الصافي. ذلك النوع الفني الذي يغلب عليه طابع الحذف، كما لو أن كثيرا من التفاصيل ينبغي أن تُزال. وهي مهمة شاقة، يتطلب القيام بها الإحاطة الشكلية بكل العناصر التي يتشكل منها المشهد تدريجيا كما لو أنه لم يكن موجودا من قبل الرسم. تلك واقعة لا تقول الحقيقة كلها.

فالرسام يمارس نوعا من "التأويل البصري" وهي عملية معقدة يسعى الرسام من خلالها إلى الاهتداء إلى مواقع السحر الكامنة في المشهد الذي يسعى إلى أن يحيطه بعنايته. لا يبقي على شيء من ذلك المشهد في مكانه حين يحرك عناصره باحثا عن المكان الذي تختبئ فيه ذاكرته. وهو إذا يتخذ من المطر رمزا لما يفعل فلأنه يعرف أن المطر لا ذاكرة له. ذلك ما يفتح الطرق واسعة أمام الرسم باعتباره فعلا يقع خارج الوصف. وهو ما ينهي العلاقة التأثيرية بالمشهد لتبدأ علاقة جديدة يركز الرسام فيها على فعل الخلق.

ما قبل الرسم وما بعده. هناك طبقات من السطوح التي لا يبقي بعضها أثرا للبعض الآخر هي ما تشير إلى المسافة التي تفصل بين عالمين يفصل بينهما الرسم من غير أن يقصد القيام بذلك. وإذا كان الرسم يقوم بأداء دور محايد فلأن الرسام قد خطط إلى الوصول إلى صفاء لغته التي تهبه نوعا من الاطمئنان إلى مصيره.

تأشيرة دخول إلى الخفاء

ما بين مرحلتي ما قبل الرسم وما بعده تتطور لغة خريس لتتخلص من كل ما علق بها من علامات وإشارات ورموز المشهد الطبيعي. ما يُرسم لن يكون بالضرورة ما يُرى.

تعلم خريس أن يقتفي الأثر. وهو فعل يجيده البدو وحدهم. ولكن ما الذي يستفيده الرسام من القيام بذلك الفعل؟ أعتقد أنه لا يقتفي أثر الآخر بل أثره الشخصي. وهو ما يجعل من الرسم بحثا في خبايا الذات. "لقد كنت هناك. وهذا ما أراه. ولكنني لم أعد هناك وهذا ما أعيشه" ذلك لا يعني أن الرسام يعيش في شخصيتين بل أنه عالق بين زمنين.

ما يشهد عليه الفنان من تطور علاقته بالأشياء هو دليل على قدرته على اكتشاف خبايا ذاته التي صارت تتماهى مع الأشياء وهي تبتعد. يرى الرسام أن لديه القدرة على التقاط أثره الشخصي في حياة صار الآخرون يدخلون إليها مثل ضيوف متأخرين. أعتقد أن الرسام صار يجد أن من واجبه أن يمحو آثار أولئك الضيوف ليحتفي بأثره الشخصي.

ولأن الرسام لا يمارس دور المشاهد فإنه يرفض الكثير من العروض المغرية التي تتيح له أن يرسم حياته باعتباره جزءا من الجمع. الرسم يغنيه عن تلك الشبهات. إنه الشخص الآخر الذي يغادر موقعه الاجتماعي ليكون فردا هو بمثابة جمع. لن يكون أثره هناك دائما بل سيرافقه ذلك الأثر أينما مضى. إنه علامته وهو تأشيرة دخوله إلى عالمه الشخصي.

المسافر وحيدا

"رسام روحاني" كما لو أنه باحث في علم الأرواح. لن يكون ذلك الوصف ملائما. فخريس لا ينكر واقعيته. كما أن لوحاته لا تزال تشكل امتدادا لما يُرى. هناك وقائع يحولها إلى أفكار بسبب غلبة الطابع الفني كما أن هناك أفكارا قد تحولت إلى وقائع بحكم التجربة المعيشة. في الجانبين هناك ما يُبصر وما يُسمع وما يُشم وما يُلمس. تشترك الحواس كلها في تأليف حكاية مغامرة شاء الرسام أن يصنع لها فضاء تحلق فيه.

سيُقال إنها الروح. ولكنها تسمية مضللة بالنسبة لرسام يؤمن أن الرسم فعل مادي. "تلك هي ثمرة العيش المباشر" سيقول خريس كما لو أنه يحلم. لقد حلم حياته بجزئيها. الجزء الذي عاشه والجزء الذي حلمه ومزج بين الإثنين فكان عالمه الذي يتشبه بخيال مسافر لا يعرف متى يحط رحاله. إنه المسافر وحيدا وسط جوقة أصوات باحثا عن صوته.

خريس هو رسام ذلك الصوت الذي تم إنقاذه بمعجزة.

بساطة رسومه توحي بخفة ممكنة غير أن المرء ما أن يقترب منها حتى يكتشف أنها عميقة بطريقة تدعو إلى الحيرة.

خريس يرسم كما لو أنه عائد من رحلة في أعماق كون خفي. يعرض بضاعته التي لا تذكر بشيء سبق لنا أن عرفناه أو سمعنا عنه

العرب الثقافي
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

ربع قرن على رحيل أجرأ المفكرين التنويريين العرب

الصادق النيهوم مفكرا وأديباً ومقاتلاً لأجل حاضر عربي مختلف

هل غاب الصادق النيهوم حقاً طوال ربع قرن من هذه اللحظة؟ يكاد المتابع لما يحدث على الخارطة العربية لا يصدق هذا. هل كان مفكراً مستقبليا؟ هل كان متمرداً على الفكر الأصولي؟ أكان أصولياً في أعماقه كما يتهمه البعض؟ هل التبست علاقته مع السلطة في بلاده مع فهمه للمادة التي كان يدرّسها لطلابه "علم الأديان"؟

أسئلة كثيرة ما زالت تدور حول هذا الرجل الظاهرة الذي تمكن من طرح العديد من الأسئلة، ليس فقط على الجيل الذي عاصره، بل على الأجيال القادمة التي ستأتي. فعقل النيهوم كان يدرك أنه يستهدف مشاهد من حياة وتاريخ العرب والمسلمين في حالة صعود وهبوط مستمرة، وبالتالي فقد صمم لها في ما أتاحه له عمره القصير فضاءات تتحرك فيها مفكرة فيها ومحللة لتعقيداتها ومفككة لتفاصيلها.

"الجهل مثل المعرفة كلاهما قابل للزيادة بلا حدود" كان هذا ميزان النيهوم، وقد صدق الصادق في توصيفه لتلك القيمة المسماة بالجهل. فازدياد المعرفة ليس خبراً جديداً. لكن تراكم الجهل جرس إنذار كبير كان يقرع عند الانتهاء من كل سطر كتبه النيهوم، سواء في أبحاثه أو أعماله الأدبية والموسوعية.

وحين تنظر "العرب" اليوم إلى تلك الشاشة المعرفية التي تضيء وتضجّ وهي تعرض مشاهد ملحمية فكرية يكابدها الناس من بغداد إلى طرابلس، إلى بيروت ودمشق وصنعاء والخرطوم والجزائر والمساحات الشاسعة بين كل تلك المراكز الحضارية، وتستعيد النيهوم إلى قلب الصورة، فهي تستحضر ذكراه محللاً لما سبق هذه اللحظة من مقدمات، وشاهداً على تحولاتها، ومبشراً بما سيليها من مآلات.

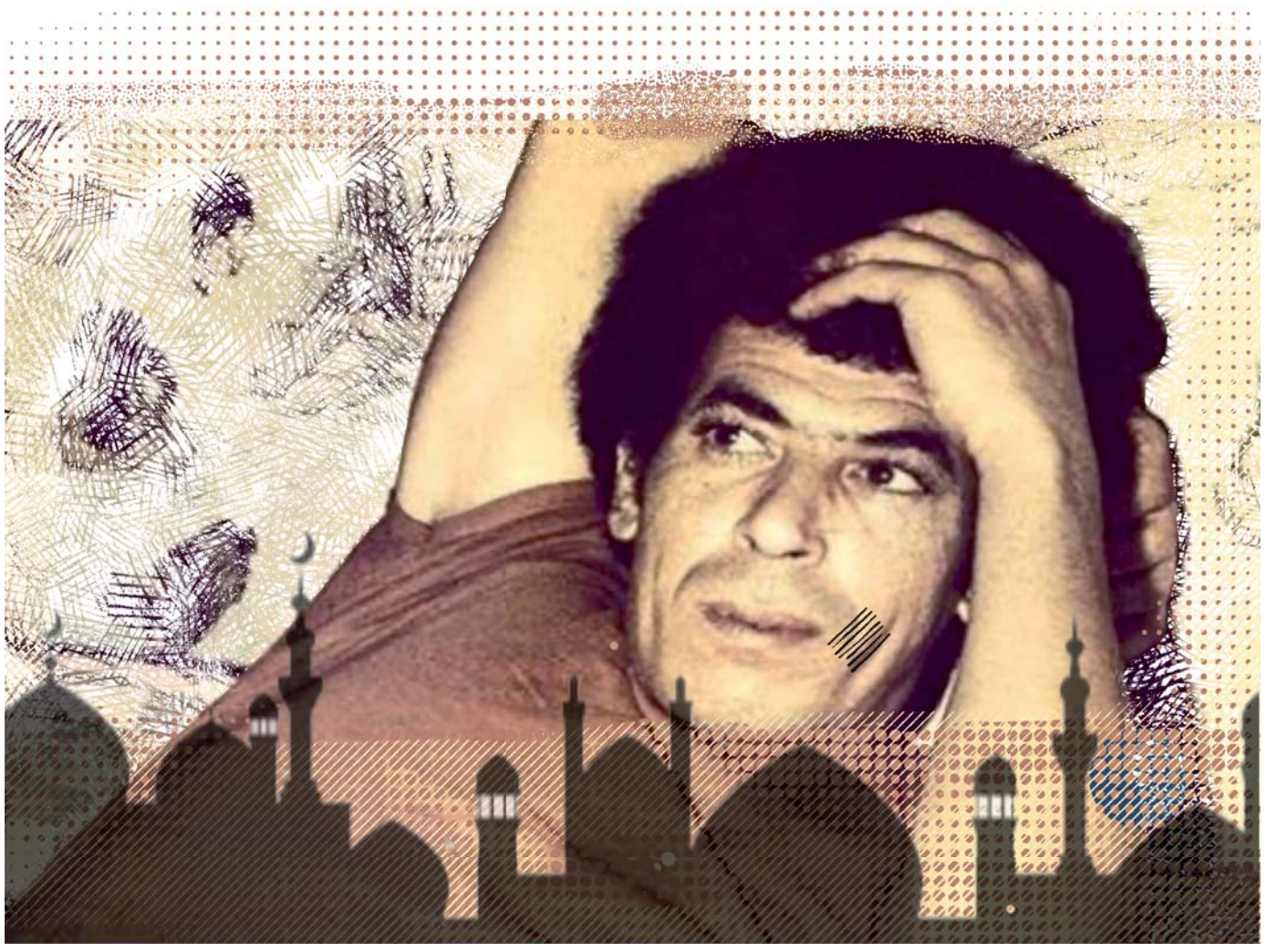

بورتريه للنيهوم بوصفه صوت الناس للفنان الليبي محمد الزواوي

بلد من القش يطفو فوق بحيرات من البترول

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

«أنا لست رجلا مهمّا ولا صاحب سلطان ولكنّ إيماني بالله يجعلني أحسّ بأنّني سأظفر بصداقة الكثير من الرجال الطيبين. وقد حدث ذلك وما زال يحدث كل يوم. وعندما تطويني غربتي وأحسّ بالألم يؤذيني من كل جانب، أرفع رأسي إلى الله وأقول له إنّني وحيد. أبدا لم يتخلّ الله عني، كان يمدّني دائما بعون ما، بأصدقاء طيبين مثلكم، وسوف يفعل ذلك دائما أيضا، لأنّه يعلم أنّني لا أملك سواه، ولا أريد أن أملك سواه. أنا قويّ بإيماني، أقوى من وحدتي وظروفي المحزنة. وإذا التقينا في يوم ما فسوف أقصّ عليكم ما الذي يستطيع رجل وحيد مثلي أن يفعله بالإيمان وحده».

بتلك الكلمات قدم صادق النيهوم نفسه، كان رجلا ممتلئا بالإيمان والوحدة، مهموما بما حوله، متأسيا بالقلم والورقة، ليكتب وفق قوله «لبدلة النحاس المتينة، لأربعة آلاف ميل معبّأ بالشوق والأمنيات، للجزار وباعة العظام وسائقي عربات الأجرة والنقل، وللخفراء والطلبة.. أنا أكتب لكل من أعرفهم، وليس ثمة ما يخيفني من أي اتجاه، فالنقد لا يشعرني بالارتباك. وإذا كان أحد لا يفهمني الآن، فسوف يأتي رجل آخر ويفهمه كل أحد على الفور. أنا لا أريد أن أحقق شيئا سوى أن أهيّئ مكانا لذلك الرجل القادم في الطريق. أجعله أكثر ألفة وأعطيه فرصة ليقترب خطوتين. ما يمدّني بالقوة: أنا أعرف أنه قادم، وأنت تعرف ذلك أيضا».

سيكون على النيهوم أن يقضي الجانب الكبير من حياته غريبا في ملاذات عدة، وبين مدن كثيرة، هاربا من الشمس اللافحة إلى الثلج الحارق، متراوحا بين أفكار واهتمامات ورؤى وخرافات وأسئلة ومواقف ولغات وحضارات وعقائد طالما ألهمته القدرة على مواجهة قدره، بعد أن استشرف مستقبل بلده ليبيا بعيني زرقاء اليمامة ونبوءات عراف يجيد قراءة الرمل «إن ليبيا بلد مبني من القش ويطفو فوق بحيرات من البترول فما أسهل أن تندلع النار فيه، أن تحرقه من أساسه، ولكن ذلك لن يحدث الآن لأننا لم نكتشف النار بعد، نحن المساكين الموغلون في النار والعناد».

بعد رحيل النيهوم اكتشف الليبيون النار التي يحرقون بها بلادهم منذ سنوات، فالتطرف والإرهاب والصراع على السلطة وثقافة الغنيمة وعقلية الإقصاء والرغبة في احتكار الثروة المتدفقة من تحت رمال الصحراء القاحلة والتدخلات الخارجية، كل تلك العناوين تزيد من إضرام لهب المعركة في البلاد، بينما «الرجال ما زالوا يفهمون الوطنية باعتبارها صراخا غاضبا من إهمال الدولة وحدها، وتجميع الأكاذيب المخجلة فوق أرصفة المقاهي في أيام العطلة، والجري خلال أشهر الصيف وراء مؤجري الشقق وباعة البنات على طول ساحل الفقراء مستعرضين حصيلتهم من مدخرات ليبيا، كأن تلك النقود قد جاءت بطريق العرق الشريف»، وفق تعبيره.

حتى الديمقراطية التمثيلية من خلال الأحزاب التي ظهرت في البلاد بعد 2011، انتقدها النيهوم باكرا، هو في هذه المسألة لا يختلف عن صديقه اللدود معمر القذافي الذي كان يجتمع معه في جملة أفكار، وصلت إلى حد الاعتقاد بتأثير حقيقي لكل منهما في مواقف وتجربة الثاني.

يقول النيهوم «إن الديمقراطية الحزبية ليست فكرة طرأت على عقل مفكر، بل بيئة فرضتها ظروف الثورة الصناعية، لم تكن للأوروبيين يد في اختيارها، إلا بقدر ما كانت لهم يد في اختيار جلودهم أو لون عيونهم. ورغم أن شعوبا كثيرة أخرى، قد عمدت إلى تقليدهم، فإن ذلك كان مجرد نوع من خداع البصر بوسائل الماكياج المؤقت». ولكن ما الحل؟ هو يرى أن «الشعوب لا يقتلها الاستعمار ولا تحييها الحرية، ولكنّ فرص البناء المتاحة هي التي تقرر ذلك وحدها.. وليس ثمة شك في أن الزمن أهمّ العوامل بالنسبة للبناء والهدم على السّواء». فـ«بناء المجتمع الحر يبدأ بكسر عزلة الفرد وكسب ثقته للخروج من مخبئة النفسي».

أما «الثورة فلا يحددها الشكل السياسي بل القيم الخلُقية الكامنة وراء جميع أنواع النشاط الإنساني. إنّها تحدث لكي تحقق قيما خلُقية وليس أهدافا سياسية مجردة من هذه القيم، لكن تاريخ الثورات يشير بوضوح إلى أن الثورات احتواها دائما هدف سياسي ما وسخرها لخدمته حتى أُفرغت الثورة نفسها من محتواها الخلُقي في خدمة أغراضها السياسية». إن نبوءات النيهوم قبل عقود هي التي جعلته يشير إلى «أن ليبيا تحتاج إلى مدارس ولكنها تحتاج أكثر إلى حوار طويل ومتزن يتناول معظم بديهياتنا بالنقاش، يتناول سلطة الرجل وسلطة الفقيه وسلطة كبار السن». هذا الكلام موجه بالأساس لفهم طبيعة مجتمع ذكوري، محكوم بثقافة دينية مزورة، وبسلطة قبلية لم تخرج من قمقم التاريخ الملوث.

كان النيهوم نبتا بريا من أرض ليبيا المهيّأة عبر التاريخ لإنتاج المواهب بكل أشكالها الإيجابية والسلبية، وكان منذ بداياته متمردا على السلطة بكل عناوينها، لكن ارتباطه بالبلاد كان واضحا حيث يخاطب أبناء وطنه قائلا «الوطن ليس قطعة الأرض وحدها».

المبدع الذي حارب الجهل

محمد عقيلة العمامي
كاتب ليبي

خمسة وعشرون سنة مرت على رحيل الكاتب الفيلسوف الذي قال "ثم جاء البترول وأنقذنا من الموت جوعا بين جيراننا ولكنه لم ينقذنا من مشكلاتنا القديمة، فالشعوب لا تكبر بالنقود وحدها".

رحل عنا صادق النيهوم، من بعد أن ابتدع ما اتفق عليه الكتاب والمثقفون العرب بـ"الظاهرة النهومية" تفرد في أسلوب كتابته، وصوره ونقده وسخريته فأصبح مدرسة، خلقت جدلا واسعا، سرعان ما انتشر خارج حدود ليبيا.

سيرته الأدبية، وكتاباته انتشرت منذ سنة 1964 مع ظهور صحيفة الحقيقة الليبية، ونشر أول مقالاته (هذه تجربتي أنا) مع بداية الصدور اليومي لصحيفة الحقيقة. ومنها تواصل إنتاجه الأدبي والفلسفي بكتب تزيد عن 20 كتابا غير ما كتب عنه.

في مطلع ستينات القرن الماضي انفكت ليبيا من حصار الجوع الكافر.. والفقر، وكانت المعركة المستحقة التالية هي مع الجهل الذي أورثته لنا خمسمئة عام من العزلة التي فرضها الاستعمار التركي! الذي لم يترك سوى مدرسة واحدة في العاصمة، وترك بقية البلاد مجرد مزرعة جرداء قالت عنها تقارير الأمم المتحدة، بعد الاستقلال، إنها ثالث أفقر دول العالم.

في تلك الآونة ولد في بنغازي العام 1937، صادق النيهوم وانطلق من كتاتيبها عبر مراحل التعليم نحو الجامعة الليبية، تخرج في كلية الآداب والتربية، قسم اللغة العربية، وعُين معيدا في كلية الآداب. وتابع دراساته العليا في جامعة القاهرة، ومنها إلى ألمانيا، وأميركا، واستقر في فنلندا لفترة وتزوج سنة 1966 من زوجته الأولى الفنلندية، ورزق منها بكريم وأمينة، وهناك عمل لفترة مدرّسا بقسم الدراسات الشرقية بجامعة هلنسكي من العام 1968 إلى 1972.

ثم أقام حتى سنة 1975 في بيروت، واصل كتاباته بمجلة الأسبوع العربي، وأشرف على إصدار موسوعة (عالمنا- صحراؤنا-أطفالنا- وطننا-عالمنا)، وألحقها برواية (القرود)، انتقل إلى الإقامة في جنيف العام 1976 وأسس دار التراث، ثم دار المختار، وأصدر سلسلة من الموسوعات، أهمها (موسوعة تاريخنا-موسوعة بهجة المعرفة)، وعمل بجامعتها أستاذا محاضرا في الأديان المقارنة. وتزوج للمرة الثانية من الفلسطينية أوديت حنا. كان يتقن عددا من اللغات الأجنبية ويكتب في النقد الأدبي والمقالة الأدبية والقصة القصيرة والروايات ومقارنة الأديان والفكر، إلى أن توفي هناك يوم 15 نوفمبر 1994 ودُفن بمسقط رأسه مدينة بنغازي يوم 20 نوفمبر 1994.

إنه القائل:

● شيوع الفقر والجهل بين أغلبية الناس، ليس سببا في تخلفهم، بل ترجمة حرفية له.

● الجاهل مثل ساعة مليئة بالأوساخ، تشير عقاربها عادة إلى منتصف الليل فيما يتناول الناس إفطارهم في الصباح، إنه يعيش متأخرا بضع سنوات وأحيانا أيضا بضعة قرون دون أن يهمه بالطبع أن العالم من حوله لا يتحرك طبقا لتوقيته الرديء، إنه شبح من مذبحة الماضي وراء قناع مواطن معاصر. جزيرة تائهة أو قارة بأسرها تائهة تتسكع في عصر منقرض وتراقب عصرنا بازدراء مستعدة لأن تعلق في عنقه أي تهمة تخطر ببالها بمجرد أن يتجرأ على إبداء شخصيته المختلفة، إن الجاهل حارس مقبرة غير مرئية.

● الجاهل لا يبيع بضاعته بالمنطق بل بالشعر وحده، إنه لا يقنعك بفكرته بل يغريك بها، وإذا رفضت إغراءه يلجأ إلى تهديدك وإذا رفضت تهديده انقطعت علاقته بك عند هذا الحد، إنه لا يجيد استعمال الرباط الفكري ولا يعرف كيف يحشر يده داخل دماغك لكي يقنعك بحجته لأن هذه المعجزة لا تتم دون (الإقناع المنطقي) ولأن الإقناع المنطقي آخر بضاعة في حانوته المعبأ بالأشعار، فإنه عادة ينفض يديه منك بأن يقطع رأسك أو يكرهك في الخفاء. إن الجاهل لا يستطيع أن يسلك طريق النقاش المنطقي دون أن يفقد جهله، أعني يموت جائعا ويمشي في جنازته ويتقبل تهاني المعزين.

● والمواطن الجاهل لا يعني أنه (المواطن غير الفعال) بل يعني المواطن الفعال في الاتجاه الخاطئ كما تنشط خلية السرطان في تحقيق المزيد من المرض.

الجاهل ليس دماغا أبيض ممسوحا، لا يضم في داخله سوى الفراغ، بل دماغ مليء حتى حافته بأشكال خاصة من المعارف الخاطئة.

● الجهل مخدر دائم الأثر، إنه لا ينتهي مثل باقي المخدرات عند حد تدمير صاحبه بل يمد أذرعته الشنيعة لكي يدمر كل شيء حوله في جميع الجهات.

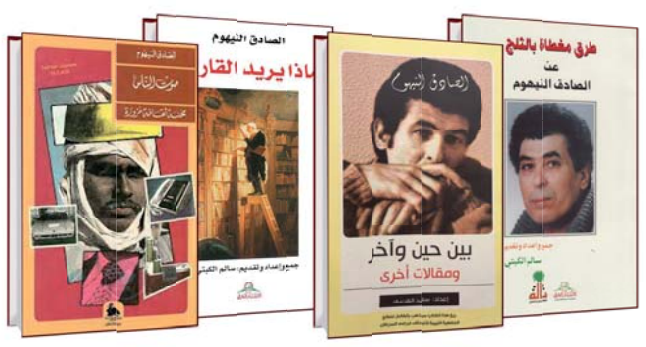

أعمال الصادق النيهوم

■ "من مكة إلى هنا"، دار الحقيقة – بنغازي، 1970
■ "القرود"، دار الحقيقة – بنغازي، 1975
■ "الحيوانات"، الدار الجماهيرية – طرابلس، 1984

النتاجات الأخرى:

■ "بابا هيمنغواي" (ترجمة)، 1966
■ "موت رئيس جمهورية" (ترجمة)، 1967
■ "الذي يأتي والذي لا يأتي" (دراسة)، 1967
■ "الرمز في القرآن" (دراسة)، 1967
■ "العودة المحزنة للبحر" (دراسة)، 1969
■ "تعليق على مذكرات خرتشوف" (ترجمة)، 1971
■ "من قصص الأطفال" (قصص)، 1972
■ "فرسان بلا معركة"، دار الحقيقة – بنغازي، 1973
■ "تحية طيبة وبعد"، دار الحقيقة – بنغازي، 1973
■ "موسوعة تاريخنا" (ستة أجزاء)، دار التراث – جنيف، 1977
■ (موسوعة بهجة المعرفة – موسوعة عالمنا – موسوعة صحراؤنا – موسوعة أطفالنا – موسوعة وطننا موسوعة عالمنا)
■ أطلس الرحلات (8 أجزاء)، 1979
■ موسوعة الشباب المصورة (8 أجزاء)
■ موسوعة السلاح المصورة
■ "صوت الناس" دار الريس – لندن، 1990
■ "محنة ثقافة مزورة"، 1991
■ "الإسلام في الأسر"، دار الريس – لندن، 1991
■ "إسلام ضد الإسلام"، 1993
■ "نقاش"، تالة للطباعة والنشر، 2001
■ "طرق مغطاة بالثلج" (جمع وإعداد وتقديم سالم الكبتي)، دار تالة – طرابلس، 2001
■ "الحديث عن المرأة والديانات" (سلسلة الدراسات 1)، تالة للطباعة والنشر، 2002
■ "كلمات الحق القوية" (سلسلة المقالات 1)، تالة للطباعة والنشر، 2002
■ "أسئلة" (سلسلة المقالات 2)، تالة للطباعة والنشر، 2002
■ "الكلمة والصورة" (إعداد وتقديم سالم الكبتي)، تالة للطباعة والنشر، 2002
■ "قطعان الكلمات المضيئة" وهي دراسة مقارنة مع معاصره الأديب خليفة الفاخري (محمد عقيلة العمامي) 2003
■ "العدو في الداخل" (جمع وإعداد وتقديم سالم الكبتي)، 2010
■ "ماذا يريد القارئ؟" (جمع وإعداد وتقديم سالم الكبتي)، 2010

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

المفكر روائيا

الصادق النيهوم كاتب الناس وصوت فكري جريء (غرافيك «العرب»)

عواد علي
كاتب عراقي

وجد العديد من المفكرين العرب في السرد الروائي ملاذا للتعبير عن مواقفهم وتأملاتهم وتجاربهم، وبث أفكارهم المتعلقة بالمعضلات السياسية والاجتماعية والدينية، والكون والطبيعة، وعالم ما وراء الطبيعة، بصيغة تمثيل واقعي أو تخييلي رمزي. من هؤلاء المفكرين نذكر، تمثيلا لا حصرا، التونسي محمود المسعدي، والمغربيان محمد عزيز لحبابي، عبدالله العروي، والمصريين عباس محمود العقاد، ورفعت السعيد، والسوري مطاع صفدي، والعراقي عزيز السيد جاسم، والأردني غالب هلسا، والليبي الصادق النيهوم، الذي نحاول في هذا المقال الوقوف على رواياته الثلاث "من هنا إلى مكة"، "القرود" و"الحيوانات".

من مكّة إلى هنا

تدور أحداث رواية "من مكّة إلى هنا" (1970) في قرية الصّيّادين الواقعة على طرف خليج سوسة في ليبيا، أيام الاحتلال الإيطالي للبلد، ذلك الاحتلال البشع الذي أحكم قبضته على الليبيين، وجنّدهم استعدادا لغزو الحبشة. بطل الرواية أفريقي زنجي يدعى مسعود الطّبّال مهاجر إلى شمال قارته، كان يسكن في بنغازي ثم انتقل إلى قرية الصيادين ليصيد السمك ويعتاش منه. وهو يذكّرنا، بعناده وشيخوخته ووحدته، بشخصيّة الشّيخ الصيّاد سنتياغو في رواية همنغواي الشّهيرة "الشّيخ والبحر"، وقد جُرّد من كلّ الصفات الّتي تجعله في مرتبة الأبطال. لكن الأحداث في الرّواية قليلة لأنّ معظمها يدور في سريرة مسعود وباطنه أكثر ممّا تجري في أرض الواقع، فهو في صراع محتدم مع فقيه القرية، القابض على سلطة الدين، بدلالتها الكهنوتية القمعية، وذلك لأنّه، أي مسعود الطبال، يصطاد السلاحف، التي يعتبرها الفقيه، ممثل القوى الرجعية المتخلفة، مباركة ويحرّم اصطيادها، ومن يفعل ذلك فإنه يتحدى الله والأرواح، متغافلا عمدا قول الله "أحل لكم صيد البحر وطعامه"، وعندما يغرق الصبي الذي يعمل مع مسعود، يفسر الفقيه الحادثة بأنها رسالة من الله، في حين أن مسعودا لا يبتغي اصطياد السلاحف فقط، بل يريد زيادة عدد ما يصطاد لأنّ ثمة إقبالا على تناولها في مطاعم الإيطاليين، من خلال تزويد قاربه المهترئ بمحرك (موتور)، ينوي شراءه من أحد الإيطاليين، ليتمكن من التوغل إلى عمق البحر ومصارعة جنونه. وهكذا ينمو التمرد في داخله وهو يجابه خرافات الفقيه، التي تعرقل مسعاه لتحسين معاشه، وتُربك نومه، بل تتراءى له أحيانا كشبح. والأسوأ من ذلك أن الفقيه يسيطر على عقل زوجة مسعود، ويملأ رأسها بخرافاته، وهي المرأة الساذجة التي لا يتجاوز حلمها أداء فريضة الحج.

إن صراع مسعود الطبال مع الفقيه، الذي يعده عبدا مارقا لأنه تمرد عليه، يشير إلى موقف الصادق النيهوم المناوئ لهيمنة السلطة الدينية البطاركية المتجذرة في الواقع، ومعاداتها لأي تحديث أو تغيير من شأنه أن يضعف نفوذها، وما محاولة مسعود الحصول على "موتور" لقاربه، رغم فشلها، إلا مسعى تحديثي/خلاصي يقوض هذه السلطة. كما يفضح النيهوم، من خلال اشتباك اللون مع الدين، العنصرية ويدينها، ويجعل من الزنجي محنكا يتخذ من زنوجته أيقونة للوجود؛ وجوده هو، ومعنى الوجود ذاته بالمعنى الفلسفي.

> صراع مسعود الطبال مع الفقيه، الذي يعده عبدا مارقا لأنه تمرد عليه، يشير إلى موقف الصادق النيهوم المناوئ لهيمنة السلطة الدينية البطاركية

يشكّل المونولوج لحمة الرواية، فمسعود الطبال هو قلبها ونواتها، والكائن الفرد الذي كثيرا ما يكون في المكان وحيدا، ولا زمان له غير الزمن الذاتي، وزمن الطبيعة البحرية، وكأنما يعطي ظهره لزمن الناس بانشغاله بالبحر وعراكه ومناجاته. ويستثمر النيهوم ذلك ليجعل شخصية مسعود الطبال متمردا وجوديا يصوغ نفسه عبر أسلوب المناجاة في نسيج الرواية، ويعيش مع أفكاره أكثر مما يعيش مع عالم الصيد، لكنه في نسيج الفضاء السردي (قرية الصيادين) كائن لا منتمي هامشي، وكأنه إحدى شخصيات كولن ويلسون.

القرود: الصراع من أجل الهيمنة

تقوم رواية "القرود" (1975) على سرد يرمز إلى التنافس بين البشر، على نحو عام، وربما إلى الصراع الدولي وكذلك المحلي، على السلطة والسلاح والقوة والثروة والإناث، حيث يستمر الصراع بين الذكور الأقوياء في قطيع القرود، وتكون الغلبة لمن يملك القوة العضلية والمهارة القتالية اليدوية إلى أن يكتشف أحدهم، عن طريق الصدفة، صناعة سلاح عجيب يقلب ميزان القوى، وهو عبارة عن عصا في رأسها عقرب سامة مثبتة بخيط، عندئذ تميل الكفة في الصراع بين زعماء القرود على القيادة والإناث لصالح من يمتلك هذا السلاح الفتاك المخيف! لكن هؤلاء الزعماء يتعلمون بدورهم صناعة هذا السلاح، ومن ثم يمتلكون قوة ضافية في مواجهة خصومهم، ويحصل نوع من توازن القوى الرادع بين الذكور الأقوياء في مجتمع القرود إلى أن يحدث ما لم يكن في الحسبان حيث يتعلم كل من هبّ ودبّ من القرود صناعة هذا السلاح، فتصبح جميع القرود مسلحة، ويفقد الذكور الأقوياء والزعماء، عندئذ، مصدر قوتهم وهيبتهم، فيدب الاضطراب في مجتمع القردة، وتتلاشى السلطة وتسود الفوضى.

ومن الواضح أن الصادق النيهوم يحذو في هذه الرواية، وروايته الثالثة "الحيوانات"، حذو العديد من الكتّاب العرب والأجانب، قديما وحديثا، في توظيف عالم الحيوان رمزيا، مثل ابن المقفع في كتابه الشهير "كليلة ودمنة" وابن طفيل في "حي بن يقظان"، وإيسوب في حكاياته الخرافية التي يدور معظمها حول الحيوانات، وحديثا جورج أورويل في روايته "مزرعة الحيوانات".

الحيوانات: رؤية نقدية للإقصاء

شيد الصادق النيهوم العوالم الحكائية لروايته "الحيوانات" (1984) في سياق رؤية فنية حاولت التوفيق بين عناصر سردية تسترفد مقوماتها من الموروث الحكائي العربي القديم وعناصر سردية أخرى تستمد مكوناتها من السرد الحديث. ويمكن تحديد هذه العوالم بأربع حكايات هي: الحكاية الإطارية (حكاية الصقر والذئب)، حكاية الأسد والذئب، وحكاية الفيل، وحكاية السنجاب والصقر، وهي تنتظم ضمن نوع من التوالد السردي الذي يقوم على بنية سردية كبرى (الحكاية الإطارية)، وبنيات سردية صغرى (الحكايات الصغرى)، الأمر الذي أدى إلى تنوع الفضاءات، وتعدد الشخصيات، وتناسل الأحداث في شكل تداعيات جمعت بين الحقيقة والخيال، والواقع والرمز، والتجسيد والتجريد الذي ينزع، في بعض الأحيان، إلى توظيف العجائبي، وذلك على النحو الذي تمثله حكاية اختفاء الفيل.

إن شخصيات الرواية تتماهى والشخصية الخرافية في الكثير من الخصائص، الأمر الذي يدفع إلى طرح أكثر من سؤال حول هوية المكون الحكائي، هل هو شخصية روائية أم شخصية خرافية، أم أنه مزيج "شخصياتي" هجين تمتزج فيه العناصر الروائية بالعناصر التراثية؟ ويرى أحد النقاد أن الصادق النيهوم عمد إلى بناء شخصية روائية فريدة تتماهى والسرد التراثي، خاصة على مستوى الاحتفاء بالعنصر الخرافي، بحيث أفرز شخصية روائية اكتسبت ملامحها وسماتها انطلاقا من تعالقها الفني المباشر بالشخصية الخرافية، تعالق يمكن اختزال تمظهراته بعدة نقاط هي:

1 – عدم حمل الشخصية اسما معينا يحيل إلى تكوين اجتماعي وثقافي معين، على الرغم من تقديم بعض الملامح التعريفية التي ترتكز إما على صفاتها النوعية (أسد، ذئب، أرنب، فيل، جمل، تمساح، ثعلب، خرتيت...)، أو الطبقية (رئيس الحكومة، وزير الداخلية، وزير الثقافة، وزير العدل...)، أو العلائقية (أب، أم، ابن...).

2 – الطابع النمطي والجاهز للشخصية، فهي شخصيات جامدة، غير نامية، الأمر الذي جعلها أقرب إلى المقولات الفكرية منها إلى الشخصيات الروائية.

3 – بُنيت الشخصية الروائية على أساس التقابل الثقافي بين شخصيات معتدية (مفترسة/قوية) وأخرى مُعتدى عليها (ضعيفة/ ضحية). لذلك كان الصراع ذا نمط علائقي مهيمن يجمع بين هذه الشخصيات.

مفهوما المقدس والتنوير في فكر الصادق النيهوم

فيصل عبدالحسن
كاتب عراقي

من يريد فهم فكر الصادق النيهوم، الكاتب الليبي الموسوعي وشخصيته، عليه قبل أن يقرأ كتبه أو مقالاته المنشورة في جريدة الحقيقة الليبية ومجلة الناقد وغيرهما أن يحلل واقعة مهمة مرّتْ بحياة النيهوم وساهمت في خلق نظرته العقلانيّة الساخرة في بعض الأحيان للمقدس وشبه المقدس في حياة الناس في كتاباته المختلفة. تعود الحادثة إلى العام 1937 العام الذي ولد فيه النيهوم، في مدينة بنغازي، لأب بحّار يعيش مسافرا أكثر مما يعيش مستقرا، وأم مريضة توفيت لاحقا، وهو لم يزل ابن شهرين، مما جعل والده يعتمد في تغذية الرضيع على حليب نعجة.

هذه النعجة بعد أن كبر الصادق النيهوم، وبلغ مبلغ الشباب، كان يراه صديقه أحمد القلال، الأديب والناقد الليبي، كلما زاره في بيته، يجلس فوق جلدها الصوفي، ولم يتردد بإخبار القلال ساخرا، أن والده احتفظ له بهذا الجلد الصوفيّ، الذي يجلس عليه الآن، وهو يعود للنعجة، التي رضع حليبها، بعدما توفيت أمه وهو لا يزال رضيعا.

روى الحادثة صديقه القلال في مقال له ضمن كتاب بعنوان "طرق مغطاة بالثلوج عن الصادق النيهوم" جمعه وأعده سالم الكبتي ـ صدرعن سيرة النيهوم عقب وفاته في العام 1994.

إشكالية مزج الفكر المقدس بالفكر التنويري في قالب فلسفي وأدبي نجد بذوره في الحادثة السابقة، المؤثرة في حياة النيهوم، فلا نستغرب قوله في كتابه "الإسلام في الآسر" 1991 (افتحوا نوافذكم على العالم، وواجهوا أنفسكم، ودعوا الأشياء تنال قيمتها الحقيقية دون إقحام لعوامل الغضب أو الرضا) وناقش الخطاب الديني، ودور الجامع وتفكيك نظام العدل الاجتماعي في الإسلام، وضرورة توظيف ما يسميه النيهوم بـ(حزب الجامع) لإنقاذ الإسلام من عبودية التاريخ، ليواجه الإقطاع والأصولية، وذكر فيه أيضا أن "المجتمع الجاهل لا يملك أفكارا معروضة للنقاش، لأن كل فكرة في حوزته مقدسة أو شبه مقدسة أو ربع مقدسة".

وكانت الردود كثيرة على هذا الكتاب المثير للجدل من قبل كتاب إسلاميين كثيرين اعتبروا أن الكاتب لا يطبق الشريعة الإسلامية، ولم يدرس فقهها، لذلك فلا يمكن الركون إلى أحكامه وتحليلاته للإسلام.

خاطب في أحد مقالاته من يريد شراء الكاتب العربي مازجا بين الجد والسخرية "أن الكاتب ليس جروا مسعورا تربطونه أمام بيوتكم لكي يعضّ لكم المارة مقابل قرشين" وذكر فيه الشخصية العربية وطريقة قيادتها، فقال "قد لا نملك فرصة في خلق حياتنا لكننا نملك كل شيء في ما يخص قيادتها"، دعوات النيهوم إلى حرية العقل وتغليبه على ما تعوده الإنسان العربي من عادات وتقاليد جاءت كصرخات مدوّية في الأوساط الثقافية العربية في التسعينات. التوافقية بين فكرة التنوير ونبذ التابوات المجتمعية جاءت أيضا في ثيمة رواية الصادق النيهوم المهمة "من مكة إلى هنا" 1970 حكى فيها عن المقدس وشبه المقدس في حياة مسعود الطبال الزنجي، الذي يقرر مغادرة مدينته بنغازي لأن المستعمرين الإيطاليين يفرضون على ما يصطاده من أسماك ضريبة مرتفعة.

> الكاتب ليس جروا مسعورا تربطونه أمام بيوتكم لكي يعض لكم المارة مقابل قرشين

فيحل في مدينة ليبية بعيدة اسمها "سوسة" وفيها تخفّ قبضة المحتلين، ويتعامل مسعود الزنجي مع إيطالية مقيمة ولديها مطعم، تفضل طهي سلاحف البحر لزبائنها. وكان هذا النوع من الكائنات البحرية شبه مقدس لدى الليبيين، فخرق مسعود هذا العرف وبدأ بصيد وتزويد المطعم بهذا النوع من السلاحف. استثارت أفعاله فقيه الجامع، فأخذ يثير أهل المدينة على مسعود لخرقه المقدس، ويحكي السارد عن ماضي الفقيه، فذكر أنه باع أرضه للإيطاليين لكي يذهب إلى مكة. وهي دلالة على أن الفقيه الذي يتشدق بالدفاع عن المقدس قد فعل الأسوأ، ولكن مسعود لا يتوقف عن صيده للسلاحف، ويبيعها للمرأة، ويقرر صيد ذكر السلاحف، وهو أكثر تحريما عند الليبيين، مما دفع الفقيه لحث رجال المدينة على ضربه، وبالرغم من أن زوجة مسعود تشمئز من صيد السلاحف، وترى أن زوجها يقترف محرما، إلا أنها تدافع عن زوجها بالكلام مع من يضربه من خلال ثقب مفتاح باب السكن.

نجد الإشكالية كذلك في كتبه الفكرية، ومحاولته الربط بين مفهومين متناقضين مفهوم المقدس والتنويري، فالمقدس يرى أن الإنسان عاجز عن إيجاد الحلول لمشكلاته المجتمعية والاقتصادية.

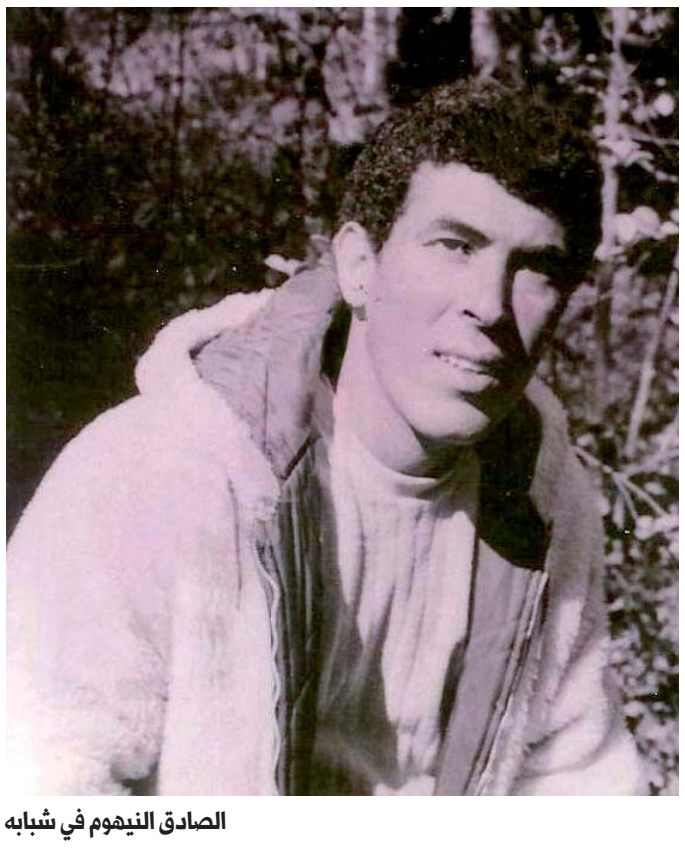

الصادق النيهوم في شبابه

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

كاتب الناس

محمد الأصفر
روائي ليبي

بدأ الصادق النيهوم (1937 ـ 1994) رحلته في الكتابة ككاتب تنويري وجد نفسه في مجتمع شبه أمي خارج من أتون الحروب والأمراض والمجاعات.. وحتى الناس الذين تحصّلوا على تعليم بسيط في الكتاتيب أو المدارس العربية والإيطالية وتمكنوا من القراءة والكتابة وشغل بعض الوظائف الإدارية والخدميّة يعتبرون في المفهوم العام شبه أميين، فليس محو الأمية أن تتحول إلى إنسان يفكّ الحرف ويقرأه فقط، فالخروج من الأمية هو الخروج إلى الفضاء الشاسع من الثقافة.

من هنا ركز النيهوم على كتابة المقالة الأدبية الرؤيوية التي استخدم في صياغتها الكثير من الصيغ البلاغية ووظف فيها الكثير من مشكلات المجتمع متخذاً من شخصيات شعبية موجودة في الشارع قناعاً لقول ما يريد عبرها، وذلك عبر تحريكها درامياً داخل النص لتعبر قصصياً أو حوارياً أو حتى تشكيلياً بواسطة رسم ملامحها وما يحيطها من واجهة بيئية تضعها في السياق وفي قلب الحدث سابرة العديد من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي تمس الإنسان في ليبيا والعالم مباشرة مثل شخصية الحاج الزروق الواردة في نصوصه.

الناس تقرأ للنيهوم لأنها تجد أنفسها داخل نصوصه. تشعر بأنها هي من كتبت المقالة وليس الصادق. تشعر بأن النيهوم قال ما أرادت أن تقوله لكن يعوزها الأسلوب واللغة والمنبر الصحافي والشجاعة.

لقد بذل النيهوم جهداً كبيراً في صياغة مقالاته لتوافق مساحة كبيرة من أمزجة المتلقين الذين خبرهم وعاش بينهم وتشربهم عن كثب. كان يكتب المقالة الواحدة عشرات المرات حتى يرضى عنها قليلاً وهو بالطبع كأي مبدع كبير لا يمنح نصه الرضا الكلي أبداً، لأن نصوصه متولدة ومتفجرة وكلما قرأ النص مجدداً تفتحت أمامه مسارب جديدة يمكن التعاطي معها إبداعياً، وكتابة المقالة عشرات المرّات من كاتب مبدع بحجم النيهوم ليس لديه مشكلات في النشر ومشهور ومقروء جداً سأعتبرها احتراماً للنفس وتقديساً للكلمة ولفن الكتابة وتمجيداً للقارئ المتلهف لعناق هذه الكلمات.

سأعتبر تكرار إعادة المقالات من أجل تجويدها وصقلها أكثر –من كاتب ولو حتى نطح برأسه المغموس في الحبر الورق لتمت قراءته– جهداً جباراً ذهنياً وبدنياً وزمنياً سيشكره دائما عشاق الأدب عليه.

الناس تقرأ للنيهوم لأنها تجد أنفسها داخل نصوصه. تشعر بأنها هي من كتبت المقالة وليس الصادق. تشعر بأن النيهوم قال ما أرادت أن تقوله لكن يعوزها الأسلوب واللغة والمنبر الصحافي والشجاعة. لقد بذل النيهوم جهداً كبيراً في صياغة مقالاته لتوافق مساحة كبيرة من أمزجة المتلقين الذين خبرهم وعاش بينهم وتشربهم عن كثب

النيهوم كاتب تنويري من جماعة الفن من أجل الحياة، وإن كان لديه فن من أجل الفن فسنجده متركزاً فقط في حياته الشخصية وفي طريقة لبسه وأسلوب معيشته. وهو رسول سلام وحب وتسامح. ولقد وجدت ذلك في الكثير من نصوصه الداعية إلى التفكير والتأمل خاصة في نصه القصصي بعنوان "حكاية" المنشور في العدد 59 من مجلة المؤتمر. في هذا النص استدعى مناضل اللاعنف المهاتما غاندي ووضعه صحبة مغزله الإنتاجي في قلب رقعة الشطرنج أثناء وطيس مباراة نهائية في كأس عالم هذه اللعبة.

ولعل الإسقاط هنا يأتي بنا إلى حلبة الحياة والصراع الجاري فيها بين النقيضين، الخير والشر، النور والظلام، الموت والحياة.. لقد صوّر على هذه الحلبة الواقع الآن وفي معظم فترات القرن العشرين.. قرن الحرب الباردة والساخنة. قرن الحروب العالمية والاحتلالات الغادرة والمجاعات. قرن الدم من دون منازع.. قرن الحروب العالمية والإقليمية، الصراع بين السوفييت والأميركان على ثروات العالم.

لقد وجد غاندي نفسه في قلب حلبة الصراع بمغزله الذي سيضمد بقطنه وصوفه جراح الإنسان والذي سوف يصنع له من خلال خيوطه ثوباً من الحنان والسلام والدفء. لكن وجود غاندي في قلب رقعة الألم بمغزله لم يقنع القوى الغاشمة ومجانين الدماء والنار فتم دهسه وسحقه والمرور على جثته النحيلة وحرقه وترميده. فصار رفيسة للفرس ومداساً للفيل ومسخرة للبيادق العرجاء والكسيحة.. وحتى القلاع والوزراء والملوك اقتربوا من غاندي السلام ووبخوه وبصقوا عليه وأصدروا أوامرهم الصارمة بتصفيته فوراً وبحرق مغزله حتى لا يتحول إلى شهادة على قبره. والطريف أن هذه اللعبة تقتل غاندي ثم تعيد بعثه من جديد وإخراجه من صندوق القطع الميتة وتثبيته في قلب الرقعة والعبث به وقتله. فالمباراة العالمية مازالت جارية ولم تحسم ولم تنتهِ ولن تنتهي أبدا، مباراة افتتحها الإنسان بجريمة قتل هابيلية أو قابيلية لست متأكداً من قتل الآخر الآن.

غاندي الذي وضعه النيهوم في قلب معركة "الشطرنج" يمثل الإنسان البسيط المسالم الراغب في العيش بسلام، والراغب في التحرك داخل رقعة الحياة بحرية من دون أن يحركه أحد سوى ضميره الحليبي الشفاف. لقد قتل غاندي أكثر من مرة، وكلما حاول أن يتفاهم مع الظالمين بالتي هي أحسن قوبل بالتي هي أقبح.. قوبل بالقوة الغاشمة.

القوة التي نسميها شعبياً "رومني أو أكسر قرنك" وكيف سيروم ويوافق غاندي على الجرائم والقتل والتدمير.. ومن هنا التقط لنا النيهوم شخصية غاندي ووضعها في رقعة شطرنج مباراتها مشتعلة مصوراً لنا أن الحياة رقعة شطرنج تلعب عليها مباراة شرسة يحرك أدوارها أرباب السلطة في هذا العالم على مرأى من الله الذي نقول عنه دائماً إنه يمهل ولا يهمل. لقد تم سحق غاندي وحرق مغزله وذبح عنزته التي ينتج من خلالها شرابه الدافئ بعرق جبينه حيث يقايضها العشب الأخضر وحبيبات الأرز والماء الذي يجمعه لها يومياً بيديه من دون الاستعانة بأي خدم أو منبوذين.

قسم النيهوم العالم إلى لونين ومنح كليهما قطع لعب متساوية وتركهما يلعبان ويتقاتلان أمامه ورمى داخل هذا الجحيم نرده الرابح وهو غاندي المنتج شاهد العصر وزارع العصر بورود السلام والمحبة.

قرأت للنيهوم ووجدتني أمام كاتب ليبي كبير لا يسعك إلا أن تفخر بمنجزه الفكري والإبداعي. لقد بذل هذا الكاتب كل دقيقة في حياته من أجل الإبداع، وكان ذكياً جدا فقد خرج من العمل بالسياسة التي ستحرق إبداعه أو على الأقل ستحوله إلى صحافي نمطي مملّ مبكرا، على الرغم من ترحيب السياسة به وحاجتها إلى مثل هذه العقول النظيفة للسير بها قدماً والرقي بمستوياتها.

لقد فضل الابتعاد عن السياسة كزميله الروائي الكبير إبراهيم الكوني، ووضع كل جهده في تأسيس وإرساء لغة الحوار والنقاش والديمقراطية المباشرة بعيداً عن أجواء البروباغندا والثرثرة والغوغائية في كل قرائه ومجتمعه، محفزا العقل الجماعي والفردي لكل طالب معرفة. كان لا يمل من النقاش ولا يسخر من عقلية القارئ أو المحاور وسذاجته. فالسذاجة أحياناً تكون أرقى درجات الصدق وأشف حالات الفطرة.

كان يتهكم عبر الكلمات ليفضح مدلولاتها.. لقد كان مثل "غناوة علم أدبية" زاخرة بالعمق والتكثيف والخيال والخضرة والضوء الإبداعي المبهر المنبثق من شمس خير الكلام ما قلّ ودلّ. وكان النيهوم يحترم كل من يتحدث معه ويحترم المبدعين الذين جايلوه أو تعلم منهم. يجلس معهم في مقاهي طرابلس ويستمع إليهم ويتحاور معهم.

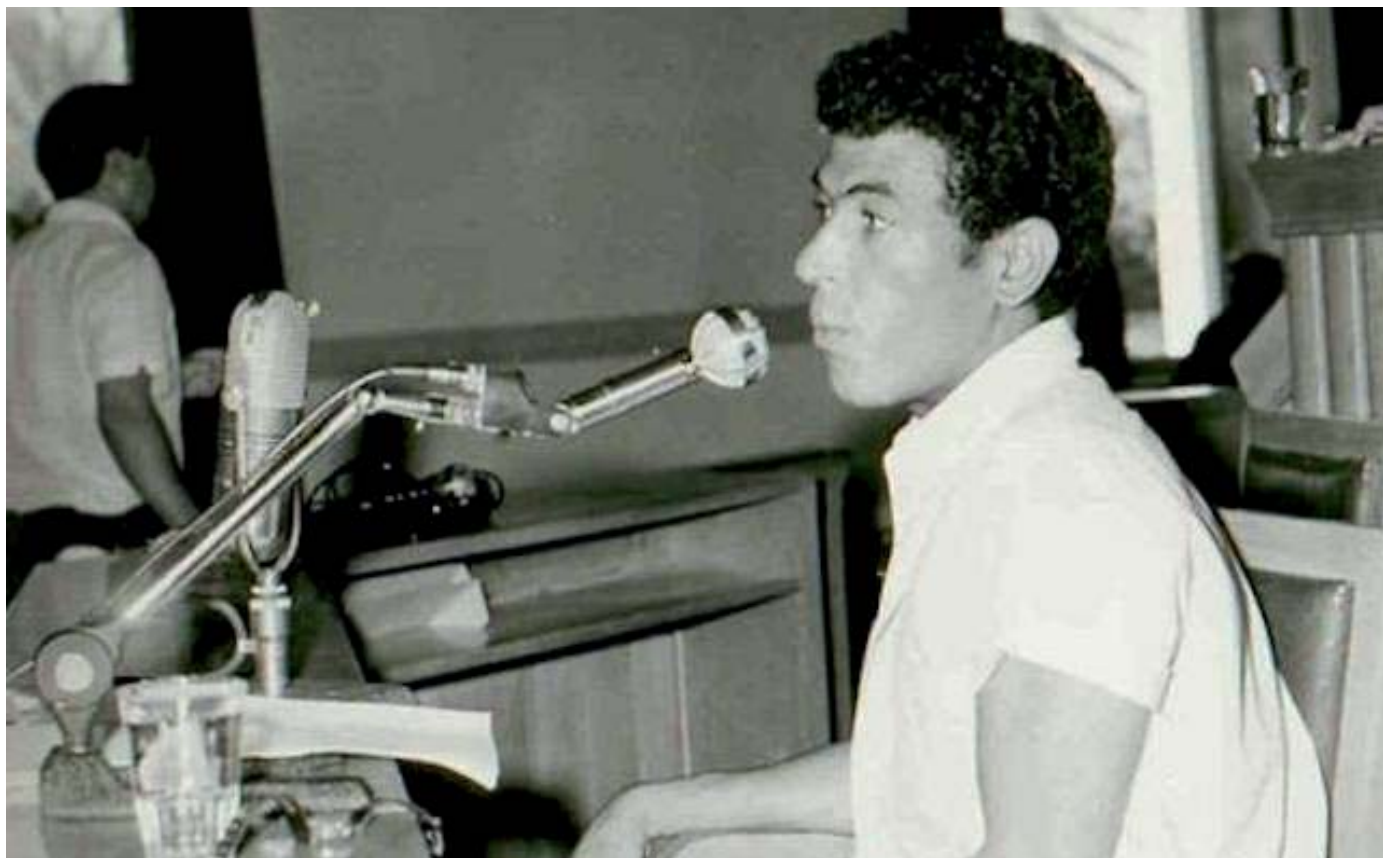

الصادق النيهوم مفكر قرأ الماضي وتنبأ بحريق المستقبل

من يخبر النيهوم أنهم عادوا وسرقوا الجامع

إبراهيم الجبين
كاتب سوري

حين كتب الصادق النيهوم أعماله الجريئة في وقت مبكر، كان الوعي العام في العالم العربي لا يزال يعتقد أن هناك مظلوميات عديدة تختبئ في الأنحاء، هنا أو هناك، ملفات وصناديق سوداء مغلقة، لم يفتحها أحد حتى ذلك الحين. لكن الزمان تغير اليوم. فقد مرّت عقود ثلاثة بعد أن قال النيهوم إن الجامع صار بيت السلطة، وأن الإسلام ليس الإسلام الذي عرفناه. اليوم وبعد أن رأينا دولة الخليفة المزعوم أبي بكر البغدادي "الملفّقة" بالمعنى ما بعد الحديث للكلمة، والتي تستند إلى المنجز الحداثي التقني العصري، من جهة، وتثبّت الوعي عند موروث متوحش من جهة أخرى، بات من الصعب أن يكون النيهوم صوتا وحيدا فريدا في صحراء من "اللغة الساكتة".

كان النيهوم يحذّر من أن الأحزاب الدينية إن نجحت في تشكيل حكوماتها والبدء بمسار تطبيق الشريعة، فإن أبوابا جديدة للجنة ستكون قد فتحت. وقد كان محقا في ذلك. كان كمن ينظر من نافذته إلى المستقبل.

كان ساحرا في تمييزه ما بين الجامع والمسجد، وأن مكان العبادة يختلف عن مجمع الآراء ومدارسها، وقبة ديمقراطية ذلك الزمان التي مثلها الجامع. وقد صدّق الناس كلام النيهوم بالفعل، فذهب كثير منهم ممن لم يكونوا يرتادون المساجد ليخرجوا في مظاهرات من الجوامع، حتى أن بعضا منهم لم يكونوا من المسلمين أساسا، لكنهم اختاروا المكان الوحيد الذي كانت تسمح سلطات الاستبداد للناس بالتجمع فيه، لبرمجتهم والسيطرة عليهم. لم تشغل بال النيهوم مسألة مكان الصلاة، أي البقعة التي يتمظهر فيها ذلك الارتباط بالغيب. كان يقول "في المسجد أو خارجه، يستطيع المسلم أن يؤدي فريضة الصلاة. فالإسلام يعتبر الكرة الأرضية بأسرها مسجدا مفتوحا للخلوة مع الله. لكن ثمة فرائض أخرى لا يستطيع المسلم أن يؤديها إلا في مؤتمر إداري خاص، له سلطة أعلى من سلطة الدولة، ومسؤول إداريا عن صياغة القوانين. فالجامع ليس هو المسجد. وليس مدرسة لتلقين علوم الدين، بل جهاز إداري مسؤول عن تسيير الإدارة جماعيا".

حتى تلك اللحظة كان من سرق الجامع، هم رجال الدين والمتواطئون معهم من رجال السلطة. لكن النيهوم لم يدر أن آخرين غيرهم سينهجون النهج ذاته، حين تتاح لهم الفرصة، لينقضوا على الجامع بدورهم. ومنه سيعيدون مشروع برمجة الناس وغسل أدمغتهم.

إنهم شرائح من ضحايا الأسر الأول، الذي رسم ملامحه النيهوم بدقة وعناية. وهكذا لم يتغير شيء وزاد عدد السلطات سلطة ثالثة، بعد رجال الدين والاستبداد. لتفرخ مكنة المظلومية نمطا جديدا من المستبدين. وبتنا نرى المرشد يعتلي منصات الحرية والديمقراطية ليعلن انتصار الثورات.

لم ير النيهوم هذا المشهد. ولو رآه لربما كان فكر مليا في إضافة آلية أكثر تعقيدا لما اقترحه حين اعتبر أن الإسلام هو من اكتشف مفهوم "الشعب". ويا لها من فكرة! إذ لا يختلف اثنان على الدور الكبير الذي لعبه الإسلام في تحرير الناس من العبودية، لكن بعض ورثة الفكر لم يأخذوا الناس إلى آفاق أقل عبودية من سابقتها.

رأى النيهوم أن يوم الجمعة كان المؤتمر الشعبي العريق في تاريخنا. وهو لا يجانب الحقيقة في ذلك، حين كان يوم الجمعة جزءا من ثقافة عامة محفوفا بمفاهيم أخرى كالمروءة والجرأة على قول الحق والتكافل الاجتماعي، لكن هذا كله لم يعد موجودا اليوم، فالمسلم يذهب إلى ذلك المؤتمر "يوم الجمعة" أعزل من كل تلك العناصر التي كانت تقويه وهو ذاهب إليه في الماضي. لن يجرأ على رفع صوته مقاطعا الخطيب بأنه يقول كلاما فارغا، فهناك من ينتظره قرب المنبر أو على الباب. وإن لم يفعل رجال الأمن هذا، فسيتبرع مصلون كثر يجلسون بجانب المسلم ذاته، ليسلموه بأنفسهم إلى سلطة أخرى موازية لسلطة المنبر.

حتى تلك اللحظة كان من سرق الجامع، هم رجال الدين والمتواطئون معهم من رجال السلطة. لكن النيهوم لم يدر أن آخرين غيرهم سينهجون النهج ذاته، حين تتاح لهم الفرصة، لينقضوا على الجامع بدورهم

بعد النيهوم كان الدور الإداري للجامع قد تحول وتحول. حتى أصبح إكسسوارا مرافقا لبقية أشكال الهيمنة. ولم يعد المؤتمر الشعبي سوى مصيدة لآخرين يلتقطون من خلال شبكها طرائد سيرسلونها إلى الجنة بطريقتهم هم.

اعتقد النيهوم أن الجامع هو المرادف الموضوعي العربي لتمثيلات الحرية في الغرب. وهكذا بقي أصوليا رغم معارضته للأصولية. كتب يقول إن "الإسلام هو الموقف الوحيد للإنسان الذي يستطيع أن يرى منه حقيقة اتجاهه منذ أول لحظة، إن القرآن ليبدو حقّا نورا أضاء العقل الإنساني فجأة، وتركه يرى ما لم يكن بوسعه أن يراه، وإن نقلة الحضارة القادمة سوف تتم في المكان الذي تقع فيه اليقظة على أوسع نطاق ممكن. وليس ثمة مانع واحد من أن تقع اليقظة في أرضنا؛ لكنه أيضا ليس ثمة ضمان واحد على أنها ستقع فيها دون جهد من جانبنا".

حسنا. لا مانع من أن يكون الجامع منطلقا للحرية، لكنها تبقى رهينة عوامل عديدة أولها الوعي الجماعي. فمن ينظر إلى الجامع كما نظر إليه النيهوم؟ ومن يستطيع أن يجرده من قداسته وينزل الخطيب عن المنبر حين يزل لسانه بما لا يرضي الضمير ولا الشعب؟ لا أحد.

غير أن صدمة ما طرحه النيهوم لا تزال تتفاعل. فكثير من المثقفين اللادينيين أنفسهم ينطوون على قناعات تقديسية تمنعهم من التفاعل مع الجامع ويوم الجمعة بحرية وانطلاق. بل يبقى داخلهم يعتمل فيه وعيٌ متطرف، ذكوري وتقليدي ومحافظ، رافض للحداثة من جذورها. مع أنه يعتمرها كقبعة أو يرتديها كثياب صمّمت في مراكز حضارية بعيدة.

مغامرة النيهوم في أعماله العديدة الفكرية أو الروائية منها، مغامرة بدأت معه، لكنه افتتحها وحسب، ولم يسدل عليها ستارا من الأجوبة. كان بارعا في طرح الأسئلة. ولم يجهد للعثور على يقينيات نهائية. غير أن تراث النيهوم تراث جدير بالتفكيك ليس كلما مرت ذكرى رحيله، بل في كل حين. فعلامات استفهامه مازالت تتفجر أمام أعيننا كل لحظة. فالرمز الذي اشتغل عليه النيهوم، يتحول اليوم إلى سلعة متاحة للجميع للتنقيب والحفر، ونطاق حرية الوصول إلى المعرفة والتعبير عنها آخذ في الاتساع بشكل كوني يتيح للمليارات من البشر تقديم تفسيراتهم له.

من يدقق في عبارات النيهوم أعلاه، سيجدها تتخوّف أيضا، من أن تنطلق من أرضنا تلك النقلة الحضارية المنشودة مجددا. فهي انطلاقة بلا ضمانات حسب النيهوم. ولكن متى كان التاريخ يعطي ضمانات مسبقة لأحد؟ لاسيما لأولئك الذين لا يكلّفون أنفسهم عناء قراءته بحرية.

الفيلسوف الذي ذهب وترك الأسئلة عارية

سالم الهنداوي
كاتب ليبي

إذا كانت الفلسفة في درجتها العلمية النظرية، مجرَّد تفسير للفكر والتاريخ، فإن الصادق النيهوم الذي امتهن حياة اللغات للبحث في أصولها ومعارفها الحاضرة والغائبة، ومن تخصُّصه النادر في "مقارنة الأديان"، كان الفيلسوف الذي ظهر في شمال أفريقيا في النصف الأول من القرن الماضي، ليملأ الدنيا ضجيجا بأفكار لم تكن جديدة في حداثتها، كما لم تكن قديمة في معيشها النظري والإنساني.

فهذا المفكِّر التنويري، بامتياز العقل والفكر، لم يكن استشراقيا في فكره، ولا شرقيا في معتقده الديني، ولا غربيا أيضا في سلوكه الحياتي.

كان منتميا للأرض وللإنسان، هنا وهناك، ومسلِما "علمانيا" يؤمن بأن الحياة بمعناها الوجودي هي في اعتناقها للدين. ولقد كانت ثمرة بحثه الطويل في مقارنة الأديان هي "تحرير الإسلام" من سلطة الإسلاميين الذين جعلوه ممكنا لهم في الدنيا والآخرة، وعسيرا وصعبا على أمة الإسلام التي فقدت مبدأ الشورى في تاريخ الخلافة، وخسرت الديمقراطية في تاريخ السياسة.

ولعل "موضوعة الجامع" في نقاشها الموضوعي التي عرضها النيهوم في سلسلة فكرية من الطروحات النظرية، قد شغلته كما شغلت الكثيرين في ردودها المتباينة لأكثر من عشرين سنة، وهي "الموضوعة الفكرية" التي كانت تأسست نهاية الستينات مع نشر دراسته المشهورة آنذاك "العودة المحزنة إلى البحر".

لقد كان لحضوره الفكري العربي في مجلة "الناقد" التي بدأت مسيرتها الثقافية المتميِّزة بمقالاته وانتهت بمقالاته، الأثر الكبير في ظهور مفهوم "النقد الديني التفكيكي" نتاج العقل الإسلامي في أصوله المعرفية قبل حقبة "الخلافة والفتنة"، تلك الحقبة التي قادت الإسلام إلى الاختلاف في شكل العقيدة، كما قادت الإسلام إلى الفرقة، في صميم هذه العقيدة.

ولعله كان المفكر العربي الأبرز الذي أثار قضية "الجامع" وسأل المسلمين: من سرق الجامع وأين ذهب يوم الجمعة؟ وهو سؤال حُر كان يُمكن لأي مسلم أن يسأله يوم الجمعة في الجامع، لكن "الديمقراطية" التي فتحت مدرستها السياسية المزوَّرة في البرلمان، صادرت "الشورى" التي كانت مدرسة المسلمين السياسية في الجامع.

إن سجالات الصادق النيهوم الفكرية وردود أفعالها المتباينة في المنابر العربية خلال العقدين الماضيين، جعلت منه "الكاتب" الأكثر أهمية في نقده "الثقافة الإسلامية".

بوفاته انتهت مجلة "الناقد".. وبوفاته لم تنته معارك "الناقد" الكبير الذي طرح سؤال الناس لأكثر من نصف قرن حول البحث عن مكان ومكانة المسلِم في الإسلام.

وإذا كانت الآراء قد اختلفت حول فكره التنويري، فإنه استطاع أن يثق بتلك المعارف التاريخية الغابرة ويعمل على تفكيك رموزها التي جعلت منه مفكرا مختلفا، وعن جدارة، في زمن "الفتوحات السياسية" التي صادرت حق "الشورى" في الجامع، من أجل ديمقراطية "البرلمان".. وهي المعضلة السياسية التي قادت إلى الاختلاف عبر التاريخ، وكانت سببا رئيسا في ظهور ثقافة الأصولية الدينية ونشوب التطرُّف الإسلامي في المجتمعات الإسلامية.

ولقد رحل الصادق النيهوم عن دنيانا مبكرا قبل أن يصل إلى خاتمة مقاله البحثي في نقد "الفكر الديني" والمساهمة في تحرير الإسلام من الأسر، ولقد كان لغيابه قبل الفجر تحديدا، علامة فارقة في مشوار حياته وفكره، ومحض سؤال يتكرَّر في الوجود عن موضوع لم يكتمل، ولن يكتمل من الأساس.

الروائي الإيطالي بيترو غروسي: أكتب في السفر

عالمي مرآة متشظية وأعمالي وحوشٌ تخرج من الظُلمة

بيترو غروسي.. قلم جديد يتألق في سماء الرواية الإيطالية

رغم أنّــه لم يتجاوز الأربعين إلاّ بعام واحد، فقــد صار الروائي الإيطالي بييترو غروسّي واحداً من أهم روائيي إيطاليا وأحد قلائل الكتّاب الإيطاليّين الذين انتبهت دور النشــر في اللغــات الأخرى إلى أعمالهم وترجمتها إلى الإنكليزيــة على الفور، وتبعت تلك ترجمات أخــرى إلى لغات عديدة، وقد تشهد الشهور اللاحقة صدور روايته «عبور» باللغة العربيّة.

التقيت بييترو غروسّي، خلال عرض كتابه الأخير «رُعب» في فلورنسا، وعدني بالاتّصال حين ينتهي من ســفراته العديدة ويعود إلى توســكاني. وبعد بضعة أســابيع رنّ هاتفي وإذا به غروسّي الذي يُخبرني بعودته إلى المدينة وبرغبته في اللقاء معي للحديث، للمرّة الأولى مع القراء العرب، عبر الحوار الذي سنُجريه.

عرفان رشيد
كاتب عراقي

الكتابيــة التــي تُســاعدني علــى إدراك مســاري والتحرّك إلى أمام متتبّعاً نسائم الأفــكار التــي تأتينــي، أو تجتاحني في بعض الأحيان.

”أنــا دائــم الســفر، وتولــد رواياتي جميعها خلال الســفرات التــي أقوم بها، ســافرت ورحلت طــوال عمــري، ولم يكن الأدب الذي أحببت أكثر من غيره، إيطاليّاً، لذا، فعندما أرغب في رواية شــيء أشــعر بالحاجــة إلــى الذهــاب إلى مــكان آخر وأوســع من بلادي، وليس مســتبعداً أن تولــد إحــدى رواياتي في بلــد عربي من شمال أفريقيا أو من المشرق“.

هكذا ابتــدأ بييترو غروسّــي حديثه معي، بعــد أيّام قليلة من صــدور روايته الجديدة «رُعب»، التي صدرت بعد أقل من سنتين من صدور رواية «عبور». «ها نحن، مــرّة أخرى»، هكــذا تبدأ روايــة «عبور»، بهذه الجملــة التي يقولها بطــل الرواية كارلــو حين تبلغه المكالمــة الهاتفيّة من والده، مُستشعراً مصيبةً جديدة، كما هي الحــال كلّما اتصّل به والده المنفصل عنه منذ أعوام.

● **الجديــد:** بييترو غروسّــي، ابتــدأت الكتابة في وقت مبكّــر، بالضبط كما ابتــدأت الإبحار علــى متن قارب والدك، وأنت في ســنّ الطفولة، وربّمــا لم تكن قد تجاوزت العاشــرة من العمر. وكلاهما، الإبحــار والكتابة، رحلةٌ في المجهول صوب المجهول. كم أســهم كلٌ واحد من هذين الأمرين في تطوير الآخر، مع الأخذ في الاعتبار أنّك ابتدأت النشــر في ســنٍّ مبكّرة للغاية، في الثانية والعشرين: ركوب البحر والكتابة، عرض البحر والصفحة البيضاء؟

■ **بييترو غروسّــي:** هذا سؤالٌ هام، جميل ومعقّد في آن، وقد يَسْــهُلُ عليّ أن أذكر لك ما الذي يجمع ما بين الأمرين لديّ، وربّما يكون ذلك هو الجواب الأول والأيسر، لكن من العســير عليّ أن أحــدّد ما الذي منحه حــبُّ أحد منهما إلــى الآخر. لكن ما أجده شبيهاً إليّ سواءٌ في البحر أو في الكتابة، هو مــا له من أصرةٍ بطريقتي في الكتابة، وليــس ذلك قابلاً للانطبــاق على الجميع بالضــرورة؛ فكلاهمــا، البحــر والكتابة، بالنسبة إليّ عبارة عن المكان الذي يُهيمن عليه المجهول، وحيث يبدو المرء صغيراً للغاية.

ولــو حاولــت البقــاء في إطــار لغة الإبحــار، فإنّي أقول لك بأنّ من العســير على المرء تحديد مسار الإبحار الصحيح فــي بعض مناحــي الحيــاة، وبالذات في عملية الكتابة، وقد يبدو غريباً أن تســمع منّــي أقول بــأن البحر أســهلُ بكثير من الكتابــة، لكنّــه كذلك، ففي البحــر تُعينك الريح وتســاعدك البوصلة، كما تُساعدك فــي يومنــا هــذا كل الأدوات والأجهــزة الإلكترونية، وحتى لو لم تستعنْ بالأجهزة الإلكترونيّة، فإنّك حين تنساق وراء الريح وتســتعين بما توفّره لــك الطبيعة، فإنّك ستجد المسار الصحيح، لا محالة.

أمّــا الوضــع خــلال الكتابــة، فهــو مختلــفٌ تماماً، فقد وجب علــيّ أن أتعلّم طرائــق العثور على المفــردات الطبيعية لهذا النوع من الإبحــار والتي يمكنها أن تقودنــي، وإذا مــا أردت الاختــزال فإنّي أقــول لــك، بأنّ عليــك، ككاتب، أن تشــعر بنفســك في كلّ يوم بأنّك لست إلاّ مُبتدئاً، أن تســتيقظ كلّ صباح دون أن تكون لديك أفكارٌ أو حلول جاهزة، أو مسارات تقودك إلى المكان الذي ترغب الوصول إليه. وقد لا تُــدرك مغزى هذا الأمر في ســنّ اليفاعة والشــباب، لكن ما أنْ تكبُر وتبدأ بتحليل ومراجعــة ما كتبــت، فإن عمليــة الكتابة تُصبح إذّاك مشــكلة حقيقيّة وأكثر إيلاماً في الكثير من الأحيان.

أن تكتــب كلّ يوم يجعــل منك ضائعا بمرور الوقــت، وكما تعلّمت الإنصات إلى الريح وإلى نســائم البحــر خلال الإبحار على متــن مركب، وكيفية إدارة الأشــرعة وأدوات الإبحــار الأخرى، فقد تعلّمت عبر الســنين كلّ الطرائــق والحيل والمخارج

المُسوّدةُ استسلام لرياح الرؤى

هذه هي طريقتي في الكتابة، فليســت المســوّدة بالنســبة إلــي إلاّ استســلاماً للريــاح ولأمواج الأفــكار والتأملات. ففي البــدء لا فكرة واضحةً لــديّ على الإطلاق إلــى أين ســيكون مســاري. أتْبَــعُ خُطى شــخصياتي، وخُطــى الصــوت الراوي وأتبــع الحكايــة. لا أخطّط لأيّ شــيء، وكتابتي في هذه المرحلة ســريعة للغاية، ولا يــدوم إنجــاز المســوّدة الأولــى من الكتاب إلاّ أسابيع معدودة، بالتناسب مع طول النص بالطبع.

أكتب المســوّدة الأولــى بالقلم، ومن ثمّ أبدأ بعملية النســخ على الكومبيوتر، وأُمضي شــهوراً وربما ســنين في إعادة القراءة والتصحيــح والإضافة والحذف، وفي الواقع فإن الزمن المُســتغرق ما بين بدايــة الكتابــة والانتهاء مــن الكتاب قد يــدوم لثلاث أو أربع ســنين. وقد تتقاطع الأعمــال مع بعضها، فبينما أُصحّح كتاباً أكــون قد بــدأت بمســوّدة العمــل الآخر، ويحدث أحيانــاً أنْ أتمكّن من العمل على ثلاثة مشاريع مختلفة وفي مراحل تطوير متباينة فيما بينهــا، لكن ينبغي أن تكون هــذه المراحل من حيــاة الأعمال مختلفة فيما بينها، أي بمعنــى ليس بإمكاني أن أبــدأ بالمســوّدة الأولى لكتابيــن في آن واحد.

كتابة رعب

● **الجديــد:** وهل ابتدأت مســوّدة «رُعب» خلال عملية تصحيح وإعادة كتابة «العبور»؟

■ **بييترو غروسّي:** نعم، ابتدأت بالمسوّدة الأولــى لــ «رُعــب» قبــل أن تنشــر دار «فيلترينيلّــي» الطبعة الأولــى لـ«العبور»، والــذي تمّ في أكتوبــر 2016، فيما كنت قد ابتــدأت بالمســوّدة الأولــى لـ«رعب» في ديســمبر 2014، وهذا يعنــي ما يربو على ســنتين من صدور «عبور»، والذي لم أنته مــن صيغته النهائية قبــل وقت طويل من البــدء بكتابــة «رُعب»، فقد كنــت انتهيت منها في نهايــة 2013 أو في بدايات 2014، لذا بإمكاني القول بأنّ الكتابين قد تقاطعا فيما بينهما.

● **الجديــد:** وعــمّ تتحــدث روايتــا «رُعــب» و«العبور»؟

■ **بييترو غروسّــي:** روايــة «رُعب» تتحدّث عن الظلال التي نحملها معنا في دواخلنا وعن القدرات الجاذبة التي يمتلكها سواد العالم المحيط ورماديّته التي في دواخلنا. أما في «عبــور»، فثمة فيهــا مراحل تبرز خلالها تلــك الرماديّــات والظلال ويطفح إلى السطح الوحش الساكن في شخصية الأب، إلخ... وأعتقد أن اقتداري من الرواية جاءني ممّا يمثله البحر بالنسبة إليّ، فهو منْ حرّرنــي ومنحني القوّة علــى القيام، دائمــاً، بالخطــوة التالية إلــى الأمام، أو ربّما بإنجاز خطوة مختلفة، أي بمعنى أن أتواجه للمرّة الأولى مع منعطفات داخليّة أكثر غموضــاً، وهي منعطفات تنتمي إليّ بالطبع، كما يُمكن أن تنتمي إلى الجميع، وعلــى أيّ حــال انتمــت إليَّ فــي مراحل متفاوتة. وثمةَ فــي كتبي دائماً منعطفات غامضة، وحوشٌ تخرج من الظُلمة، وحتى صفحات كاملة مــلأى بالرعب، ويبرز ذلك بوضوح في رواية «رُعب».

كونراد وليس همنغواي

● **الجديــد:** دون أيّ رغبــة أو نيّــة فــي إجراء مقارنــات أو مقاربــات بيــن «عبــور» وروايات عالمية تناولــت علاقة المُبحر مع اليمّ ومكوّناته، كـ«الشــيخ والبحر» و«موبي ديك»؛ فإنّ الخصم، في هاتين الروايتين، يكمــن في لُجّة البحر وما بيــن مخلوقاتــه، فــي حين يكمــن الخصم في «عبور» على اليابسة، أو بالأحرى يبدو وكأنّه يتواجد في داخلك، كما قلت أنت نفسك.

كم كانــت الأعمال الكبــرى لكتّاب مثل هيمنغــواي وميلفيل وكونــراد، حاضرة في ذهنك وأنــت تكتب «عبور»؟ وكــم انفصلت عنهــا لتتمكن من رواية البحر عبر ما يجري على اليابسة؟

■ **بييترو غروسّــي:** ســؤال جميل آخر وهــام حقّاً. لا أدري، ما إذا كانت لديّ، بوعــي، مرجعيــة ما من بيــن الكتّاب الكبــار عندمــا أكتــب قصّة مــا. أنا أقضــي بالفعل وقتاً طويــلاً للتواجه مــع موضوعة أُحبّها كثيــراً، كما هي البحــر، أتأمــلُ، وأُعيــد التفكير فيه طويلاً لتمثّله بشــكل كامل، ولأتركه فيما بعد ينساب بسلاسة.

قــد يكــون جميع هــؤلاء الكتّــاب قد خطروا ببالــي، وأنا أكتب «عبور»، وربّما كان جوزيــف كونــراد، أكثرهــم تماثــلاً أمامــي، وهو الآخــر أبحر كثيــراً داخل نفســه، كان يركــب البحر ويــروي عنه، لكنّه في الواقــع كان يروي ما في داخله. ويخطــر ببالي الآن كتابــا «خيط الظلال» و«قلبٌ في الظُلمة».

إنّ العالــم الموجــود فــي رواياتي يبــدو كمرآة مُتشــظيّة تُظهــر ما يحدث فــي الداخل. والقصّة الواردة في «عبور» ليست حكاية عن البحر بالمطلق، بل هي حكايــة المواجهة ما بيــن رجلين، وفي العمق أكثر هو الصدام ما بين الوحوش التــي تســكن داخــل هذيــن الرجليــن، عــن قدرتهما وعــن عجزهمــا أيضاً في التواجد، أحدهما إلى جوار الآخر. شابٌّ صار أباً طري العــود يحتاج إلى إزاحة الثقــل الكبيــر الــذي تركه علــى كاهله والدٌ عســير الطبع، وكــي يحول دون أن يقــع ذلك الثقل على كاهــل ولديه. وربّما أحسست، في اللاوعي، بأنّ كل ما يحدث في القصّــة، لم يكن إلاّ ليحدث في عرض البحر، وفي ذلك البحر بالذات.

كنت أشــعر بحضــور هــذه القصّة فــي ذهني منذ وقــت طويل، وكنت أســتمع إلــى الهمــس الصاعــد منهــا، همس والدٍ يســتعين بابنه لمســاعدته في عمليةٍ عبور للبحرِ بقــارب. وقــد وُلــد الكتــاب حقــاً عندما اقتــرن ذلك الهمــس بمكان مُحــدّد الملامح، وذلــك المكان كان «غرينلانــد»، كما لو أنّ هذه القصّة مــا كانت لتدور فــي أيّ مكانٍ آخر. ففي لحظة تغــادر الشــخصيتان العالــم، تهجرانــه، فــي لُجّــة ذلك البحــر كثيف الميــاه كما الحليب، وهو مكان شاهدته بالفعل، وصار، بالنسبة إليّ، المسرح الأهم للقاء/المواجهة والصدام فيما بينهما.

قدم في السفر

● **الجديــد:** لكتابة روايتي «عبــور» و«رعب»، قرّرتِ، أو بالأحرى أجبرت نفســك على الذهاب بعيداً عن إيطاليــا. لِمَ هذه الحاجة إلى الذهاب إلى مكانٍ آخر لتروي ما يحدث في داخلك؟

بييترو غروسّي: أكتب المسوّدة الأولى بالقلم، ومن ثمّ أبدأ بعملية النسخ على الكومبيوتر، وأُمضي شهوراً وربما سنين في إعادة القراءة والتصحيح

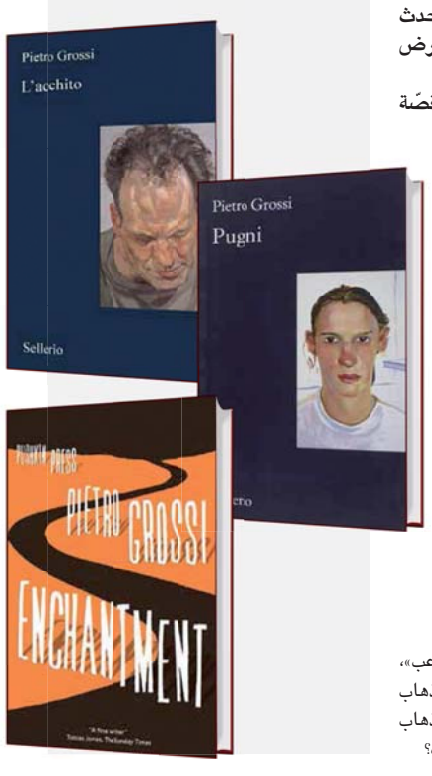

■ **بييترو غروسّــي:** لأكثر الاســتجابات بســاطة وعجالــة فــي هــذا الإطــار بالتأكيد مع ســيرتي الشخصية، على ما أعتقد، فقــد ترعرت في عائلة، كانت إحــدى قدميها مغروســة فــي أميركا؛ وأنا شــخصياً سافرت وارتحلت طوال عمــري، ولــم يكن الأدب الــذي أحببت أكثــر من غيــره إيطاليّاً، لــذا، فعندما أرغب في رواية شــيء أشعر بالحاجة إلى الذهاب إلى مكان آخر وأوســع من بلادي.

أحسســت، في الأســبوعين اللذين قضّيتهمــا في ذلك البحــر صعوداً من ســواحل غرينلانــد وعابــراً المحيط صوب كنــدا، وكأنّني أســير على ذات خُطــى أبطالــي، ولــم يكن الإحســاس بالحماســة الــذي انتابنــي حيــن ابتــدأت بإدراك ما يحدث كالإحســاس بالحماســة التــي يستشــعرها من تأتيه فكــرة جميلة، بل تلك الحماســة النزقة، المكهربــة والمُنبّهة إلى الطالع الســعيد فــي التواجــد فــي الأماكــن التي حدثــت فيها القصــة التي أرغب فــي روايتهــا، إنهــا ذات القشــعريرة التــي تستشــعرها عندمــا تلتقــي فــي الطــرف الآخر مــن العالــم، بالصدفة المحضــة ودونمــا أي موعــد، شــخصاً تعرفــه؛ ما الــذي يحصــل إذّاك؟ تعود إلى خاطرك أفكار صوفيّة وعن احتمالات القدر والمصادفات الســعيدة. إنّها ضربة الحظ التــي لا تتكرّر مرّتين فــي الحياة، ذلك هو بالذات ما أدركته، أيْ أنّ تلك القصّة لم تكن لتحدُث إلاّ هناك، في ذلك المكان، وليس في أي مكانٍ آخر في العالم.

أنا القارئ الأوّل لما أكتب

● **الجديد:** عندما يســتلم كارلــو، بطل رواية «عبور» المكالمــة الهاتفيّة من والده، يشــعر فــي الحال بخطرٍ داهم، فوالده لا يتصّل به إلاّ عندما يجد نفسه في لُجّة مصيبة أو هو بحاجة إلــى عون من ابنه؛ ومع علم الآخرين، ممّن يُحيطون بكارلو، بطبيعة آصرته مع والده، فهم يمارسون عليه ضغوطاً كثيرة، تسعى بعضها إلى إجباره على الاســتجابة لطلب الوالد، وأن يذهب إلى ذلك اللقاء.

إلاّ أنّنــي أحسســت، بعــد الانتهــاء مــن قراءة النص، بأن كارلو لم يســتَجب، فــي الواقع، إلى طلب والــده لإخراجه من الحَرَج الذي أُولِجَ نفســه في خضمّه، ولا حتى انصياعاً لضغوط الآخرين من حوله، بل جاءت اســتجابته رغبةً منه ليتمكّن من مصارحــة الأب بمــا كان يغلي في داخله منــذ وقتٍ طويــل، وهو ما لــم يتمكّن من الإفصاح عنــه عندما نزل من المركب قبل سنين مضت.

أيٌّ من هاتيــن الصورتين هي الأقرب إلى قراءتك أنت لشخصيّة كارلو؟

■ **بييتــرو غروسّــي:** هنــا لا بُدّ لي أنْ أُمهّد للجواب، وأنْ أُخبرك بشــيءٍ ما عن طريقتــي في العمل علــى كتبي؛ فأنــا، بتحصيــل الحاصــل، القارئ الأول لما أكتب، لذا فإنّ نظرتي حول مــا أكتب تتســاوى مــع وجهة نظر الآخرين ورؤاهم، بشكل عام. أنا لديّ افتراض ثالث، إلى جانب الافتراضين اللذين أوردتهما أنت فهذه القصّة، برأيي ودون أيّ رغبة منّي باستحداث مقارنات ومقاربات، تبتعد كثيراً عن أجواء «خيط الظل» لجوزيف كونراد، ولأنّ الشخصية الرئيســية تتحدث عن البحــر وتتعامل معه، ويتحدّث الكتاب نفســه عن عمليّة عبــور، فقد فكّرت برواية «خيط الظل»، وثمةَ الكثير ممّا قد يجعله متشــابهاً مع كتاب كونــراد، إلاّ أنّ الكتابين يتحدّثان عــن حالتيــن متباينتيــن، فــي «خيــط الظــل» يتمّ العبور مــن حالة الصبا إلى مرحلــة المراهقة، ومن ثمّ بلوغ المرحلة الأولــى من عمــر الشــباب، دون امتلاك وعي كامــل بعملية العبور هــذه، إذْ أنّ بطل الشــخصية يجهل تمامــاً ما الذي بانتظاره.

وثمةَ أيضاً في «خيط الظل» أمر آخر أعتبــره في قمّة الإبداع وهــو أنّ عملية التحــوّل لا تتم خــلال العاصفة، بل عبر بحر هادئ كسـطح ســهلٍ مُعشــب، أي عبــر القدرة على التعامل مع ذلك الهدوء المُطلق للبحر، وهــذا، برأيي، ما يجعل الشــخصية أكبر بكثيــر وفيه تكمن، في ذات الوقــت، فالوقــت عظمــة وأصالــة الفراسة التي توصّل إليها كونراد.

لكــن في «عبور»، فإنّنا نجد أنفســنا إزاء العبــور الأخيــر إلى عمــر البلوغ، العبور إلى المرحلــة التي يتحول فيها الشــابّ، بدوره، إلى أب، بالتالي فإنّ ما يشــغل ذهنه وأنْ يســعى إلى الحيلولة دون إلقــاء ثقــل المصائب علــى كاهل ولديه، بــذات الطريقة التي رماها والده علــى كاهله هــو. فكارلو بحاجةٍ ماسّــة إلــى حل مشــاكله مع ذاته ومــع والده، وهو يُنصت إلى نصائح الآخرين ويُذعن لضغوطات النساء حوله. وكما بالضبط النســاء اللاتي يتواجدن في حياتي أنا، وهــنّ، إنْ أردنــا يُمثّلن الحكمــة، إلاّ أنّ قراره للســفر صوب العنوان الذي بعثه إليــه والده إنّمــا ولد مــن الحاجة إلى تلك المواجهــة، ولأنّه أدرك بأن هذه هي الفرصة الأخيرة التي بقيت لديه لحل كلّ مــا هو عالقٌ بينه ووالــده، فإنْ لم يلتقِ به الآن فإنّه لن يحل تلك المشــاكل أبداً، وســينتهي به الأمر إلــى تحميل زوّادة المشاكل العالقة على كاهليه إلى كواهل ولديــه. لذا فإن القرار الذي يتّخذه، قرارٌ واعٍ بشــكل كبيــر، ويتّخذه مــن منطلق الرجّولــة المُطلقة، الرجل الــذي يقرّر ملاقاة مشــاكله وقــدَره ومخاوفه. وهذا هو الأمــر المختلــف عن «خيــط الظل» لــدى كونراد. وهو ليــس ترجمةً للكلمة المقيتة «كاثارسيس» كما يحلو للبعض تســميته، بل يأتي عبر مواجهةٍ عاصفة بينــه ووالــده، وهــذه لحظــة جوهرية في حيــاة من يُقرّر القيــام بتلك الخطوة الجوهرية فــي حياته، وهي لحظة وعي كامل لأنّــك تُقــرّر التواجه مــع معركةٍ، ســواءً مع الذات، أو مــن يُحيطون بك، وعلــى أيّ حال مــع معركــة، ولو كانت صغيرة، وليــس في حالة الهدوء الكامل للبحر.

تنشر مقالات الصفحة 13 بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية

العرب الثقافي
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

نوافير البيت الدمشقي

الفنانة والمهندسة السورية تالين هزبر في معرض للفسقية الشامية

يتناول معرض "بنى مؤقتة" للفنانة والمهندسة المعمارية تالين هزبر دور الطبيعة والهندسة المعمارية في نقل ملامح التراث الثقافي، من خلال التركيز على تأثير استخدام النوافير، والمعروفة باسم "البَحرة"، التي تتوسط ساحات البيوت السورية التقليدية. المعرض افتتح أخيرا في إطار "معرض 421" الذي يسلط الضوء على الإبداعات الفنية الإقليمية من كافة أنحاء المنطقة.

شاعرية البيت الدمشقي لا تكتمل إلا بـ«البحرة» ذات النوافير

محمد الحمامصي
كاتب مصري

يشكل المعرض مفهوم البَحرة، والتي تعد نافورة مياه عادة ما تتوسط ساحة البيت السوري التقليدي، حيث يركز على الناحية الجمالية للبَحرة والعلاقات الاجتماعية التي تتشكل في البيئة المحيطة بها. كما يسعى لفهم الارتباط بين التراكيب المعمارية للبَحرة والسياق والطقوس التي تدور حولها، والمستوحاة من التقاليد الثقافية والاجتماعية والدينية.

وقد تم تصميم المعرض من الأبعاد الأربعة التي تتشكل منها النافورة وتوزيعها في المحيط من أجل دراستها كقطع منفصلة، ومنح الزوار فرصة اختبار ما توحيه هذه التراكيب الفنية غير المترابطة. وقد تنوعت طريقة عرض البَحرات بين أنماط منعزلة وأخرى متصلة ببعضها، في إشارة تسلط الضوء على العلاقة التي تجمعها بالبيئات المحيطة والسياق الاجتماعي الذي يدور حولها.

> كانت البحرة شاهدا ووصيا ومرآة تعكس السماء في وسط الفناء. إنها ذاك الهيكل الصامت، الصخب والمليء بالحياة، هيكل متركز ومنعزل، يستمد الحياة من الماء المسير في مدار

وأكد فيصل الحسن، مدير "معرض 421" أن جمهور معرض "بنى مؤقتة" يختبر تفاصيل البيت السوري التقليدي، وما يتضمنه من سياق اجتماعي وثقافي ترويه البَحرة. ويعكس تصميمها الساكن والمياه المنسابة بشكل مستمر فيها حالة متباينة تخاطب خيال وأحاسيس المهتمين بفنون التصميم المعماري في المنطقة. كما يتميز بتركيزه على مفهوم الحالة الاجتماعية التي تنشأ حول البَحرة المزخرفة، والتي تطرح تساؤلات حول الهوية السورية والشرق أوسطية أمام جمهور المعرض.

تنطلق رؤية تالين هزبر من تلك الكلمات التي افتتحت بها الكتيب الذي صاحب افتتاح المعرض: عبر زقاق ضيق وإلى فناء واسع ذي أقواس فسيفسائية وأرضيات من رخام، صوت مياه متدفق يسمع، ورائحة الياسمين المغلفة داخل الصحن تشير إلى أجواء فردوسية دنيوية. ففي صحن البيت، الأرضية على شكل حصيرة حجرية ذات تشكيلات فسيفسائية هندسية كبيرة من الحجر البازلتي والأحمر والجيري الأبيض أو من قطع الرخام المشقف والملون بأشكال هندسية من الرخام الأبيض والأحمر والأسود.

مساحة للظل والراحة، مساحة للتجمع والعزلة.
مساحة للتسامر والاحتفال والهمس.
مساحة لكسر الخبز.
مساحة لاحتساء القهوة والشاي.
مساحة للجلوس حول بركة الماء.

وفي حديثها حول انطلاق المعرض، رأت أن عملها يقدم الفرصة لدراسة مفهوم البحرة، والذي يثير العديد من الأسئلة التي تتعلق بالجوانب الاجتماعية والثقافية والدينية للهوية السورية، ويساعد على دراسة وفهم تلك الجوانب بعيدا عن النصوص والكتابات، ومن خلال نافورة المياه التي عادة ما تتوسط ساحة البيت السوري التقليدي. كما يركز على الروابط بين التراكيب المعمارية للبحرة وبين حياة الأشخاص في منطقة الشرق الأوسط التي تجمع بين الماضي والحاضر.

وتلفت تالين هزبر إلى "أن الهندسة المعمارية تشكل جانبا من جوانب الحياة الحديثة التي نشهدها، لذلك من المهم التعرف على كيفية تفاعل الأشخاص مع الأعمال الفنية التي تحمل طابعا هندسيا في محيطهم، وهذا ما حرصت على تقديمه من خلال 'بنى مؤقتة'، وأتطلع إلى أن يلامس العمل جوانب من الحياة العصرية التي يعيشها زوار المعرض".

وتتناول أعمال تالين هزبر مفاهيم الاستكشاف وفهم الطبيعة والمادة والحالة المؤقتة. وقد أبدعت أعمالا فنية وأجساما وموادا عابرة ومؤقتة تعزز أهمية التصميم في النظم الطبيعية، وتتحدى بها مفاهيم تراكم المادة واندثارها، وذلك بهدف إحياء التصاميم القائمة على الطبيعة وفهم العلاقة التي تجمع الطبيعة وفنون الهندسة المعمارية.

وتعمل هزبر عبر مختلف التخصصات الفنية والعمارة. وترتبط أعمالها ارتباطا وثيقا بالمناظر الطبيعية المحيطة بها وبنيتها المتشابكة والمعقدة. وتبرز فيها أهمية العمل داخل النظم الطبيعية، وتجريب المواد لفهم السلوك والخصائص، واستدعاء الهياكل الطبيعية المبنية، ودراسة خواص المواد المتراكمة والمتحللة، للسعي إلى التذكير بالهياكل الطبيعية وفهم العلاقة بين الطبيعة والهندسة المعمارية.

تقول "تعد البحرة 'نافورة الماء' مركز البيت السوري التقليدي ونقطة محورية للتفاعلات الاجتماعية. أصبحت البحرة أكثر شيوعا في سوريا مع نمو القوة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة. لم تكن نوافير المياه مجرد قوالب خرسانية مغطاة بالبلاط أو الحجر حاوية للماء، بل كانت لها أهمية مادية وحسية. وعلاوة على كونها هيكلا هندسيا يضفي لمسة فنية على الفناء الداخلي، كانت البحرة مصدرا لمياه الشرب ومكانا للغسل والوضوء. كما كانت وسيلة لتلطيف أجواء الطقس".

وتضيف "كان من أهم ما تضفيه البحرة للبيت العربي صوت الماء المتدفق منها. ولصوت الماء في الفناء مزايا كثيرة من أهمها عزل وتشتيت الصوت والأحاديث بداخل البيت العربي للحفاظ على خصوصيته، ما يضفي إحساسا بالهدوء والطمأنينة لما لصوت الماء من تأثير إيجابي. أيضا كانت البحرة شاهدا ووصيا ومرآة تعكس السماء في وسط الفناء. إنها ذاك الهيكل الصامت، المنفصل، الصخب والمليء بالحياة، هيكل متركز ومنعزل، يستمد الحياة من الماء المسير في مدار".

وتوضح هزبر "بدلا من دراسة البحرة كهيكل مركزي يتناول عملي مفهوم البحرة بأجزاء من أشكال التصاميم التقليدية. يتكون العمل من أربعة أرباع. كل ربع هو جزء مقطعي من تصميم البحرة التقليدية في ساحات البيوت السورية. يسمح لكل مقطع من كل بحرة بإعادة الاتصال وتشكيل علاقات جديدة معزولة عن بيئاتها الطبيعية. يتم تقديم أقسام التشكيل الجانبي في مادة واحدة من لون واحد للتركيز على أنظمة المياه وأسطح المواد والأشكال الهندسية للبحرة. وبوحدة هذه العوامل نستطيع أن نلقي نظرة على الماء كمادة ذات وزن وتأثير على بيئتها المحيطة. وهكذا فإن العمل يبحث في اللحظات المؤقتة للتراث الثقافي البشري وبيئته".

> في معرضها الجديد الفنانة والمهندسة تالين هزبر تحيي «بحرة» المنزل السوري ودورها الثقافي والاجتماعي

وتأمل هزبر من عملها "في فنائها" أن يساعد على استحضار الذكريات واختبار مدى إمكانية أجزاء ومقاطع لفهم العلاقة بين المادة والمحيط، وتقول "لمثل هذا الهيكل مقدرة على المكوث لاحتضان حركة المياه السلسة داخل تكويناته، فيسمح للمياه بالتدفق داخل نظمه لخلق الهدوء الشبه المؤقت".

وكون هزبر تدعم أعمالها ببحوث مكثفة في السياقات الاجتماعية والتاريخية التي تتناول هذه العلاقة، فقد استشارت 11 مختصا لتقدم للجمهور فهما غنيا وواسعا عن مفهوم البَحرة. وقد سجلت في كتيب صاحب افتتاح المعرض مجموعة الأفكار والمساهمات التي قدمها هؤلاء ومن بينهم فنانون وأكاديميون سوريون من تخصصات مختلفة حول البحرة، والتي هي جزء من مشروع مستمر يركز على الأهمية المعمارية والثقافية للنوافير في المنازل السورية التقليدية، وذلك سعيا لجمع الخبرات والقصص والأفكار حول الهياكل المائية حول الأفنية.

يقول الفنان السوري عدنان سمان الذي عرضت أعماله في معارض هامة حول العالم إن "النافورة، أو 'البحرة' كما يسميها أهل سوريا، وعلى مدار قرون كانت ركنا أساسيا من أركان المنازل الشامية، وخاصة في سوريا، فهي مرآة بصرية وسمعية لتدفق الحياة في المنزل. تتجمع حولها العائلات والأصدقاء، ويستخدمونها للوضوء والاغتسال وتبريد الفواكه. كما بقيت مصدر إلهام لأهل البيت على الدوام. لن تجد منزلا ولو كان مهجورا ليست به تلك النافورة أو ما يرمز لها".

ويرى الفنان والمخرج السينمائي ولاعب الكرة السابق عمار البيك "أن البحرة الدمشقية، بحر حوله جزيرة، وعلى هذه الجزيرة ياسمينة معرشة، وشجرة نارنج، وشجرة تين، وشجرة كباد، وشجرة ليمون، وشجرة بوملى، ودالية، والكثير الكثير من شتلات الجوري. بيت جدتي فاطمة عبداللطيف القحف هو عبارة عن جزيرة فيها بحرة مثمنة الأضلاع، رخامها تلفه عروق مشطوفة بنبض الدمشقيين ومياه عين الفيجة التي عمدت أرواحهم. على سطح جزيرتنا تلك هناك طيارة المنزل، غرفة شراكتنا أنا وانتصار أبوالذهب، أمي، التي تخبئ غسيلها هناك من زخات المطر وتحط عليها طيوري التسعة والتسعون. كانت بعض الطيور تسترق السمع والشرب من على صحن النافورة الرخامي للبحرة في منتصف البيت، الطباشيري والحلبي والمطوق وحتى اليهودي أسماء طيوري. كانت تغافل قانون المستويات في البيت وتهبط من أعلى نقطة، من طيارة السطح لأغزر نقطة، منبع الحياة والجمال، أعلى رأس النافورة المصنوع من نحاس".

ويتذكر البيك "بحرتنا المثمنة الأضلاع، وإحدى منابع حريتنا، كانت ضلعا في صدر كل أهل البيت، في باب السلام داخل سور دمشق القديمة، فقط أربعون من الأمتار كانت المسافة الفاصلة بين أهل البيت وباب السلام، وكأن القدر قدر الطفولة والحياة أن تكون البحرة ملتقى هذه العائلة وعلى مقربة من باب السلام الروماني العمارة ربما. بحرتنا، بحرنا المصغر، وملتقانا الهندسي، والعقلي، والروحي المتسع في جمال العبارة التي كانت مصدرا روحيا لبث الطاقة، في الليل عندما يخلد الجميع لغرفهم، يعطي صوت النافورة لنجوم السماء بعدا أرضيا سماويا فتانا. ومازال الصوت يسكنني ومازالت الأضلاع المثمنة مركز جاذبيتي تجاه دمشق سحر الجمال، بيت طفولتي ومدرستي".

وتحكي الباحثة في الدراسات المدنية ديما ديوب "قضيت ثلاثة أيام في فندق في باب توما أثناء التحضير لزفاف صديق لي. قامت أسرة العريس وأصدقاؤه بحجز الفندق بأكمله، كان فندقا صغيرا ذا أرضية من بلاط ملون، وإيوان صيف وفناء خلاب تتوسطه نافورة 'بحرة' تحيط بها نباتات متنوعة.

وفي صباح يوم الزفاف، دارت كل أنشطة اليوم حول البحرة. قدمت وجبة الفطور على أنغام فيروز، واستمرت أجواء البهجة بينما كنا نستعد للعرس. كان حدثا مميزا مليئا بالسعادة والسلام".

> لم تكن نوافير المياه مجرد قوالب خرسانية مغطاة بالبلاط أو الحجر حاوية للماء، بل كانت لها أهمية مادية وحسية وعلاوة على كونها هيكلا هندسيا يضفي لمسة فنية على فناء البيت الدمشقي

وتقول المهندسة المعمارية جودي محفوظ "كانت حلب ذات يوم مركزا للتجارة الدولية، وأدت الوفرة في الموارد الموجودة في ذلك الوقت إلى نشأة البيوت العربية الفسيحة في حي الجديدة. هذه القصور التجارية التي قام المسلمون والمسيحيون ببنائها على نفس النمط وبنفس المستوى هي دلائل على المنزلة والرخاء والذوق والتعايش. احتوت هذه القصور على صحون رائعة، وأواوين مقببة أو قاعات مفتوحة توجد بها ألواح خشبية مطلية بشكل معقد ومبهر على الجدران والسقوف المزينة بالورود والنقوش العربية. ومن ضمن هذه البيوت هناك أو كانت هناك: بيت باسل، بيت دلال، بيت أجقباش وبيت الوكيل".

النص كاملا على الموقع الإلكتروني

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

حتمية العودة إلى حكايات «ساتيريكون-فيلليني»

روما القديمة كمعادل للسقوط والتدهور والجحيم دون مطهر

مرّت الآن خمسون عاما على فيلم "ساتيريكون فيلليني" (1969) الذي ينتمي إلى أكثر السينمائيين الإيطاليين شهرة، فيديريكو فيلليني الذي حصلت 4 من أفلامه على جائزة الأوسكار وهو ما لم يحققه أي مخرج غيره من بلاده.

فيلليني يستخدم الممثلين في تكوين اللقطة

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

"ساتيريكون فيلليني" Fellini Satyricon هو أكثر أفلام فيلليني طموحا وأكثرها صعوبة وتعقيدا في الشكل. إنه تجربة شديدة الخصوصية ليس فقط في السينما الأوروبية والإيطالية عموما بل في سينما فيلليني بوجه خاص.

يخرج فيلليني في فيلمه هذا عن السياق السردي التقليدي، ويتخلّى عن فكرة الشخصية التي تدور من حولها الأحداث (كما كان الأمر في "8 ونصف" و"حياة اللهو"- لا دولشي فيتا) فهو يتعامل مع نص غير مكتمل ينتمي إلى الماضي السحيق، إلى عصر الإمبراطور الروماني نيرون، هو نص "ساتيريكون" الذي كتبه بيترونيوس في القرن الأول، لكن فيلليني يلهو ويتلاعب به كما يشاء، يتدخل في السرد، يضيف ويستبعد، ليقدم رؤيته المعاصرة عن "روما القديمة": كيف كانت وكيف تفسخت وسقطت بعد أن أصبح هناك من البشر من لا يتورعون عن أكل لحم الموتى تهالكا على وراثة الثروة، ولكنه يجد أيضا تشابهات ومقاربات مع العالم الحديث الذي نعيش فيه بعد أن غابت الثقافة وتدهور الفن وطغى الجشع والصراع حول النهب.

> من أجل تحقيق طابع التغريب يستخدم فيلليني عبارات كثيرة بلغات مختلفة: الإيطالية واللاتينية واليونانية، كما تتردد عبارات وهتافات باللغة العربية في بعض مشاهد الحشود

فيلليني يبتكر ويخترع ويقدّم عرضا هائلا من خلال اللوحات و"التابلوهات" التي تستعرضها الكاميرا، وتعكس نظرته لمفهوم "التدهور" على صعيد الحلم أو بالأحرى، الكابوس. إنه يكسوها بصبغات لونية قاتمة، ويجعلك تشعر معظم الوقت بحركة الكاميرا كوسيلة للتغريب، فهو لا يقصد تقديم "دراما تاريخية"، بل يعرض صورة مرعبة لنهاية حضارة. لكنه لا يعود إلى روما المكان فقط، بل إلى روما الثقافة والهوية وأساليب العيش والحكم وطرق التعامل بين البشر والتقسيم الطبقي من خلال الحلم الواعي إذا جاز التعبير، أو "الحلم الثقافي" الذي تم تجهيزه في ذهن فيلليني مسبقا.

في 1969 أُنتج فيلم بعنوان "ساتيركون" من إخراج جيان لويجي بوليدورو، لذلك أطلق فيلليني على فيلمه "ساتيريكون فيلليني" لتمييزه عن الفيلم السابق الذي ذهب سريعا طيّ النسيان. وإذا كان صحيحا أن فيلليني اقتبس فيلمه من كتاب بيترونيوس، إلا أن من الخطأ القول إنه كان يرغب في صنع "فيلم تاريخي"، فتاريخية "ساتيريكون" ليست سوى غطاء خارجي فقط أو "حيلة" فنية، وحتى صلته بالنص الأصلي الذي كتبه بيترونيوس ليست قوية، فالنص لم يبق منه سوى بضعة فصول مبتورة. وربما تكون فكرة الانقطاع وعدم التراتبية قد أغوت فيلليني، كونها تحرره من السرد المتسلسل، وتتلاقى مع مفهومه الخاص في وجود فترات انقطاع في التاريخ.

عالم الأحلام

يقول فيلليني في حوار مع الكاتب الشهير ألبرتو مورافيا (نشر في مقدمة الكتاب الذي يحوي نص سيناريو الفيلم)، "لقد حاولت أن أستبعد ما يسمى بـ'التاريخ' بوجه عام. حاولت أن أتخلص من فكرة أن العالم القديم كان له وجود حقيقي. لذلك فالجو العام للفيلم ليس تاريخيا، ولكنه أقرب إلى عالم الأحلام. ربما لم يكن للعالم القديم وجود على الإطلاق، ولكن لا شك أننا قد حلمناه. إن 'ساتيريكون' يحتوي على الشفافية الغامضة، على صفاء الأحلام ورموزها المُبهمة. لقد تركز جهدي في هذا الفيلم على القيام بعمليتين متوازيتين ومتناقضتين تماما في نفس الوقت. فكل شيء في الفيلم هو من اختراعي: الوجوه والإيماءات وأوضاع الأشخاص والأدوات.. الخ. ولكي أحصل على هذه النتيجة، كان يتعيّن عليّ أن أثق في قدرتي وخيالي المشوب بقدر من العاطفة. ولكنني كنت مضطرا أن أجسد، بموضوعية تامة، ثمرة هذه العملية التخيلية، وأن أنأى بنفسي تماما بعيدا عنها حتى أستطيع أن أنظر إليها مجددا ككيان متماسك، ولكن لا يمكن لمسه. وهذا نفس ما يحدث مع الأحلام. إنها تتضمن أشياء تخصنا تماما، نعبّر من خلالها عن أنفسنا، ولكن في ضوء النهار، تصبح العلاقة الوحيدة التي يمكننا أن ندركها بيننا وبين الأحلام، علاقة ذهنية تصورية. وهكذا يتضح لنا لماذا تبدو الأحلام بالنسبة لذواتنا الواعية، بعيدة، نائية، غريبة عنا، مستغلقة على إفهامنا".

قد يكون فيلليني هو أفضل من وصف فيلمه بالكلمات، بينما مال الكثيرون لاعتباره تعبيرا مجازيا عن فترة الاضطراب السياسي التي شهدتها إيطاليا في الستينات، أي وقت التفكير في صنع الفيلم. أما البعض الآخر، مثل الكاتب والمخرج الايطالي جيان فرانكو أنجلووتشي، فقد أرجع الفيلم إلى ما ترسّخ في وعي فيلليني من طفولته عن إيطاليا الفاشية، وكيف أنه كثيرا ما كان يعبّر عن سخريته منها وهجائه لها في أفلامه، وربما يكون قد رأى تشابها بين الفاشية (الحديثة) وذهنية مجتمع روما القديمة.

يصحّ تأثر فيلليني بالجانبين، لكن فيلليني كان يقصد أساسا تأمل الحاضر في ضوء وحشية عالم روما القديم وافتقاده للقيم الروحانية من خلال ذلك "الحلم" الطويل الممتد، المتقطع، المبهم، وغير المترابط، من خلال لوحات متأثرة بأساليب فنية عديدة يقول فيلليني إنه استقاها من "الفن البيزنطي واليوناني والحداثي والبوب آرت والسيكوديليك وفنون البوهيميين" كما يستخدم فن الغروتسيك (أنماط من الفن الذي يمزج بين الغموض والصدمة والمناظر المقرفة المفزعة) ولوحات الفريسكو الضخمة (الرسوم الملوّنة على الجدران والأحجار).

هذا "التجريد" دفع بعض النقاد إلى رفض الفيلم مثل الناقدة الأميركية الشهيرة بولين كيل التي اعتبرته "محاكاة عصرية لفيلم سيسل دو ميل "علامة الصليب" (1932)، ولكن أقل إمتاعا بسبب افتقاده للشخصيات، ففيلليني هو البطل الأوحد". إلا أن بولين كيل أشارت على نحو عابر، إلى نقطة شديدة الأهمية عندما قالت إن الفيلم "عرض جذاب لفرضية مشكوك فيها تتمثل في أن غياب الإله يعادل غياب القانون".

جيتوني الذي يتنافس عليه الصديقان كأنه كيوبيد

انكلوبيو البطل الخاسر الشاهد على السقوط

الخطيئة والسقوط

فيلليني ابن الثقافة الكاثوليكية رغم تمرده عليها، فهو لم يتخلّ قط عن مفاهيمه "الأخلاقية" المرتبطة بالدين أو بمفهوم الألوهية. وترتبط مشاهد التدهور والسقوط في "ساتيريكون" بفكرة الخطيئة وغياب الإيمان. وفيلليني يرى أن غياب "جوهر" الروح في مجتمع روما الحديث إنما يتشابه في الكثير من ملامحه مع ما كان سائدا في مجتمع روما القديم، قبل ظهور المسيحية.

إنه يجسد في مشاهد متتالية تفشي مظاهر القسوة والوحشية والشذوذ والاغتصاب وتشويه الفن والاعتداء الفظ على المرأة، وممارسة الجنس الجماعي، مع مناظر ذبح الحيوانات وبقر بطن الخنزير التي يخرج منها العشرات من الدجاجات وقطع السجق، والتجشؤ بصوت عال وتكراره باعتباره دلالة على القوة، وإخراج الريح من المؤخرات (من قبل الممثل على المسرح) دلالة على تدهور الفن المسرحي، مع استعباد البشر وقهرهم وقتل المعبود المقدس (الهرمافروديت) الذي يمتلك الخلاص.

يظهر انكلوبيو (الممثل الإنكليزي مارتن بوتر) في معظم مشاهد الفيلم نموذجا للبطل الخاسر باستمرار الذي يُنتزع منه حبيبه "جيتوني" في البداية. ينتزعه صديقه أشليتوس، ثم يدعوه الشاعر "أمولوبوس" الذي يلتقيه في متحف إلى منزل الثري الفظ "تريمالشيو" سارق الشعر. وهو يتناول الطعام بشراهة فظة ويهين زوجته على الملأ ويحتقر الجميع ثم يأمر بتعذيب الشاعر، وبعد ذلك يقوم بتمثيل موته فيرقد داخل قبر محفور على مقاسه، لكي يقص على رفاقه وحاشيته قصة (يونانية) في السخرية من الموت هي قصة المرأة التي مات زوجها الثري في الصحراء. قتله لص شنقوه وعلّقوا جثته بالقرب من جثة الثري الممددة فوق منضدة وعينوا حارسا عليها. يغوي الحارس الأرملة الحزينة التي تريد الانتحار بعد موت زوجها، فتمارس معه الجنس باستمتاع، لكن اللصوص يستغلون الفرصة فيسرقون جثة اللص من فوق المشنقة، ويقع الحارس في ورطة كبيرة: ماذا سيفعل الآن وكيف سيبرر موقفه أمام أصحاب السلطة الذين أسندوا إليه المهمة؟ لكن المرأة تقترح تعليق جثة زوجها في المشنقة بديلا لجثة اللص مرددة "عشيق حي خير من زوج مشنوق". هذه هي القصة الأولى التي نراها من داخل الفيلم.

في الفيلم قصة أخرى ترتبط بالموت واحتقار الموت. فعندما يموت أحد الأثرياء يفتحون وصيته ليجدوا أنه أوصى بأن يأكل أقاربه جثته شرطا لكي يرثوا ثروته. وبعد تردد وتلعثم واضطراب يحزم الجميع أمرهم ويشرعون في تقطيع الجثة ثم يمضغون لحم الميت.

انكلوبيو سيشهد هذه الأحداث كلها، بل سيشهد على انهيار روما، وسينجو من الزلزال المدمر ويخوض مغامرة طويلة تقوده من اللذة إلى الألم، ومن منزل الثري الفظ إلى منزل الأرستقراطي الذي يمنح عبيده كل ما يملك من ثروة ثم ينتحر مع زوجته بعد أن أدرك أن النظام القديم في طريقه للسقوط، ثم يشترك انكلوبيو مع صديقه أشليتوس في ممارسة الجنس مع فتاة أفريقية جميلة ظلت وحيدة في منزل الأرستقراطي المنتحر، ثم يقع في الأسر مع أشليتوس ويصبح عبدا يعمل في قاع سفينة رومانية يبحر عليها الإمبراطور، ويخضع لمنازلة مع تاجر عبيد عجوز قبيح ذي عين واحدة يقهره ويتزوجه، لكن الحراس ينقلبون على الإمبراطور ويقتلون تاجر العبيد لينجو انكلوبيو الذي يتركونه داخل متاهة حيث يتعيّن عليه منازلة الكائن الخرافي "مينوتور" وهو كائن ينتمي إلى الميثولوجيا اليونانية، له رأس بغل وجسد رجل، ثم يكتشف أنهم يلهون به ويسخرون منه وأن المينوتور شاب قوي يعفو عنه بسبب براعته في استخدام كلمات التضرّع.

> في الفيلم قصة أخرى ترتبط بالموت واحتقار الموت. فعندما يموت أحد الأثرياء يفتحون وصيته ليجدوا أنه أوصى بأن يأكل أقاربه جثته شرطا لكي يرثوا ثروته. وبعد تردد وتلعثم واضطراب يحزم الجميع أمرهم ويشرعون في تقطيع الجثة ثم يمضغون لحم الميت

انكلوبيو سيكتشف فقدان قدرته الجنسية عندما يطلبون منه مضاجعة امرأة شهوانية مكافأة له على بلاغته. ينشد العلاج عند الساحرة أونوثيا التي ستصبح قصتها هي القصة الثانية التي نراها من داخل الفيلم. كانت أونوثيا امرأة شابة جميلة مغوية أراد ساحر ثري عجوز شديد القبح، أن يستولي على جمالها، فسخرت منه، فغضب عليها وجعل النار تشتعل من بين فخذيها إلى الأبد. هذه المرأة تعمل في خدمتها امرأة عجوز قبيحة جدا تمنح انكلوبيو شرابا ثم تطلب منه مضاجعتها، وبعد ذلك تعود إليه قوته الجنسية!

تجريد وتغريب

الشخصيات تتحرك على خلفية جدار أو صخر أو صحراء أو في فضاء مفتوح معزولة عن المحيط، فالمكان مجرد: مذبح حيوانات، متحف لأعمال النحت، معبد يتم داخله بتر ذراع رجل، بيت دعارة، ولائم مليئة بالأطعمة والذبائح، فوفرة الطعام كانت دلالة على القوة.

من أجل تحقيق طابع التغريب يستخدم فيلليني عبارات كثيرة بلغات مختلفة: الإيطالية واللاتينية واليونانية، كما تتردد عبارات وهتافات باللغة العربية في بعض مشاهد الحشود (المقصود منها تحقيق تأثير جمالي فقط فليس مهما أن يفهم المشاهد ما يقال)، ويجمع بين البشر من أجناس وألوان مختلفة، ويصور أكبر سمكة ظهرت في فيلم سينمائي، ونحو اثني عشر شخصا يخرجونها من البحر في مشهد سيريالي تماما، وأشخاصا كثيرين يرتدون أقنعة، وأقزاما وعاهرات سمينات، وسفنا تبدو مثل الوحوش الضخمة ذات الأسنان الأسطورية، ومجموعات بشرية عارية تهتف في صخب وتخضع في مذلة واستكانة للأثرياء المهيمنين. يسرق انكلوبيو وأشتيلوس الكائن المقدس "الخنثى" أو (الهرمافروديت) الذي يمتلك القدرة على شفاء المرضى، طامعين في طلب فدية، لكنه يموت تحت شمس الصحراء، وكأنهما قتلا من يمتلك القدرة على الخلاص.

> فيلليني يبتكر ويخترع ويقدّم عرضا هائلا من خلال اللوحات و«التابلوهات» التي تستعرضها الكاميرا، وتعكس نظرته لمفهوم «التدهور» على صعيد الحلم أو بالأحرى، الكابوس

"ساتيريكون فيلليني" قصيدة شعر حداثية، واستعراض بصري مدهش لعالم غير متماسك، مهتز، من الصور والتداعيات التي تندلع من قلب كابوس فيلليني عن الجحيم، بالمعنى المادي أيضا وليس بالمعنى الأخلاقي فقط، الجحيم دون المطهر ودون الجنة. ولعل فكرة عدم التجانس أغوت فيلليني بالسياق الذي اتبعه، أي بالمشاهد المتفرقة التي لا تكتمل، وبجعل النهاية أيضا لا تكتمل. ففي المشهد الأخير يتوقف انكلوبيو في "مونولوجه" الطويل قرب البحيرة، بعد أن يدرك أن رفيقه أشليتوس قد مات. يرثيه بأشعار الفقدان ويبكيه ثم يسير في الصحراء تحت السحب السوداء الكثيفة مبتعدا حزينا. ومع الاختفاء التدريجي ثم الظهور التدريجي نراه قرب سفينة عجيبة يروي لنا عن رحلته المرتقبة إلى أفريقيا، ثم يقول إنه زار بلادا كثيرة والتقى بشاب إغريقي "قال له"... لكنه لا يكمل الجملة. وتجمد اللقطة على صورته، ثم تتبدل الصورة لتصبح لوحة فريسكو ضخمة على قطعة صخرية. تتراجع الكاميرا ويعلو صوت صفير الريح، ثم تظهر جميع شخصيات الفيلم تدريجيا مرسومة على قطع حجرية ضخمة منفصلة. لم يبق من "العالم القديم" سوى أحجار، والشخصيات التي رأيناها ليست سوى خيال منقوش على الأحجار، لن نستطيع أبدا أن نفهمها أو نسبر أغوارها. أليس هذا كل ما بقي من روما القديمة!

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

سياح الخريف والشتاء يتجهون إلى موريتانيا بعد غياب

حملة ترويجية على مواقع التواصل الاجتماعي تحيي جمال الصحراء

انتهى الموسم السياحي الصيفي على الشواطئ، لينطلق موسم سياحة الشتاء والخريف، ومن أجمل الخيارات التي يفضلها السياح خاصة سكان أوروبا الباردة خارج موسم الصيف، رحلة إلى الصحراء التي تمتاز بمناخ معتدل، بالإضافة إلى جمال كثبانها الرملية وتضاريسها بالتشكيلات العجيبة التي نحتها الزمن في متحف شاسع، لذلك عمل نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي في موريتانيا للترويج لصحراء بلادهم.

نواكشوط – "#زر_موريتانيا" هاشتاغ أطلقه إعلاميون ومدوّنون موريتانيون، ثم انتشر بين الشباب على مواقع التواصل الاجتماعي بلغات متعددة عربية وفرنسية وإسبانية وإيطالية في حملة دعائية للسياحة في بلدهم، في ظل غياب الدور الحقيقي للسلطات المعنية بالقطاع، وغياب الحملات الترويجية والإعلانات الضرورية لجذب السياح.

ودعا إلى الحملة المدوّن سيدي مختار ولد سيدي الذي قال، "الهدف من هذه الحملة هو تشجيع السياح على اختيار موريتانيا وجهة لهم خلال الموسم السياحي الذي انطلق حديثا ويستمر لستة أشهر"، ثم اقترح الصحافي محمد بدين الوسم "زر ـ موريتانيا" لتنتشر الحملة على صفحات الفيسبوك والتويتر تغريدات مرفوقة بصور وشرح للتعريف بالبلاد، كما تُوضّح طرق الحصول على تأشيرة الدخول، وكيفية السفر إلى المناطق السياحية المختلفة في البلاد.

هذه الحملة وجدت صداها لدى السياح الذين عادوا يتوافدون على الشمال الموريتاني ومناطق أخرى من البلاد خاصة التي تتميز الصحراء، كما عاد الراغبون في اكتشاف الإرث الثقافي الذي تزخر به المدن التاريخية في المنطقة، بعد أن أطلق وزير السياحة الموسم الجديد من مدينة أطار الصحراوية.

وقال ولد سيدي، "لاحظنا تفاعلا كبيرا وإيجابيا في الغالب مع الحملة من قبل الكتّاب والمدوّنين والإعلام المحلي، وتلقينا أسئلة واستفسارات من أشخاص غير موريتانيين، مستهدفين بالحملة أبدى بعضهم الرغبة في زيارة موريتانيا.

وأثنى وزير السياحة سيد أحمد ولد محمد على من أطلقوا الهاشتاغ وكتب في تدوينة له، "أحبائي أشكر كل أولئك الذين بادروا بإطلاق هذا الهاشتاغ وكل الذين تداولوه على صفحاتهم.. فعلا بلدنا جميل".

وانطلق الموسم باستقبال رحلة جوية في شهر أكتوبر قادمة من باريس تحمل 85 سائحا هي الأولى من نوعها في هذا الموسم بعد سنوات من المعاناة والركود، كانت فيها الدول الأوروبية تحذّر رعاياها بعدم السفر إلى المناطق الشمالية في موريتانيا.

ويرى الإعلامي ولد سيدي، أن هناك تحسّنا كبيرا في ما يتعلق بالجانب الأمني وهو ما سمح بعودة السياح بعد توقف دام نحو 10 سنوات، وتم كذلك شطب بعض مناطق موريتانيا من قائمة الوجهات الممنوعة على السياح الغربيين.

وقال ولد سيدي، "نركّز في الحملة على إبراز مقدرات البلد السياحية وقدرته على توفير الأمن للزائرين، وبطبيعة الحال فالجهد الأكبر والمسؤولية المباشرة تقع على عاتق وزارة السياحة والجهات الحكومية الأخرى".

وأشار سيد المختار ولد سيدي إلى أنه خلال الموسم السياحي الماضي زار موريتانيا 4 آلاف سائح أجنبي مقارنة مع 1500 خلال الموسم الذي سبقه. موضحا "هذا تطور لافت ومهم ومشجع"، مضيفا، "الهدف الآن هو استقطاب 14 ألف سائح وهو هدف طموح".

ولا تمتلك موريتانيا البنية الهائلة التي توفّر الرفاهية للسياح، لكنها تعتمد على جاذبية الصحراء وعبق التاريخ وخصوصية المجتمع، ممّا يغري السياح الذين يبحثون عن فرصة الاستمتاع بالطبيعة الصحراوية ومناطقها البكر، واكتشاف سر التقاليد الاجتماعية والتعرّف عن قرب على حضارة وطقوس المجتمع.

واستطاعت الشركات السياحية التغلّب على تواضع البنى التحية وغياب المنتجعات السياحية الفخمة ببرامج الرحلات الجماعية، واستثمار الطبيعة البرية والبيئة البكر لعمل المخيّمات البدوية، واستقبال السياح بطريقة بسيطة تغلب عليها الاحتفالات التراثية التي تأخذ السائح في رحلة حالمة إلى عالم البدو والحياة البسيطة.

وتتميّز موريتانيا بتنوّع مكوّناتها العرقية، التي امتزجت مع مرور الزمن، فكوّنت بثقافاتها الغنية والمتنوعة خليطا من الثقافات العربية والبربرية والأفريقية.

يقول خبراء السياحة إن موريتانيا تواجه تواضع الإمكانيات السياحية باستغلال البيئة والتقاليد، فهي تمنح سياحها فرصة الاستمتاع بالجو الصحراوي الأصيل والتقاط الأنفاس في أحضان الطبيعة التي لم يعبث بها الإنسان، وقضاء عطلة ممتعة تلبّي أذواقا مختلفة كزيارة المعالم والآثار التاريخية والاستمتاع بالصحاري والشواطئ، والقيام بكل ما يحلم به السياح وعشاق رحلات السفاري والمغامرات.

ومن أكثر الأنشطة التي تستهوي السياح، الترحال في رحاب الطبيعة، حيث يستمتع السياح بروعة الواحات والشمس الذهبية والشواطئ الجذابة والمناطق الأثرية، إضافة إلى ممارسة الهوايات مثل رياضات التحدي والقنص البري وركوب الجمال وقيادة سيارات الدفع الرباعي وسط رمال الصحراء.

وتضع الشركات السياحية برامج حافلة بالأنشطة والفعاليات للسياح الشغوفين بالمغامرة وحياة التخييم، والمولعين بالطبيعة الصحراوية وما بها من مناظر خلابة سواء كانت مرتفعات أو كثبان أو أخاديد صخرية، إضافة إلى القيام برحلات الصيد ومشاهدة الحيوانات البرية والتزلّج على الكثبان الرملية، والاستمتاع بمنظر الغروب البديع وسكون ليل الصحراء وحفلات الشواء في أجواء رومانسية حالمة.

> **الحملة الترويجية على مواقع التواصل تركز على إبراز جاذبية الصحراء وعبق التاريخ وخصوصية المجتمع، وقدرة البلاد على توفير الأمن للزائرين**

وتتعدد المناطق السياحية الرائعة في موريتانيا، منها مدينة ولاتة التاريخية التي تأسست في القرن الخامس ميلادي، ولا تزال هذه المدينة تحتضن إرثا تاريخيا ثريا في نمطها العمراني الفريد، الذي ظل يحافظ على طابعه المميز، وهو مزيج من النمط الأندلسي، وهندسة قصور الصحراء.

وتمتد على طول 180 كيلومترا المحمية الوطنية لحوض آركين بين الرمال الذهبية الناعمة وأمواج المحيط الأطلسي الهادئة الزرقاء، وتشكّل بتنوّعها البيئي والطبيعي إحدى أهم المحميات البيئية، وأكبر مصائد الأسماك حول العالم.

ويوفّر حوض آركين للسياح تجربة فريدة في الصيد بالقوارب، أو الصيد على الأقدام بالأدوات والطرق البدائية التي يتّبعها السكان المحليون للمحافظة على تنوّع المنطقة البيئي.

ومن المدن التي تُغري السياح بزيارتها مدينة شنقيط أو عيون الخيل كما يسميها الأمازيغ، وتضم بيوتا تراثية مفروشة بالسجاد والحصائر، تحوّلت إلى فنادق صغيرة، تقدّم أشهى الوجبات المحلية، من لحم الأغنام الطازج والتمور والأرز والكسكسي، وغيرها من الأطباق الصحراوية التي تمنح زائرها شعورا بالراحة والسكينة.

وتحاول مدينة وادان الواقعة في قلب الصحراء أن تحتفظ بملامحَ الازدهار العلمي والعمراني الذي عاشته منذ تسعة قرون، فالشوارع والمنازل والحارات القديمة والقصور، والمكتبات التي تضمّ الملايين من المخطوطات النادرة، كلّها شواهد تاريخية جاذبة للسياح الذين يتوافدون للاستمتاع بشرب الشاي مع الصحراويين، تحت ظلال الخيام.

كالي الكولومبية تستقطب السياح على إيقاع السالسا

كالي (كولومبيا) – تعتبر السالسا نوعا من أنواع الرقص، الذي ظهر في أميركا اللاتينية وتطور خلال منتصف السبعينات من القرن الماضي، وتمتاز هذه الرقصة الزوجية بخطواتها الغزلية والمليئة بالحياة، وتعتبر مدينة كالي الكولومبية عاصمة السالسا في العالم؛ حيث يقصدها الراغبون في تعلم كيفية الرقص أو الراغبون في تحسين أدائهم.

> **المدينة تقع على ارتفاع الف متر في وادى الكوكا لكن أجواء السالسا والشعب المضياف يوحيان للسياح بأنها تنتمي إلى منطقة البحر الكرايبي**

وتقع مدينة كالي، التي يقطنها 2.4 مليون نسمة، في جنوب غرب كولومبيا وتزداد أهميتها حاليا كوجهة سياحية للراغبين في تعلّم رقصة السالسا، وتوجد بها حوالي 130 مدرسة للرقص.

وأشارت الإدارة الثقافية في المدينة إلى أن كالي تروّج لنفسها حاليا باعتبارها "عاصمة السالسا"، وهناك العديد من الأنماط المختلفة من رقصة السالسا، ومنها السالسا الكوبية والبورتوريكية والكولومبية، وكذلك أنماط من نيويورك ولوس أنجلس.

وأوضح الراقص المحترف خوان أنجيل راميريز قائلا، "تمتاز السالسا الكولومبية بالحركات السريعة للغاية للأقدام والساقين". ويتخلّى "أسلوب كالي" عن فترات الراحة، ويعتمد بدلا من ذلك على خطوة مع كل إيقاف.

ويستغل الراقصون المهرجان الشعبي "فيريا دي كالي"، الذي يقام في الفترة من 25 إلى 30 ديسمبر، لإظهار مهاراتهم، وأهم ما يمتاز به هذا المهرجان عرض "سالسودرومو"، الذي يضم أفضل مدارس السالسا، ويستمر المهرجان لمدة ستة أيام، يتم خلالها تقديم عروض الأزياء التقليدية والكثير من الحفلات الموسيقية، التي تكون مجانية في معظمها.

وتمتاز مدينة كالي بأنها من أكثر المدن كثافة بالسكان في كولومبيا بعد مدينتي بوغوتا وميديلين، وقد عانت المدينة من أوقات عصيبة؛ حيث تصدرت حرب المخدرات بين كارتل كالي وكارتل ميديلين عناوين الصحف قبل 25 عاما، وقد تحسن الوضع الأمني في كالي بصورة كبيرة منذ اتفاق السلام مع مقاتلي القوات المسلحة الثورية الكولومبية في 2016، وبالرغم من ارتفاع معدل الجريمة في المدن الكبرى، إلا أن النمو الاقتصادي وانخفاض معدل الفقر ساهما في تحسين صورة كولومبيا بشكل كبير.

ويفتخر السكان المحليون بمدينهم التي يحرسها تمثال السيد المسيح بارتفاع 26 مترا، كما قامت المدينة بتدشين نصب تذكاري لمؤسس الفرقة الموسيقية جيرو فاريلا، والذي توفي عام 2012؛ حيث يوجد ترومبون ضخم أمام متحف السالسا، الذي يحمل اسم فاريلا.

وانطلاقا من هذا المتحف يمكن للسياح اكتشاف بعض المعالم في المدينة حول منتزه "بوليفار ديل ريو"، وهو عبارة عن منتزه تم تجديده بشكل رائع على طول نهر كالي، وعلى الرغم من أن مدينة كالي ليست من المدن، التي يقع السياح في حبها من النظرة الأولى، إلا أنها تنجح في أسر ألباب بعض السياح؛ حيث تزهو بحياتها الليلية الصاخبة، كما يلاحظ بعض السياح تحلّي السكان بحب الحياة.

وقد يبدو من الغريب تمتع رقصة السالسا بهذه الأهمية الكبيرة في كالي، وهي المدينة التي تقع على ارتفاع ألف متر في وادي نهر كاوكا، وقد تم تأسيس هذه المدينة في منطقة جبال الإنديز على يد الفاتح الإسباني سيباستيان دي بيلالكازرا في عام 1536، ومع ذلك فإن أجواء المدينة وشعبها المضياف يوحي للسياح بأنها تنتمي إلى منطقة البحر الكاريبي. وأوضح عالم الأنثروبولوجيا وخبير السالسا أليخاندرو أولوا أن هناك أسبابا تاريخية جعلت مدينة كالي تتمتع بهذه الأجواء المميزة؛ فكما هو الحال في أجزاء من منطقة البحر الكاريبي توجد في وادي كوكا الكثير من المزارع الكبيرة لقصب السكر والكاكاو والتبغ، والتي جلب إليها المستعمرون الإسبان العبيد من أفريقيا، وهو ما جلب معهم الثقافة الأفريقية إلى هذه المنطقة، بالإضافة إلى وجود حركة هجرة قوية من ساحل المحيط الهادي القريب خلال القرن العشرين، وتعتبر مدينة كالي اليوم أكبر مدينة في كولومبيا تضم سكانا منحدرين من أصل أفريقي.

الفرح على القدم والساق

وفي البداية كانت السالسا أكثر انتشارا بين السكان الفقراء، ولكنها اليوم أصبحت عنصرا اجتماعيا موحدا، ويتم الاستماع إلى السالسا في كل مكان، سواء كان ذلك في سيارات الأجرة أو السوبر ماركت أو في الحدائق، ويتم أداء رقصات السالسا في كل فرصة سانحة.

ويمكن للسياح التعرف على مدى روعة أسلوب السالسا المميز لمدينة كالي من خلال الاستمتاع بالعرض "ديليريو"، والذي يقام مرة واحدة كل شهر في خيمة سيرك كبيرة خارج المدينة، ويمتد العرض لعدة ساعات ويشارك فيه ما يصل إلى 200 راقص وفنان محترف، كما يمكن مشاهدة عرض "إل مولاتو كاباريت" في وسط المدينة، الأرخص بعض الشيء والملون إلى حد ما، ويستقبل المسرح الزوار في أيام الآحاد.

وبالإضافة إلى ذلك، هناك العديد من أندية السالسا في المدينة، والتي يمكن فيها مقابلة طلاب السالسا، وليس هناك خوف من التواصل مع سكان كالي؛ حيث إنهم يقدمون النصائح ويتحلون بالصبر عندما لا يتم أداء الرقصات بالشكل السليم.

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

أدوات خلق كائنات جديدة متاحة للشراء عبر الإنترنت

هندسة الجينات تفتح أبوابا واعدة ومخيفة لا يمكن إغلاقها

159 دولارا فقط ثمن المستلزمات الكاملة لتقنية «كريسبر» التي تتيح لأي شخص إمكانية اقتراح أشكال جديدة للحياة

سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

الاختراقات الهائلة في هندسة الجينات الوراثية والتلاعب بها، لم تعد سرا منذ اكتشاف طريقة لتحرير الجينات يطلق عليها اختصارا اسم كريسبر (Crispr) والتي تسمح لأي شخص بأن يتخذها هواية أو هوسا جنونيا لابتكار احتمالات حياة جديدة.

يستطيع كثيرون اليوم باستخدام تلك التقنية، خلق كائنات جديدة من نباتات وحيوانات وربما بشر بإمكانات خارقة مستعارة من الحيوانات وربما النباتات أيضا.

وقد وصل الجدل بشأنها ذروته في الأيام الماضية بعد عرض برنامج وثائقي من 4 حلقات على منصة نتفليكس بعنوان "انتخاب غير طبيعي" Unnatural Selection في إشارة إلى نظرية الانتخاب الطبيعي، التي وضعها العالم تشارلز دارون.

ويستكشف البرنامج الذي أعده المخرجان جو إيغيندر وليور كوفمان، الأشكال المختلفة للهندسة الوراثية والآثار والانقلابات الاجتماعية والبيئية لأبحاثها واستخداماتها، بعد أن تعقب بعض الأشخاص الذين يقومون بأبحاث جنونية خارج أي رقابة، في بيوتهم وفي مستودعات المزارع، والتي يمكن أن تعبث بخارطة الحياة على هذا الكوكب.

وكان من صدمات البرنامج حقيقة بسيطة وخطيرة، هي أن عدة ومستلزمات تلك الأبحاث أصبحت متاحة بسعر زهيد ويمكن لأي شخص أن يطلبها عبر الإنترنت، مثل أي صفقة تسوق أخرى. وقد بحثت عنها شخصيا ووجدت أن المستلزمات الكاملة للتلاعب بشفرة الحياة معروضة على الإنترنت مقابل 159 دولارا فقط، وهي تتيح لأي شخص إمكانية اقتراح أشكال جديدة للحياة.

كلب ضوئي وإنسان أخضر

أحد الأشخاص الذين ظهروا في البرنامج قطع شوطا طويلا في إدخال جينات حشرة مضيئة إلى الحيوانات المنوية لبعض الكلاب وهو يؤكد أن يقترب من "خلق" كلاب تشع بالضوء في الظلام.

يمكن للمخيلة أن تذهب حيث تشاء، ماذا لو مزجنا جينات من القطة والحمار، أو جينات من نباتات مع بعض الحيوانات وماذا لو مزجنا جينات نباتية مع البشر، هل سيكون لدينا إنسان أخضر قادر على عملية التمثيل الضوئي؟

وقد نتمكن من إعادة الحياة إلى الديناصورات وحيوانات منقرضة أخرى إذا تمكنا من استخلاص حمضها النووي من خلال مزجه بجينات حيوانات أخرى.

حين توصل العلماء في عام 2000 إلى الخارطة الجينية الكاملة للبشر، قال الرئيس الأميركي حينها، بيل كلينتون "نحن نتعلم اليوم اللغة التي خلق بها الله الحياة".

كانت تلك إحدى أكبر القفزات العلمية الواعدة والمخيفة، وتمكن العلماء فيها من وضع الخارطة الجينية الكاملة للبشر، والتي يرمز لها بالحروف، أي وسي وجي وتي، بأسلوب مشابه لرموز الكمبيوتر.

اليوم وبعد مرور ما يقارب 20 عاما، قطع العالم أشواطا هائلة لم تكن في الحسبان مع اكتشاف تقنية "كريسبر" التي تتيح ببساطة تغيير الشفرة الوراثية واستبدال جينات بأخرى.

فتحت حلقات البرنامج صندوقا عاما خفيا مزدهرا لتكنولوجيا تعديل الجينات، وتعقبت أشخاصا عاديين، بعضهم لم يدرس في أي جامعة، يقومون بتجارب كانت في منطقة الخيال العلمي.

العبث بخارطة الحياة

تقول جينيفر دودنا وهي أحد مكتشفي تقنية "كريسبر" إن الاكتشاف يشبه إلى حد ما "مشرطا جزيئيا" وهو يقوم في الأساس بإزالة واستبدال رموز جينية في سلسلة الحمض النووي (دي.أن.أي).

ويسمح ذلك بتعديل الصفات الوراثية ومزج رموز من كائنات مختلفة لتفتح آفاقا لانهائية الاحتمالات، أي "إعادة كتابة خارطة الحياة" على حد تعبير البروفيسور خوان إيزبويسوا بيلمونتي خبير تطوير البيولوجيا الحيوية في معهد سالك في ولاية كاليفورنيا الأميركية. ونسبت صحيفة الغارديان إلى المخرج إيغيندر قوله بعد صدمة ما اطلع عليه خلال إعداد البرنامج الوثائقي "لقد جئت من عالم الخيال. وكأنني كنت أقوم ببعض الأبحاث لإنشاء نص خيال علمي" وليس أمورا حدثت بالفعل.

وذكر أن فكرة البرنامج انبثقت بالصدفة حين قرأ مقالا عن تقنية "كريسبر" وأصيب بالذهول. وأضاف "لم أستطع أن أصدق ذلك. هل يمكننا بالفعل تعديل جوهر الحياة وهو الحمض النووي؟".

وسارع للاتفاق مع صديقه المخرج كوفمان، ليقررا البحث عن خفايا هذا العالم لإنتاج فيلم وثائقي، وسرعان ما عثرا على عدد كبير من رواد هذه المغامرات، المستعدين لكشف كل ما لديهم في البرنامج.

وقال كوفمان "في اللحظة التي بدأنا فيها التحدث مع الناس، فهمنا كيف أن هذه الثورة لا تقف عند عنوانها الأكبر وهو إعادة تصميم الحيوانات والنباتات وحتى الإنسان، بل تمتد لميادين مختلفة تؤثر على مستقبل العلاجات الطبية والبيئة".

تناول البرنامج الوثائقي الإطار الأوسع للهندسة الوراثية وتعقيداتها المليئة بالمخاطر والفوائد والقصص الحياتية، وسلط الضوء على قضاياها المعقدة والآفاق اللانهائية التي تفتحها.

على سبيل المثال، تابع البرنامج تفاصيل حياة أشخاص يحتاجون للعلاج الجيني لتصحيح اختلالات صحية وإنقاذ حياتهم، لكنهم يصطدمون بتكاليفها الباهظة، التي تصل إلى نصف مليون دولار.

وتناول متاعبهم مع شركات الهندسة الوراثية الناشئة، التي تحاول تمويل إنتاج العلاج، تاركة المرضى في مواجهة رحلة شاقة للحصول على التمويل من شركات التأمين الصحي.

وخصص البرنامج حلقة لعرض آفاق استخدامات تكنولوجيا تعديل الجينات في حماية البيئة وتخفيف آثار التغير المناخي، وأخذ نموذج معاناة نيوزيلندا من وباء انتشار القوارض، التي قدمت من بيئات أخرى عبر السفن، والتي تهدد بقاء الكثير من الطيور النادرة، التي لا تعيش في أي دولة أخرى.

وتابع جهود الدكتور كيفين إسفلت، الذي ابتكر "تقنية القيادة الجينية" بهدف نشر تعديل جيني بين القوارض للحد من تكاثرها السريع، لكن ذلك أثار مخاوف بعض النيوزيلنديين من مخاطر ليست في الحسبان تؤدي إلى انهيار في التوازن البيئي.

معظم العلماء يحذرون من سيناريوهات كارثية، التي تصل إلى احتمالات ارتكاب خطأ كبير وإطلاق حيوان من المختبرات يمكن أن يحدث خرقا كبيرا في موازين الطبيعة ويفتح أبواب كوابيس مخيفة.

حتى الدكتورة دودنا، التي شاركت في اكتشاف تقنية "كريسبر" تتحدث باستمرار عن ضرورة الحذر بشأن هندسة الجينات، بعد أن أصبحت آفاقها الخطيرة واقعا فعليا لا يمكن التشكيك فيه.

سيناريوهات كارثية

تصل المخاوف إلى احتمال استخدامها ضد البشر ودفع الحياة على الكوكب إلى نهاية كارثية. يقول كوفمان إن ذلك الحذر يصدر من أشخاص "يعيشون بالفعل معضلات الغد وأخلاقيات الغد والعالم المالي في الغد، بطريقة يمكن أن نستفيد منها للتحوط من المستقبل".

لكن انتشار التقنية يجعل من الصعب مراقبة احتمالاتها المخيفة، التي يمكن أن تحدث في أقبية سرية، مهما شنت الحكومات من حملات أمنية لمطاردتها.

يأمل الدكتور إسفلت من خلال تقنية القيادة الجينية أن يخفف جزئيا آثار تغير المناخ، لكنه لا ينسى المخاطر ويقول "إن احتمال انتشار موجات من كائنات معدلة وراثيا تكتسح العالم وتنتشر جغرافيا من بلد إلى آخر وعبر القارات، أمر مرعب تماما".

لكنه حسم الصراع بين الطموحات والمخاوف وقرر المغامرة واستكشاف المجهول، في وقت لا يزال فيه التشاؤم يكبل معظم العلماء الذين يعملون في مختبرات رسمية وخاضعة للرقابة.

ويقول خبير البيئة جيم توماس في البرنامج "إنها التكنولوجيا الأكثر تأثيرا التي رأيتها في حياتي بعد الطاقة النووية"، لكنّ كثيرين يقولون إنها قد تصبح أخطر منها.

وترى الناشطة دانا بيرلس أن "الهندسة الوراثية تتحدى قدرتنا على السيطرة على التكنولوجيا" وتتساءل "من المستفيد؟ من يسيطر على التكنولوجيا؟ شركات الأعمال التجارية الزراعية والشركات الكيميائية والشركات الكبرى مهتمة جدا بها لأنها تسمح لها بالتحكم في الطبيعة".

محاولات لجم المخاطر

يعترف إيغيندر بمشروعية القلق والخوف من هذه التكنولوجيا، لكنه يرى أسبابا للاحتفاء بها أيضا. ويعتقد أن "ما هو مؤكد هو أننا نحتاج لفهمها بشكل أفضل ومناقشتها لنتمكن بشكل جماعي من اتخاذ قرارات بشأنها، بدل ترك الأمر فقط للأشخاص الذين يعملون على فتح آفاقها الواعدة والمخيفة في ذات الوقت".

ويتفق معه زميله كوفمان بالقول إن "ردود فعل معظم الناس حين يسمعون عن هذه التكنولوجيا لأول مرة هي الخوف منها، لكن أفضل ما يمكن أن نقوم به هو مواجهة أسئلتها لمعرفة المسار الذي ينبغي أن نسلكه وما لا ينبغي أن نفعله".

ويؤكد ضرورة عدم اتخاذ قرار قاطع، لأن هذه التكنولوجيا يمكن أن تعيد البصر إلى طفل ويمكن أن تنقذ سكان مناطق مثل غرب أفريقيا من أوبئة مرضية كارثية.

دانا بيرلس

الهندسة الوراثية تتحدى قدرتنا على السيطرة على التكنولوجيا. والشركات الكبرى مهتمة لأنها تسمح لها بالتحكم في الطبيعة

برنامج "الانتخاب غير الطبيعي" وثق قلق وآمال الكثيرين وربطها ببعضها للبحث عن أفضل المسارات الممكنة وفتح أعين الكثيرين على هذا العالم الغامض.

لم يحاول البرنامج الوثائقي أن يؤثر في اتجاهات آراء الجمهور بشأن الهندسة الوراثية من خلال التزام الحياد بشأنها وحاول فقط عرض خارطة واسعة لفوائد ومخاطر تحرير الجينات والتلاعب بها.

حماقات تاريخ البشرية تؤكد أننا لن نستطيع إعادة هذا المارد إلى الزجاجة، بعد أن خرج منها، وأن هذه التكنولوجيا ستؤدي إلى نجاحات هائلة وقد ترتكب أخطاء كارثية، وسوف ينتشر استخدامها في كل الأحوال مهما كانت المعارضة القانونية والأخلاقية.

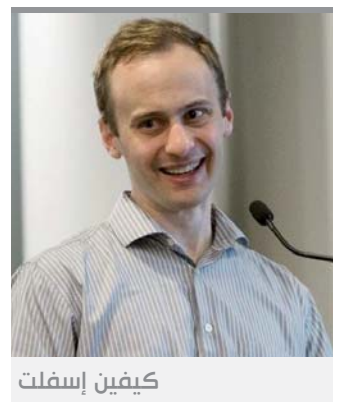

كيفين إسفلت

احتمال انتشار موجات من كائنات معدلة وراثيا تكتسح العالم وتنتشر جغرافيا من بلد إلى آخر وعبر القارات، أمر مرعب تماما

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

مدرّبو اليوغا يجازفون بالإفراط في الضغط على العضلات

تدريبات اليوغا المكثفة تتسبب في مشكلات خطرة للورك

لا تزال اليوغا ضمن قائمة الرياضات المفضلة للكثير من الناس حول العالم. وكلما زاد عدد المولعين بهذه الرياضة تزداد الحاجة لمدربين وتتكثف عدد جلسات التدريب. ونتيجة لضغط برنامج التدريبات، يصبح المدربون عرضة للآلام والإصابات أكثر.

اليوغا قد تفاقم الألم بدل تخفيفه في الكثير من الأحيان

لندن - يشدد خبراء اللياقة البدنية على أنه رغم الفوائد الكثيرة لممارسة اليوغا، قد تشكل هذه الرياضة عبئا كبيرا على البعض. وقد نشرت هيئة الإذاعة البريطانية تقريرا تناول تأثير اليوغا على المدربين. وتضمن التقرير تحذير بينوي ماثيوز، أخصائي العلاج الطبيعي في المملكة المتحدة، الذي لاحظ وجود أعداد متزايدة من معلمي اليوغا يعانون من مشكلات خطيرة في الفخذ -كثير منهم يحتاجون إلى جراحة- لأنهم يضغطون على أجسادهم بشدة.

يقول ماثيوز، وهو أخصائي علاج طبيعي للورك والركبة وعضو في جمعية تشارترد لأخصائيي العلاج الطبيعي، إنه يرى من أربعة إلى خمسة مدربين لليوغا في الشهر.

وأوضح أن المشكلة تكمن في ضغط الناس مرارًا وتكرارًا على أجسادهم في وضعيات "محددة" في الوقت الذي تمنع قدرتهم البدنية ذلك.

يحتاج حوالي نصف المدربين الذين يعالجهم ماثيوز إلى البحث عن كيفية تخفيف الضغط الذي ينتج عن الوضعيات التقليدية المعتمدة خلال التدريب على اليوغا حتى لا يفاقم الحمل على مفاصلهم. لكن أولئك الذين يعانون من مشكلات أكثر تطوراً وتقدما يحتاجون إلى العلاج الطبي والجراحة بما في ذلك بدائل الورك الكاملة.

يقول ماثيوز "الناس يخلطون بين الصلابة والألم. إذا كان هناك شعور بالوخز أو الشد الشديد في الفخذ، فلا ينبغي تجاهله. عليك أن تعرف حدودك".

تخصص ماثيوز في علاج الوركين والركبتين على مدار الأعوام الثمانية الماضية من فترة مزاولته لاختصاصه في العلاج الطبيعي طوال 22 عاما.

وأوضح أنه من السهل أن يلتبس الأمر على ممارسي اليوغا ويخطئون في رصد آلام المفاصل وهذا يعني أنه يجب عليهم إيقاف الحركة حتى يتجنبوا خطر الإصابة بالتصلب.

تكرار نفس التمرين

يقول ماثيوز "كلنا نعرف الفوائد الصحية لليوغا، أنا أيضا أمارسها. لكنها، مثل أي شيء، يمكن أن تتسبب في حدوث إصابة ما. لا أريد أن أندّد بممارسة اليوغا فهي تمارس منذ آلاف السنين، لكن عليك أن تفهم نفسك".

ولفت إلى أن المشكلة غالباً ما تتلخص في معرفة شكل الوركين ومدى مرونتهما. وأضاف "ما يمكن تحقيقه بالنسبة لشخص ما قد لا يمكن للآخرين تحقيقه". وفسر أن الناس يميلون إلى ممارسة الوضعيات المحددة نفسها، بدل أداء تمارين تتناسب مع أجسامهم.

وشدد على أنه "لمجرد أن الشخص الذي بجوارك يمكنه الوصول إلى تحقيق كامل المهمة لا يعني أنه من الضروري أو حتى من المرغوب فيه أن تفعل الشيء نفسه".

ويرى أخصائي العلاج الطبيعي أن عدد مدربي اليوغا المتزايد والذين قد لا يقومون بأي نوع آخر من التمارين يمكن أن يفسر المشكلات التي يمكن أن تتطور. ويفسر "ربما يمارسون اليوغا ستة أيام في الأسبوع ويعتقدون أن هذا يكفي، دون ممارسة أي نوع آخر من التمارين، مثل تمارين الكارديو أو التدريب المتقاطع. إنه مثل أي شيء، إذا قمت به مرارًا وتكرارًا، يمكن أن يحدث ذلك المشكلات. أنت تحتاج إلى مزج أنواع التمارين".

ويتحدث ماثيوز عن المدربين الشباب الذين يعالجهم والذين تتراوح أعمارهم بين 40 و42 سنة، "إذا جاؤوا ولم يتمكنوا من المشي لأكثر من 10 أمتار، على سبيل المثال، لا يوجد نوع من العلاج الطبيعي يمكن أن يساعدهم. إذا مرّ عامان على حالتهم، فحتى أفضل أخصائي علاج لا يستطيع فعل أي شيء".

وفي بعض الأحيان يمكن أن يخضعوا لجراحة تنظير الورك أو زرع بديل له. ويقترح ماثيوز تقييم معلّمي اليوغا الجدد بالقول "يمكنك أن ترى ما مقدار ليونتهم وما الذي تسمح لهم به أجسامهم".

استخدام مفرط للعضلات

تعمل ناتالي غارشور معلمة لليوغا منذ 16 عامًا. وتقول إنها لا تعتقد أنه يتم إخبار المتدربين عن وظائف الأعضاء مشيرة إلى أن "هناك مشكلة الاستخدام المفرط. إذا دربت أشخاصا بشكل جماعي على الباليه، فستحصل على نفس النتائج".

تبلغ ناتالي الآن 45 عاما وكانت قد تعرضت لتمزق الغضروف في مفصل الفخذ قبل خمس سنوات.

وهي الآن حريصة على توزيع جلسات التدريب بشكل مناسب وهي لا تعمل في عطلات نهاية الأسبوع. لكنها تقول إنه من الصعب على المعلمين المؤهلين حديثًا أن يفعلوا الشيء نفسه.

وأردفت "سوف يقومون بخمسة دروس في اليوم، وهم يركضون ويعملون في عطلات نهاية الأسبوع".

وتقول ويندي هارينغ، رئيسة قسم التعليم "من المحتمل أن يكون هذا صحيحًا في بعض مدارس اليوغا، حيث يقوم الناس بنفس الوضعيات لفترة طويلة دون إضفاء أي تعديلات، وذلك يمكن أن يسبب المشكلات".

وأضافت أن الأشخاص الذين يقومون بتدريس اليوغا يحتاجون إلى العناية.

يقول بيب وايت، المستشار المهني في جمعية تشارترد للعلاج الطبيعي "تعتبر اليوغا نشاطًا رائعًا للناس، توفر ممارستها الكثير من الفوائد للصحة والرفاهية العامة. ومع ذلك، كما هو الحال مع أي شكل من أشكال التمرين، من المهم القيام بذلك بأمان".

وأوضح "اليوغا ليست تمرينا للتنافس مع أي شخص آخر. إذا كنت على دراية بقدراتك وبحدودك، فستكسب كل المزايا الرائعة التي تقدمها هذه الرياضة". وكانت دراسة أسترالية سابقة، أجراها باحثون في جامعة سيدني، قد وجدت أن اليوغا تسبب ألم العضلات والعظام، غالبا في منطقة الذراعين، عند أكثر من 10 بالمئة من المشاركين في الدراسة. كما توصلت إلى أن اليوغا تؤدي إلى تفاقم 21 بالمئة من الإصابات الموجودة.

وقال الباحث الرئيسي، إيفانغيلوس باباس، إن خطر الألم الناجم عن اليوغا، يعد أكبر مما كان يُعتقد سابقا.

وأضاف "وجدت دراستنا أن حدوث الألم الناجم عن اليوغا، يشكل أكثر من 10 بالمئة سنويا من الآلام لدى المشاركين في الدراسة، وهو ما يعادل معدل جميع الإصابات الرياضية، عند ممارسي الرياضات بأنواعها".

وشارك في الدراسة أكثر من 350 شخصا، ممن حضروا دروسا لليوغا، وطُلب منهم (معظمهم من النساء اللواتي يبلغ متوسط أعمارهن 45 عاما)، ملء استبيان في وقت محدد، وآخر بعد سنة واحدة.

ووجدت الدراسة أن معظم الألم "الجديد" الذي قدرت نسبته بـ13.3 بالمئة كان إما في منطقة الكتف والمرفق والمعصم، أو اليد بأكلمها. ويقول باباس، مدرب اليوغا، إن هذا الأمر منطقي، لأن الأطراف العليا من الجسم ليست مصممة لحمل الكثير من الوزن.

وأردف "يوجد الكثير من الحركات والانقلابات في اليوغا، التي تضع الكثير من الوزن على الأطراف العليا".

ولكن الخبر السار في الدراسة يقول إن نحو الثلثين أو 74 بالمئة من المشاركين، أفادوا بأن اليوغا تخفف من آلام أسفل الظهر والرقبة. ونُشرت الدراسة في مجلة (بوديوورك آند موفمانت ثيرابيز).

وأوضح باباس أن هذه النتائج يمكن أن تكون مفيدة للأطباء والأفراد، لمقارنة مخاطر اليوغا مع الرياضات الأخرى، لاتخاذ القرارات الصائبة لتحديد الأنشطة الأفضل.

تكييف الحركة مع الجسم

ينصح الخبراء بضرورة قيام المشاركين بإعلام المدربين وأخصائيي العلاج الطبيعي بالآلام الموجودة مسبقا، وخاصة في الأطراف العليا، لتحديد الحركات اللازم اتباعها.

كما أجرت عيادات مايو كلينك الأميركية دراسة حذرت في نهايتها الأشخاص المصابين بهشاشة العظام من ممارسة اليوغا. نشرت الدراسة في مجلة "مايو كلينك بروسيدينغ". وكانت نبهت من أن بعض وضعيات اليوغا يمكن أن تؤدي إلى مزيد من الأنسجة الرخوة وإصابات العظام بالنسبة إلى المصابين أساسا بهشاشة العظام.

أجريت الدراسة على 89 شخصا والذين بدأوا العلاج في عيادات مايو كلينك، بين عامي 2006 و2018، بسبب الألم الذي اعتقدوا أنه كان جراء ممارسة اليوغا. البعض منهم كانوا مبتدئين والبعض الآخر كانوا من المتمرسين، لكنهم جميعا اشتكوا من آلام في الظهر والرقبة والكتفين والأرداف والركبتين.

وأشار هؤلاء الأشخاص إلى 12 وضعية يوغا تسبب لهم الألم والتي تتطلب الانحناء أو تمديد العمود الفقري. وهذا تضمن وضعيات مثل وضعية الجسر "الكلب" المتجه للأسفل ووضعية الجسر ووضعية الوقوف على اليدين.

وباستخدام الفحوصات، وجد الباحثون أن هذه الحركات تسبب للمشاركين إصابات في العظام وفي الأنسجة الرخوة وفي المفاصل. وفي النهاية حدد الباحثون أن هذه الوضعيات تسببت في 29 حالة من الإصابات.

لا ينصح الباحثون المصابين بهشاشة العظام بالتوقف عن ممارسة اليوغا ولكنهم يوصونهم بإيجاد بعض الوضعيات التي لا تسبب لهم مزيدا من المضاعفات.

ويقول المؤلف الرئيس للدراسة، مهرشيد سيناكي، "اليوغا لها العديد من الفوائد على الصحة العامة، فهي تحسن التوازن والمرونة والقوة وتعتبر نشاطا اجتماعيا جيدا، وبالنسبة إلى المتقدمين في العمر فهي تساعد على علاج بعض الأعراض غير المرغوب فيها".

كما نشر موقع هيلث داي الأميركي مقالا توضيحيا أفاد بأن الكثير من الناس يحاولون ممارسة اليوغا على أمل أن يشفوا من الإصابات، لكن بعضها يختفي والبعض الآخر يزيد من الأوجاع والآلام.

وعرض المقال نتائج دراسة أجرت مسحًا لمئات من الأشخاص الذين يمارسون اليوغا لأكثر من عام. ووجد الباحثون من خلالها أن ثلثيهم قالوا إن بعض الأوجاع الموجودة تحسنت بسبب اليوغا. في أغلب الأحيان، كانت آلام أسفل الظهر والرقبة. من ناحية أخرى، قال 21 بالمئة من المشاركين في الدراسة إن اليوغا قد زادت من آلام العضلات أو المفاصل. وقال حوالي 11 بالمئة إنها تسببت في أوجاع جديدة. أكثرها شيوعا، ألم في اليد أو الرسغ أو الكوع أو الكتف.

لم تتعمق الدراسة في إصابات محددة ولكن بدلاً من ذلك سألت الناس عن الأوجاع العامة في مناطق الجسم المختلفة. لذا، يقول توم سوين، باحث في مركز علوم الإصابات في جامعة ألاباما في برمنغهام، "من الصعب معرفة مدى خطورة هذه المشكلات".

وأضاف سوين الذي لم يشارك في الدراسة "الشعور بالألم لا يعني دائما التعرض لأذى خطير، حيث يمكن أن يكون مجرد عضلات مؤلمة".

إصابات خطرة

في دراسة سابقة، نظر سوين وزملاؤه في إصابات خطيرة مرتبطة باليوغا. ووجدوا أنه بين عامي 2001 و2014، توجه ما يقرب من 30000 أميركي إلى غرفة الطوارئ نتيجة إصابات منسوبة إلى اليوغا، بما في ذلك المفاصل الملتوية وسلالات العضلات الخطيرة وحتى الكسور. ووجدت الدراسة أن المعدل ارتفع على مر السنين.

وقال الباحثون إنه مع ذلك وبالنظر إلى مدى شعبية اليوغا، فإن خطر أن ينتهي المطاف بالمتدرب في غرفة الطوارئ منخفض للغاية.

وأفاد سوين "على الرغم من وجود خطر التعرض للإصابة، فإن ذلك لا ينبغي أن يمنع الناس من المشاركة في اليوغا، لما لها من منافع".

وقد ربطت الدراسات اليوغا بمكاسب صحية تتراوح من انخفاض ضغط الدم والكولسترول ومعدل ضربات القلب إلى المساعدة في التغلب على الاكتئاب والقلق واضطرابات النوم.

بالإضافة إلى ذلك، يرى الباحثون استناداً إلى أبحاث أخرى، أن اليوغا قد لا تكون أكثر خطورة من أشكال التمارين الأخرى. وقام باحثون من كلية ميرسي في دوبس فيري بنيويورك، بقيادة مارك كامبو، باستطلاع آراء 354 شخصًا، معظمهم من النساء. تراوحت دروس اليوغا بين اليوغا "الرشيقة" واليوغا بأسلوب "فيناسا" سريع الخطى.

وقال جميع المشاركين تقريبا أي بنسبة قدرت بـ87 بالمئة إنهم يعانون من ألم في منطقة واحدة على الأقل خلال السنة التي تمت فيها عملية المسح والدراسة.

ويرى الدكتور جوشوا هاريس، جراح العظام في مستشفى هيوستن الميثوديست في تكساس، أن ما توصلت إليه الدراسة هو النتائج المترتبة عن الدفع بقوة في دروس اليوغا.

إن القلق من اليوغا، حسب هاريس، هو أن بعض الحالات تنطوي على نطاق واسع من الحركة في المفاصل، حيث قال "نطاق الحركة مختلف جدا من شخص إلى آخر. إنه أمر شخصي للغاية". وأضاف "إذا واصلت دفع نطاق حركتك إلى أبعد مما ينبغي أن يكون، فربما ينتهي بك الحال إلى التعرض للأذى".

ويوصي هاريس "إذا كنت تعاني من إصابة، فأخبر المدرب 'أنا جديد على اليوغا وظهري يؤلمني'، استمع لجسدك إن لم يكن هناك ألم لن يكون هناك مكسب".

وفي النهاية ورغم كل المخاطر، تظل اليوغا أفضل علاجات ألم أسفل الظهر غير الدوائية. وقد تم تقسيم المشاركين في إحدى الدراسات السابقة بشكل عشوائي على ثلاث مجموعات. وشاركت مجموعة في برنامج لليوغا دام 12 أسبوعا خصصت لمن يعانون من ألم أسفل الظهر.

والمجموعة الثانية خضعت لبرنامج علاج طبيعي في نفس الفترة. أما المجموعة الثالثة فتلقت كتابا يحتوي على معلومات شاملة عن ألم أسفل الظهر ومتابعة للمعلومات كل بضعة أسابيع.

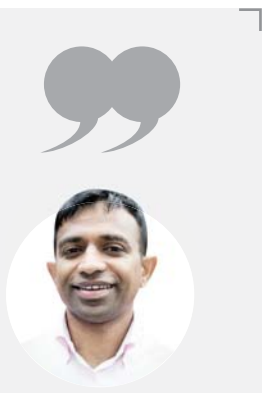

بينوي ماثيوز، أخصائي علاج طبيعي للورك والركبة: المفتاح ببساطة هو فهم ما يمكن أن يفعله جسمك

وفي بداية الدراسة أوضح المشاركون أنهم يعانون من خلل وظيفي وآلام بين معتدلة وحادة. وكان أكثر من الثلثين يستخدمون أدوية لتخفيف الألم.

واستخدم الباحثون استبيان رولاند موريس لأوجاع الظهر لمتابعة الخلل الوظيفي والآلام لدى المشاركين في الأسابيع 6 و12 و26 و40 و52.

وأوضحت نتائج الاستبيان تحسنا يصل إلى 3.8 نقاط بعد 12 أسبوعا لدى المجموعة التي خضعت لبرنامج لليوغا مقارنة مع 3.5 نقاط لدى المجموعة التي خضعت لبرنامج علاج طبيعي. أما المجموعة الثالثة التي تلقت توعية فسجلت تراجعا يصل إلى 2.5 نقطة.

وأوضح الباحثون أن التحسن الذي شعر به من خضعوا لبرامج يوغا أو علاج طبيعي استمر طول العام.

عندما يكون الوطن في خطر فكل أبنائه جنود

المحتجون الشباب يغيرون النظرة السلبية لجيل الألفية

عرابو التظاهرات العربية يعلّمون شعوب العالم الشجاعة

الجيل الشاب في البلدان العربية يحاول أن يعكس الدروب التي مضت عليها الأجيال السابقة، ويغير الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي رآها غيرهم عصية عن التغيير، وقد تمكن بالفعل من حشد جموع الجماهير الغفيرة الناقمة إلى صفوفه، وكف الجميع عن البحث عن مبررات وأسباب لتقبل الوضع الراهن، بل أصبح لديهم إحساس مشترك بأن بإمكانهم التأثير في صناعة القرار، وتحقيق التغيير الذي يطمحون إليه.

يمينة حمدي
صحافية تونسية مقيمة في لندن

أثارت الاحتجاجات التي شهدتها عدة بلدان عربية الجدل بشأن طبيعة منفذيها، إذ أن معظمهم من الجيل الذي غالبا ما تسود عنه نظرة اجتماعية سلبية، ويُتهم بالضعف وعدم القدرة على تحمل المسؤولية وبالكسل والنرجسية، ولكن هذا الجيل نفسه أصبح قدوة لأجيال بأكملها، بعد أن تمكن من كسر حاجز الصمت عن المظالم السياسية والاجتماعية والحقوقية، في بلدان تعاني من التغول السياسي والفساد، ووقف بكل بسالة في الصفوف الأمامية، ليطالب بسقوط الأنظمة.

وعلى الرغم من أن هذه الحركات الاحتجاجية، التي يرى البعض أنها جاءت بلا مقدمات وتلقائية التوالد، إلا أنها اتسمت في معظمها بطابعها الثائر والمتماسك والمنظم، لشباب استطاعوا اختراق حاجز الصمت والتعبير عن أنفسهم بالاعتصامات التي باتت سلاحهم، لكشف ما يعتمل داخل صدورهم من مشكلات، وكسر المعتقد السلبي السائد عنهم لدى الأجيال السابقة، فتحولوا إلى قدوة للعالم بأسره.

وفي الأسابيع الأخيرة اندلعت احتجاجات جديدة حاشدة في العراق ولبنان، وعلى الرغم من تباعد المسافات بالآلاف من الأميال بين هؤلاء المحتجين، إلا أن الأسباب هي نفسها، وبعضها كان إلهاما لأخرى، في طريقة التنظيم وفي طريقة التعبير عن المطالب.

وفي هذه البلدان، التي عجز فيها الإطار الأكبر للمجتمع عن مواجهة ثقافة الخوف التي فرضها الحكام ورجال الدين، أظهرت الاحتجاجات الشبابية التي تصدرها على الأغلب أبناء جيل الألفية، ممن ولدوا في فترة ما بين منتصف الثمانينات وأواخر التسعينات من القرن الماضي، أشياء أكثر قوة تذكر بما يمكن لهذا الجيل أن ينجزه من أعمال بطولية، فحتى عندما استخدم رجال الأمن الرصاص والقنابل المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين توحد هؤلاء الشباب ليرسموا البسالة والشجاعة على وجوههم، وهم يخفون خلفها إحباطاتهم.

التمرد على الواقع

يبدو أن كل جيل يرغب في أن يُظهر شيئًا من التمرد والرفض للواقع الذي يتعارض مع ما يؤمن به من مبادئه، لكن معظم الأجيال السابقة لم تستطع أن تعلن ذلك مجتمعيا، لأنها كانت تريد أن تمسك العصا من المنتصف، حتى لا تغضب الحكومات، لكن ما هو مختلف هذه المرة هو أن أبناء جيل الألفية، تيسرت لهم الأسباب التي مكنتهم من وضع القيم والمبادئ أولا، لكن أثناء الاحتجاجات تحول تركيزهم من على أنفسهم إلى الشعب الذي يعلق عليهم آماله.

ويرجح خبراء أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة قد ساهمت في الرفع من نسبة الشباب الثائرين وممن فقدوا الأمل في أن تضمن لهم حكوماتها سبل العيش الكريم. ومن جانب آخر، فإن جيل الألفية الذي نشأ في عصر الإنترنت يتوقع من الحكومات أن تكون أكثر فعالية في مواكبة احتياجاتهم وتطلعاتهم. وتبدو الحاجة ملحة لمعالجة هذه المفارقة في الأولويات والتوقعات بين الجانبين.

وشدد بسام عورتاني، الباحث الفلسطيني المختصّ في علم الاجتماع، على أن الشباب العربي قد أصبح اليوم يمتلك ثقافات متعددة، وأكثر اطلاعا ومعرفة لما يدور في العالم بفضل الانفتاح التكنولوجي وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي.

> **ما هو مختلف هذه المرة هو أن أبناء جيل الألفية، تيسرت لهم الأسباب التي مكنتهم من وضع القيم والمبادئ أولا**

وقال عورتاني لـ"العرب"، "لم تدرك السلطة التقليدية أن أدواتها التقليدية في الحكم والسيطرة لم تجد نفعا، ولن تجدي إلا الدمار للشعوب العربية".

وأضاف، "الشباب العربي عانى ويعاني من التمييز وعدم تكافؤ الفرص ومن القمع. وفي ظل امتلاكه لأدوات حديثه مكنته من تحديد خياراته أصبح أكثر شجاعة وجرأة في التعامل مع قضاياه الاجتماعية والاقتصادية".

واعتبر عورتاني أن كل نماذج الحكم العربية التقليدية لم تعد تلبي احتياجات هذا الجيل، مشددا على أن الأحزاب التقليدية قد انكشفت أمام تحديات الواقع، ولم تعد تقنع الجيل الشباب الذي أصبح أكثر وعيا وانفتاحا على ثقافات العالم.

ويرى، أن الخطاب الديني والتربوي التقليدي قد أصبح أيضا خطابا دوغمائيا لا يمتلك أدوات حديثة ولا أدلة عقلانيه تقنع جيل الشباب، مؤكدا أنها مجرد أفكار بالية لا تواكب سرعة انتقال المعلومات ولا سرعة الانفتاح على ثقافات المجتمعات كافة.

وختم عورتاني حديثة بقوله، "الشباب لديهم قدرات حقيقية في التغيير، والأجدر هو السماح لهم بتحديد مصيرهم وإعطائهم أدوات تمكنهم من تحقيق التغيير بأقل خسائر ممكنه".

حواجز متزايدة

سلطت دراسة سابقة، أجراها المجلس النرويجي للاجئين، الضوء على تجارب أكثر من 500 شاب وشابة في الأردن ولبنان والعراق، من خلال عقد جلسات نقاشية وإجراء مقابلات متعمقة معهم. وغطت الدراسة، التي حملت عنوان "المستقبل في الميزان"، أربعة مجالات رئيسية، وهي: الحماية والتعليم والفرص الاقتصادية والمشاركة الاجتماعية.

وأكدت الدراسة أن غالبية الشباب، الذين تمت مقابلتهم، يعتقدون أن الجيل الأكبر يتخذ القرارات بالنيابة عنهم، مشيرة إلى أن فرص انخراط الشباب في الأنشطة الاجتماعية والمدنية، قليلة رغم ما يتمتعون به من طاقة إيجابية وإبداع، يمكن أن يسهم في تنمية مجتمعاتهم.

وعلقت لورا مارشال، مديرة برنامج الشباب والتعليم في مجلس اللاجئين النرويجي بالأردن، عن نتائج الدراسة قائلة، "الشباب العربي يواجه حواجز متزايدة في التعليم والعمل، مع فرص محدودة جدا للانخراط في الحياة الاجتماعية والمدنية. وكل هذا يدفعه إلى الشعور بفقدان السلطة وبالإحباط".

وعلى الرغم من الاختلافات الجوهرية في الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية بين الشباب في بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إلا أن البطالة تمثل تحديا جوهريا في أنحاء العالم العربي، وخصوصا في ظل عجز الحكومات عن إيجاد حلول ناجعة لهذا الملف، الذي يهدد الاستقرار والأمن ويعيق التنمية في المجتمعات العربية.

وحذر مركز الأبحاث "كارنيجي إندومنت من أجل السلام الدولي" من خطورة ظاهرة البطالة المتزايدة في المنطقة العربية، معربا عن قلقه من الآثار السياسية الاقتصادية والاجتماعية التي على الأغلب ستؤثر سلبا على الأمن في المنطقة.

ويعاني الشباب العربي من أعلى نسبة للبطالة في العالم ، تصل إلى نحو 30.6 بالمئة. وهذه المشكلة تكلف الدول العربية ما يتجاوز أربعين مليار دولار سنويا، بحسب أحد التقارير الذي أصدره البنك الإسلامي للتنمية ومؤسسة التمويل الدولية.

ولا يزال الشباب أيضا يشكلون أكبر مجموعة رديئة الوظائف، وإن كان هنالك فوارق كبيرة بين المناطق. فعلى سبيل المثال، تواصل البلدان الأفريقية (جنوب الصحراء) تسجيل أعلى معدلات العمال الشباب الفقراء في العالم، إذ تبلغ زهاء 70 بالمئة، بحسب منظمة العمل الدولية.

وتمثل زيادة السكان أكبر التحديات التي تواجه الدول العربية في مواجهة البطالة، خاصة الصغار والشباب منهم، حيث أن ثلث سكان المنطقة تقريبا بين سن الـ15 والـ29. وهي المشكلة التي تضع عبئا وضغطا شديدين على سوق العمل والفرص المتاحة المحدودة. ويتفاقم حجم هذه المشكلة في الدول التي تمر بمشاكل اقتصادية، كدول شمال أفريقيا.

التيه الوطني

لكن العامل الاقتصادي ليس هو السبب الوحيد في تأجيج غضب الشباب العربي ضد الحكومات والأنظمة، هناك ما يشبه التيه الوطني والولاءات الضيقة والأنانية السياسية دفعت جيلا كاملا للمطالبة بوطن يمثلهم، كما حصل في احتجاجات العراق المستمرة منذ أكثر من شهر، حيث رفض الشباب الناقم على الأحزاب الحاكمة اعتبار ثورتهم هي ثورة جياع، ورفعوا شعار "نريد وطن" في إشارة معبرة عما يختلج في صدورهم.

ونقلت وكالة الأنباء الألمانية عن الكاتب العراقي توفيق التميمي وصفه للاحتجاجات بأنها، "مظاهرات شباب حرم من حقوقه في الوظيفة والحرية والتعبير عن أفكاره".

واتفق الآلاف من طلاب الجامعات العراقية والمدارس، الذين يرفضون العودة إلى الدراسة حتى بدء إصلاحات شاملة، على شعار "ماكو وطن، ماكو دوام"، التي تعني من دون وجود وطن يجمعنا لا يمكن مواصلة الدراسة.

ونقل مراسل وكالة رويترز في بغداد عن متظاهر شاب من المعتصمين في ساحة التحرير ببغداد، "الشباب عانوا مصاعب اقتصادية وانفجارات وقمعا. نريد استئصال شافة هذه النخبة السياسية بالكامل. نريد التخلص من هذه العصابة وربما بعدها نستطيع الراحة".

فيما شعر الشباب الناقم في لبنان أن الطبقات السياسية الحاكمة وفق المحاصصة الطائفية والدينية تداور الأمور فيما بينها من دون الإعلاء من القيم الوطنية التي تجمع الشعب.

وتميزت التظاهرات في لبنان بشمولها مختلف الأراضي اللبنانية ومختلف الطوائف، في بلد صغير يقوم على المحاصصة الطائفية، ويشهد انقسامات كبيرة بين سياسييه على خلفية الانتماءات الحزبية والدينية.

ووصف صحافي عراقي المحتجين بالجيل الباهر، معترفا بهزيمة أبناء جيله أمام هذا الجيل قائلا، "أولئك الفتيان جيل التوك توك يصنعون ما عجزت عنه كل التنظيرات، لأنهم تركوا الكلام تذروه الرياح كالأوراق الواهنة وتحركوا إلى الميدان. لقد صنعوا التاريخ الذي يتوقون إليه من مكان الإحباط والغضب".

ويجمع غالبية المحللين في تصريحات لـ"العرب" على فكرة المفاجأة التي يمثلها هذا الجيل الشاب في انتزاع المبادرة من أجيال سابقة، رغم أن غالبية هذا الجيل لم يحظ بحياة هانئة ولا فرص عمل جيدة ولا استقرار اجتماعي وأسري، وينطبق ذلك على الشباب العربي من المحيط إلى الخليج العربي، فهذا الجيل صنع ثقافته من شاشات الهواتف المحمولة، لكنها كانت ثقافة "الصدمة" لأجيال سياسية وحكومات فاشلة على الأغلب.

وقال الصحبي بن منصور، المؤرخ التونسي، "لطالما اعتقد العالم أن الشباب العربي شباب مهمّش ومقصي ومضروب بعصا الذل، لكن الحقيقة التي يقيم الواقع الدليل عليها هي خلاف ذلك، وهو أمر يُلمس من خلال تفوق عدد لا يستهان به من الشباب في مجالات مختلفة لاسيما خارج بلدانهم الأم".

وأضاف بن منصور لـ"العرب"، "السياسات المنتهجة في الأنظمة العربية تهدف إلى جعل الشباب يصرف طاقاته وأوقاته في اللهو والمتع، بعيدا عن الانشغالات السياسية وعن خوض غمار الحياة العامة".

واستدرك، "لكن لا شك أيضا في أن الطابع الاستهلاكي للحضارة الغربية، التي عمّت العالم كله بما فيه الوطن العربي، أغرق الشباب العربي في تطبيقات مقولة هاربرت ماركيز (مزيد من اللذة مزيد من الحضارة)، إلا أن تقنية تدجين الشباب وتذويبه عن طريق محاولة اختزاله في البعد الواحد، أي في البعد الاستهلاكي، لم يكتب لها النجاح طويلا وعلى نطاق واسع في المجتمعات العربية، لأن دينها يضع للإنسان قيودا تحول دون انغماسه في الحريات المطلقة سواء في المجالين الفردي أو العام".

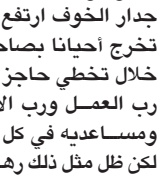

بسام عورتاني

الخطاب الديني والتربوي التقليدي لا يملك أدلة عقلانية تقنع جيل الشباب

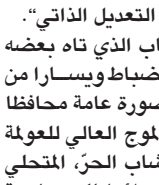

الصحبي بن منصور

الأنظمة العربية تهدف إلى جعل الشباب يصرف طاقاته بعيدا عن السياسة

وواصل بن منصور حديثه موضحا، "قد نجد شبابا عربيا منغمسا في الملذات، لكن في المقابل هناك قطاعا واسعا من الشباب العربي نفسه ملتزم أخلاقيا، وهذا الالتزام تعزّز بما تشبّع به، مثلا في تونس (رائدة الثورات العربية)، من فكر نقدي في مادة الفلسفة أثناء مرحلة الدراسة الثانوية، وما انفتحت أمامه من أسئلة نقدية ومراجعات في مباحث تتعلق بالدولة ونظمها وبالحريات والعنف والجسد واللغة وروّى العالم (الأساطير والفن والدين والعلم)، علاوة على انفتاحه على شباب العالم عبر تكنولوجيات الاتصال للتحلي بشخصية استقلالية، وقائدة وغير منقادة".

وقال، "من الطبيعي إذًا أن يفاجئ الشباب المثقف أنظمة دوله وآلتها القمعية بأفكار نقدية شجاعة وبمواقف تقطع مع الإمعية والخضوع، فبعد كسر جدار الخوف ارتفع سقف الحريات التي تخرج أحيانا بصاحبها عن اللياقة من خلال تخطي حاجز الهيبة وعدم احترام رب العمل ورب الأسرة ورب الدولة ومساعديه في كل الوزارات والإدارات، لكن ظل مثل ذلك رهين مساحات ضيقة، إذ سرعان ما يحصل التعديل الذاتي".

وأضاف، "الشباب الذي تاه بعضه يمينا من شدة الانضباط ويسارا من شدة الانفراط بقي بصورة عامة محافظا على توازنه رغم مدّ الموج العالي للعولمة وإغراءاتها ومثالا للشاب الحرّ، المتحلي بالأخلاق، والمستعد دائما للمساهمة سلميا في تغيير واقعه وإصلاح مجتمعه، لا يرهبه الوعيد ولا ينساق وراء سراب الوعود الزائفة".

وأكد بن منصور، في خاتمة حديثه، أن الشباب العربي الذي ثار على النظام القهري في أوطانه لن يسكت عن النظام العالمي الظالم أو المستغل لثروات الشعوب. ويبدو أن هذا الشباب قد أعطى للعالم بأسره أملا في غد أفضل، ولولا هذا الغضب الشبابي لما قامت ثورات وأطيح بحكومات أو سقطت أخرى في انتخابات رسمية.

بلادي وإن جارت علي عزيزة

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

المرأة العربية المغيّبة أصبحت رمزا للتحرر في المظاهرات

النساء يضممن أصواتهن إلى أصوات الرجال: نريد وطنا

وقوف النساء العربيات إلى جانب الرجال في انتفاضات وثورات بلدانهن يؤكد قدرتهن القيادية والنضالية وجرأتهن على التمرد على تقاليد ونواميس مجتمعاتهن المغيبة لهن، فقد أثبتن أنهن يلعبن دورا هاما في صياغة المطالب الشعبية وفي التواجد بساحات المظاهرات.

قضايا النساء جزء من الثورة، وأي ثورة لا تعالج قضايا النساء ثورة ناقصة

شيماء رحومة
صحافية تونسية

وقفت شابة عراقية، منذ أيام، بفستان زفاف وسط ساحات الاحتجاجات المستمرة في البصرة ورفعت لافتة كتبت عليها "عروس المظاهرات، مهرها هو التغيير".. ومن ساحات مدينة بعلبك شرقي لبنان ووسط العاصمة بيروت أيضا، سمعت، الأربعاء الماضي، أصوات قرع الطناجر على أصداء الأناشيد الوطنية، تجوب الشوارع، في مسيرة مطالبة بحقوق المرأة استمرت أكثر من ساعة لإحداث ضجيج بغية إسماع صوتهن بشكل سلميّ مردّدات شعار "يا سلطة أبوية حق المرأة مش تفصيل".

وكتبت الفنانة اللبنانية ميريام فارس عبر حسابها في تويتر "أنا فخورة كثيرا بكل امرأة تشارك بثورة وطني لبنان.. 1915 أول مرة تُقرع الطناجر في لبنان بسبب المجاعة.. 2019 ثاني مرة تُقرع الطناجر في لبنان بسبب الفساد".

وبذلك أثبتت المرأة العربية المغيبة أن الشاعر السوري نزار قباني لم يجنح بخياله بعيدا حين قال "الحضارة أنثى والثقافة أنثى واللغة أنثى والقصيدة أنثى والشجرة أنثى والثورة أنثى"، فاليوم قاد النصف المهمش من المجتمع ثورات وانتفاضات مجتمعاته، وصار رمزا للتحرر في المظاهرات.

في الصور الملتقطة للنساء من قلب الثورات العربية ظهرن ثابتات، جريئات، قادرات على الوقوف إلى جانب الرجال للمطالبة بسقوط الأنظمة.

وكانت الانطلاقة من تونس في 2011 إذ لم تكتف المرأة بالخروج إلى الشارع حاملة شعار "المرأة ثورة وليست عورة"، وتصرخ بأعلى صوتها "ديغاج" طردا لنظام دكتاتوري جثم على البلاد أكثر من 23 سنة، بل ولعبت أصوات النساء دورا حاسما في فوز الرئيس الراحل الباجي قايد السبسي، حيث بلغت نسبة أصوات الناخبات 60 بالمئة من مجموع الأصوات التي حصل عليها، ومازالت التونسية تؤثث مشهد الحراك الشعبي كلما هبت انتفاضة بالبلاد.

وربضت نظيرتها المصرية بالشوارع في العام ذاته من أجل إعلاء صوت الحق والتخلص من الأنظمة الفاسدة، فكانت مشاركتها مهمة وحضورها لافتا، وصمدت أمام كل أشكال الترهيب بما فيها خضوع سبع عشرة متظاهرة لكشوفات العذرية.

وأعطى دخول المرأة الجزائرية على خط الحراك الشعبي، إضافة نوعية وزخما غير مسبوق، وشكل حضورها في الانتفاضات التي أطاحت بالرئيس المخلوع عبدالعزيز بوتفليقة، دعما قويا وتحولا اجتماعيا لافتا أعاد ترتيب الكثير من المفاهيم النمطية.

ومع اندلاع أولى شرارات الثورة السودانية على بشيرها غدت الناشطة السودانية آلاء صالح أيقونة الحراك الثوري في السودان بعد فيديو مصوّر لها أثناء إلقائها لإحدى القصائد الثورية وسط المتظاهرين في الخرطوم.

وأصبح مشهد النساء السودانيات المتكرر، وهن في الصفوف الأولى للاحتجاجات، في معظم المدن السودانية مبهرا للكثيرين، فقد تقدم هؤلاء المسيرات دون خوف، وهن يرددن شعارات "تسقط بس"، حتى أن البعض يعتبر أن المشاركة الفاعلة للمرأة السودانية في تلك الثورة، تمثل نقطة تحول في تاريخ حراكها المضيء عبر سنوات طويلة.

كما دشنت القيادات النسائية في ميدان الاعتصام أمام مقر قيادة الجيش بالعاصمة الخرطوم مايو الماضي تحت اسم "نساء السودان للتغيير" حملة لتحقيق التواجد النسائي المرغوب في أجهزة المرحلة الانتقالية.

ودافعن على حقهن في ذلك مذكرات بأن السودانيات شاركن في تنظيم المظاهرات والاحتجاجات وإيواء الثوار والاعتصام والدعم الاجتماعي.

كسرن حاجز الصمت

قالت الباحثة التونسية في تحليل الخطاب الديني، زينب التوجاني، "من السودان ومصر إلى لبنان والعراق مرورا بتونس والمغرب والجزائر ترتفعُ أصوات الشابات جنبا إلى جنب يعبرن عن رفضهن للأنظمة القائمة وحلمهن بأنظمة أكثر عدالة ومساواة".

وأضافت التوجاني في حديثها لـ"العرب" "لقد كسرت هؤلاء النسوة جدران القمع المرئية واللامرئية، ومحون من على جباههن تلك العلامة التي تحدثت عنها عالمة الاجتماع المغربية فاطمة المرنيسي حين روت قصة ورثتها عن جدتها عن حريم لامرئي منقوش على الجبين، ذلك الحريم الذي كان متمثلا في جدران القصر قديما فأمسى جدرانا خفيّة تتمكن من النساء لتبقيهن في الظلام، بغرس جملة من الانفعالات السلبية فيهن كالخوف وعدم الثقة في النفس وأن يعتبرن أنفسهن عورة".

وتابعت "كل ذلك قد تحدّاه النساء وكسرن تلك القضبان المغروسة فيهن وخرجن إلى النور في وضح النهار يعلن أصواتهن بالشعارات ويرفعهن الرجال على الأعناق ويتباهين بأنوثتهن غير مُخفيات جمالهن ولا جمال أفكارهن، يغنين في السّاحات ويرقصن، ويرفعن مطالبتهن بحقوقهن، ويجلسن على الأرض إلى جانب رفاقهن، ويرين أنفسهن جديرات بالكرامة والحقوق والمساواة والعدل الاجتماعي".

فالمرأة التي خرجت متحدية رهاب الشوارع وعدسات كاميرات الصحافيين والتلفزيونات المحلية والعالمية، لم تعد مجرد أنثى تسير في ظل رجل طلبا للأمن والحماية، بل صارت فاعلا في كل المراحل الانتقالية التي تمر بها بلادها، وقد أكدت دولة الإمارات على أهمية ضمان المشاركة الكاملة والجادة للنساء في جميع مراحل عمليات السلام والمفاوضات.

وجاء ذلك خلال البيان الذي أدلت به لانا زكي نسيبة، المندوبة الدائمة لدولة الإمارات لدى الأمم المتحدة، أمام المناقشة السنوية المفتوحة التي عقدها مجلس الأمن، أكتوبر الماضي، حول المرأة والسلام والأمن.

> تأنيث المشهد لا يمكن إلا أن يكون علامة على ميلاد مجتمع عربي جديد قائم على تصوّر جديد للإنسان لا مزية فيه للذكر على الأنثى إلا بمدى الالتزام بخدمة الوطن

وقالت نسيبة إن "النساء هن أول المستجيبات وعنصر أساسي في المجتمع والأسرة وقوة دافعة للتغيير"، مشددة على ضرورة أن تكون النساء طرفا أساسيا في المفاوضات الرسمية وغير الرسمية في جميع مراحل عملية السلام وعدم استبعادهن بعد حل الصراعات".

وترى التوجاني أن "امرأة عربية جديدة ولدت من أنقاض تلك المرتبكة الخائفة الموؤودة بتقاليد تزعم حمايتها من نفسها فإذا بها تنفجر بكل قواها المكبوتة قرونا، ترفع صوتها لتعبر عن وجودها وتمسي ظاهرة للعيان لا خفية".

وتتابع "فإذا بنا أمام مشهد مؤنث فيه تقف لابسة الحجاب إلى جانب ذات الشعر الطليق، ولابسة الموضة حذو تلك التي تلتزم بتقاليد بلدها التراثية، يقفن جميعا ليعبرن عن هوية أكبر من اللباس وأكبر من الاختلاف الظاهر إنها هويتهن الجامعة بينهن نساء عربيات محكومات بتقاليد أبوية جعلتهن يكافحن يوميا لافتكاك الاعتراف، فإذا بهذه الثورات المؤنثة تطلق لرغبتهن في الحرية العيان وتجمع بينهن في مشهد جديد: مشهد لا وصاية فيه عليهن سوى قيم يطالبن بها صباحا ومساءً، يردن أن يعشن في مدن أكثر عدلا وأنظمة ديمقراطية ويردن أن يُحترمن كمواطنات تليق بهن المساواة والكرامة ويردن حقوقهن لا أكثر ولا أقل، حقوقهن في العمل والحياة والحرية والديمقراطية".

هذا المشهد الجديد كما وصفته التوجاني يقطع مع الصورة النمطية التي فصلت لسنين بين الرجل والمرأة في بعض المجتمعات العربية المحافظة، فالنساء من كل الأجيال ومن مختلف الشرائح الاجتماعية غيرن هذه الصورة خلال هذه الثورات وفككن العزلة التي تفصلهن عن الرجال.

وجاءت بعض الشهادات من ساحات التظاهرات لتؤكد أن المرأة كانت وراء خروج زوجها أو أخيها للاحتجاج والمطالبة بحقه في الحصول على وظيفة تليق بشهادته الجامعية، كما أنها لم تكتف بذلك بل وأقنعته بأن تؤنث معه مشهد الحراك الشعبي، في تحدّ صارخ للصورة القاتمة التي تحفّ بالمرأة التي تنزل إلى الشارع. وفي اقتناع الرجل بمشاركة المرأة اعتراف بمكانتها الحقيقية داخل المجتمع.

وعلى الرغم من أن أغلب الشابات يحضرن دون علم أهاليهن الذين قد يمنعونهن حرصا على سلامتهن، سجل الحضور النسوي نسبا كبيرة.

وقالت فنانة الغرافيتي السودانية، أصيل دياب، المقيمة بقطر، في حديث سابق لـ"العرب" "كنت أتابع الحراك السياسي في بلدي منذ أسبوعه الأول، أي منذ ديسمبر 2018، من خلال التلفزيون والمواقع الاجتماعية، وبعد شهر تمكنت من الوصول إلى السودان بعد مجهود جبار لإقناع عائلتي بضرورة ذلك".

وأشارت دياب إلى أنها "وجدت في طريقها أناسا رفضوا فكرة وقوف المرأة بالبنطلون وهي تخاطب جموع الناس"، مضيفة أنهم "اعتبروها فتاة متحررة مع أن القضية التي تتحدث عنها أكبر من الوقوف عند المرأة وماذا تعمل أو تلبس.. لماذا نترك كل القضايا المهمة للغاية في بلدنا ونركز في هذا الوقت الحساس على المرأة".

وتبرر لمياء عبدالمحسن البراهيم، كاتبة رأي سعودية وطبيبة استشارية في طب الأسرة والمجتمع، منع الأهالي لبناتهن من الالتحاق بحشود المتظاهرين وأسباب هذه النظرة الدونية لمشاركة المرأة، بأن في ذلك جانبا من خطة تشويه اتبعها المعارضون سواء كانوا نساء أو رجالا، ارتكزت على أن معايير الشرف عالية في المجتمعات العربية، وبذلك فالأسهل استهداف المرأة من ناحية الشرف لتخويف أسرتها بحيث يكون الضغط عليها لمنعها من قِبل أسرتها.

وأضافت البراهيم لـ"العرب" أن سبب ذلك هو نوع من التنمر الاجتماعي والتنمر الدوني للمرأة خوفا من تفوقها أو ظهورها، ويستخدم ذلك لإضعاف عزيمتها ولتخويف النساء أو تصغير حراكهن وأفكارهن.

وتابعت "احتقار المرأة وامتهانها يحدان التأثر بها في ميادين الاحتجاج لأن حامل الرسالة أهم من الرسالة أو ارتباط المفاهيم بانحراف ناقليها، لذا من الطبيعي أن يعزف عنها الإنسان.. وأن يخاف الأهل على بناتهن من تأثير على سمعتهن.. قد يستخدم ذلك ضمن استراتيجيات ممنهجة للإساءة إلى المرأة ولكنها قد تكون أيضا عفوية ضمن التصور الاجتماعي الدوني تجاه المرأة المفكرة والمرأة الثائرة".

وكشفت الثورات التي اجتاحت عددا من الدول عن الدور الذي باتت المرأة العربية المغيبة تلعبه في صياغة المطالب الشعبية، وحتى في التواجد في ساحات التظاهرات، بل وصارت النساء الجزء الأبرز في الكثير من هذه التحركات.

ثورات حقيقية

أثبتت عدة متواجدات في ساحات الاعتصام أنهن فاعلات وقادرات على تقديم الإضافة الفعالة، فكانت الأم والجدة والمناضلة والثورية والصحافية والطالبة والموظفة والمعلمة والناشطة والطبيبة والفنانة، حاضرات دائما للمساعدة وشحن عزائم رفاقهن، كل منهن حسب وظيفتها أو قدرتها على المشاركة في هذا النضال الجماعي.

أسعفت الطبيبة، أو الطالبة في كلية الطب، الجرحى، ووفرت الأم الطعام، وشارك الجميع في تنظيف الساحات.

وعملت عدة فنانات تشكيليات على إحداث إبداع بصري ملأ شوارع بلدانهن أو صفحاتهن على موقع فيسبوك، للانتفاضات التي أطاحت ببعض القادة العرب، وجعلن العالم من حولهن ينظر إلى لوحات توثق للأحداث الجلل الحاصلة في بلدانهن، وهذه المبادرات التي غالبا ما كانت فردية طغت عليها اللمسات الأنثوية رغم المشاركة الذكورية.

وبدا حضور المرأة طاغيا في الصور ومقاطع الفيديو التي انتشرت في وسائل التواصل الاجتماعي عن هذه المظاهرات وأنشطتها المختلفة، وجاء ذلك نتيجة حرص الإعلاميات والمصورات والناشطات على نقل صور الاحتجاج.

وكان لربات البيوت غير القادرات على الخروج إلى الشوارع دور أيضا في إرسال المال أو الطعام أو بعض الإمدادات الأخرى، إلى الساحات.

وأكدت التوجاني أن "ثورات تُرفع فيها النساء على أعناق الرّجال وتعبر فيها المرأة عن وجودها وتتجلّى للعيان فتحتل الفضاء العامّ وتفتك نصيبها من المشهد هي ثورات حقيقيّة لا مغشوشة وتدعو إلى التفاؤل والأمل لأنها لا فقط انتفاضة ضد القمع والقهر والبطالة والفساد بل هي ثورة ضد أسباب كل تلك المظاهر المتخلفة، هي ثورة ضد الأبوية بمعنى التسلط الذي يبدأ من تمييز الأخ على الأخت، والأب على الأم والزوج على الزوجة، هي ثورة ضدّ الاحتقار وضد احتقار النّساء خاصّة بما هن ناقصات وعورات ومواطنات من درجة ثانية".

وقالت الباحثة التونسية في خاتمة حديثها "لذلك فإن تأنيث المشهد لا يمكن إلا أن يكون علامة على ميلاد مجتمع عربي جديد قائم على العدل والكرامة وعلى تصوّر جديد للإنسان لا مزية فيه للذكر على الأنثى ولا للقوي على الضعيف ولا للغني على الفقير إلا بمدى الالتزام بقيم المواطنة وخدمة الوطن".

اللبنانية تنتفض.. لكن على طريقتها

بيروت - استقطبت النساء في شوارع بيروت، اهتمام وسائل الإعلام، وهن يرقصن، أو يهتفن، أو يساهمن في تنظيم التجمعات، لكن أبعد من المشاركة تحت شعار "الثورة" على الطبقة السياسية، لنساء لبنان مطالبهنّ الخاصة بحقوق لا زلن محرومات منها.

وقالت سحر، امرأة أربعينية وهي إحدى المشاركات في المسيرات الاحتجاجية، "نحن كنساء نتعرض للظلم مرتين. بالإضافة إلى كل الظلم الذي نتعرض له كشعب، توجد كمية من القوانين المجحفة بحقنا كنساء، من الأحوال الشخصية الطائفية إلى العنف الأسري وقانون الجنسية وغيرها".

وتدافع اللبنانيات منذ سنوات عن حقهنّ في منح الجنسية لأولادهن، إذ لا يحق للبنانية إعطاء جنسيتها لأولادها إذا تزوجت من أجنبي، ويطالبن بإقرار قانون مدني موحد للأحوال الشخصية وبقوانين تسهل حصولهنّ على حضانة أولادهنّ في حال الطلاق.

وعلى وقع قرع الطبول وترداد أغنية "طالعة تسقّط النظام"، رفعت المشاركات في المسيرة لافتات كتبت عليها عبارة "الثورة أنثى" و"لن ننتظر الثورة حتى تنتهي لكي نطالب بحقوقنا، نحن الثورة".

وتشارك النساء بشكل واسع في التظاهرات التي اندلعت منذ 17 أكتوبر الماضي، يطلقن الهتافات، وينظمن التجمعات، ويقدن الحملات على المواقع الاجتماعية، ويطالبن بحل مشاكل البطالة، والكهرباء، ووقف هجرة الشباب، و"استرجاع الأموال المنهوبة" وغيرها، لكن يطالبن أيضا بحل مشاكلهن المزمنة.

ويرى ناشطون أن افتقار النساء في لبنان، الذي يُنظر إليه على أنه الأكثر انفتاحاً بين دول المنطقة، إلى حقوق عديدة يعود خصوصا إلى أن قانون الأحوال الشخصية المعتمد قانون ديني.

وتوضح زويا جريديني روحانا، مديرة منظمة "كفى عنفا واستغلالا" غير الحكومية الناشطة في الدفاع عن حقوق المرأة، "لا يوجد قانون موحد للأحوال الشخصية بل قوانين مختلفة تابعة لمحاكم شرعية ومذهبية وروحية لخمس عشرة طائفة مختلفة في لبنان"، موضحة أن "هذه القوانين تميز ضد النساء خصوصاً في ما يتعلق بالزواج والحضانة والوصاية على الأولاد"، والتي تعطي فيها معظم الأديان الأولوية للأب.

وينسحب ذلك على الميراث وعلى السن الأدنى للزواج المسموح به قانونيا، ما يفتح الباب أمام زواج القاصرات دون سن الـ18.

والشكوى من هذا الواقع كانت أحد الأسباب التي دفعت العديد من المتظاهرين في بيروت وغيرها من المناطق إلى إطلاق شعار إسقاط النظام الطائفي.

وقالت المحامية ربى، "قضايا النساء هي جزء من الثورة وأي ثورة لا تعالج قضايا النساء هي ثورة ناقصة".

وتصاعد الحراك النسوي في لبنان خلال العقد الأخير تزامنا مع تزايد التغطية الإعلامية في البلاد لقضايا العنف الأسري وجرائم قتل نساء على أيدي أزواجهن.

وتقول الطالبة الجامعية ريم "أنا أشارك منذ اليوم الأول لأكثر من سبب. بالإضافة إلى القضايا المعيشية، بالنسبة لي الأهم هو إسقاط النظام الفاسد بأكمله. أنا كلبنانية أطالب بنظام مدني خصوصا وإلغاء المحاكم الدينية التي لا تحفظ حقوق النساء".

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

حمية الكيتو الأكثر شعبية حول العالم لا تخلو من مخاطر صحية

خبراء: خيار الحمية الأفضل رهين الحالة الصحية ودقة النظام المتبع والأقل تشدد

الحمية باتت من بين الأشياء التي تخضع لمقاييس الموضة، ويحتار كثيرون بين مواكبة آخر صيحات الحميات الغذائية واختيار المفيد منها فقط لحالتهم الصحية. الكثير من الناس يتبعون حميات معينة لمجرد الفضول أو سعيا للتفاخر باتباعهم نمطا غذائيا صحيا مواكبا للعصر والبعض الآخر يسيء اختيار الحمية التي تناسب جسمه ويسعى فقط للحصول على الوزن المثالي، وتتنوع الحميات وتتجدد من وقت إلى آخر إلى درجة تجعل الاختيار بينها معقدا دون توجيه من المختصين في التغذية.

لندن – تتردد مؤخرا إعلاميا وعبر الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي الكثير من الأحاديث عن ريجيم الكيتو، ويرجع ذلك لاعتباره من أكثر الحميات فاعلية ونجاحا، وكذلك يتحدث كثيرون عن تجاربهم الخاصة مع الكيتو. وبالرغم من أن الحمية تساوي عند الكثيرين الحرمان خاصة منهم الذين تضطرهم حالة صحية معينة إلى عدم تناول أغذية تضر بهم مثل الريجيم الخالي من السكر والحلويات لمرضى السكري وغيرها، إلا أن الكثير من الناس اليوم وخاصة المراهقين والمراهقات والنساء باتو يتبعونها من أجل القوام الرشيق ومواكبة العصر.

ويشعر البعض بالإثارة والمتعة لأنهم يتبعون حمية اشتهرت إعلاميا، لكن بعد فترة من الزمن قد يبدو لهم أن الحمية التي اتبعوها قاسية أو حرمتهم من المذاقات التي يحبونها أو أنها مكلفة أو مملة أو أنها لم توصلهم إلى النتائج التي يريدونها على المدى الطويل.

وتتيح الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي اليوم مجالا واسعا للاختيار بين آخر صيحات الحميات الغذائية ولكن يقع البعض في فخاخ الإشهار والدعاية لحميات يقال إنها تنقص الوزن وتعطي نتائج سريعة وقد تكون لها أغراض تسويقية بحتة.

تقول حنان موظفة من تونس وأم لطفلين إنها رغبت في اتباع حمية الكيتو لإنقاص وزنها الزائد، وذلك بعد أن رأت فعاليتها عندما اعتمدتها حماتها التي أنقصت الوزن مثلما رغبت وبدت لها أصغر سنا وأكثر راحة نفسية.

وأضافت حنان في حديثها لـ"العرب" أنه رغم يقينها من فاعلية الكيتو التي جربها الكثير من المحيطين بها نساء ورجالا، إلا أنها لم تتمكن من اتباعها معتبرة أنها مكلفة جدا وأن مكوناته الغذائية تتطلب مصاريف إضافية لا تقدر على تكلفتها.

ويعمل الكيتو دايت أو الحمية الكيتونية بطريقة عكسية عن المعتاد في الحميات الغذائية، فعوض استبعاد الدهون من النظام الغذائي يجعلها الكيتو محركه الأساسي والفعال. ويقوم نظام حمية الكيتو على تناول كمية عالية من الدهون وقد استخدم في البداية من قبل الأخصائيين في التغذية للمساعدة على علاج بعض الأمراض أبرزها الصرع، وبعد ملاحظة قدرته على حرق الدهون بشكل سريع أصبح من أكثر الحميات شعبية وشيوعا للتخلص من الوزن الزائد، لكنه لا يناسب الجميع بحسب المختصين.

ويزود نظام الكيتو الجسم بالطاقة من خلال الدهون بدل الكربوهيدرات، حيث تكون القيمة الغذائية بين 70 و80 بالمئة من الدهون، وحوالي 25 بالمئة بروتين، ومن 5 إلى 10 بالمئة كربوهيدرات. الكيتونيات هي الجزئيات التي اشتق منها اسم حمية الكيتو وهي نوع من الأحماض الدهنية، تصل إلى الأنسجة والعضلات التي تحتاجها لإنتاج الطاقة، ويتم تخزينها في الكبد كمصدر بديل للطاقة، عند عدم وجود المصدر الأساسي للطاقة وهو الغلوكوز والأنسولين، ويتم حرق هذه الجزيئات عند غياب مصادر الطاقة الأولية.

وعند اتباع النظام الكيتوني يتحول الجسم إلى آلة لحرق الدهون للحصول على الطاقة. وتكشف العديد من البحوث لمختصي التغذية فوارق كبيرة بينه وبين غيره من الحميات ليتمكن متابعو الحميات من اختيار الأفضل.

■ الحمية الكيتونية

يعرّف المختصون النظام الغذائي الكيتوني بأسلوب مبسط على أنه نظام عالي الدهون، معتدل البروتين، منخفض الكربوهيدرات، يجبر الجسم على حرق الدهون بدلا من الكربوهيدرات. وتشير دراسات إلى أن اتباع هذا النظام يلعب دورا هاما في الحد من انتشار بعض أنواع الأورام.

عند اتباع النظام الغذائي الكيتوني، ينتج جسمك الكيتونات من الدهون في الكبد ويستخدم الدهون كمصدر رئيسي للطاقة بدلا من الكربوهيدرات. ويتحقق ذلك من خلال استهلاك أقل من 50 غراما من الكربوهيدرات يوميا مع الحفاظ على كمية البروتين المعتدلة وزيادة تناول الدهون.

ويعتمد البعض النظام الغذائي الكيتوني النباتي، وهو نسخة نباتية من النظام الغذائي الشعبي، فهو غني بالدهون ويحتوي على كميات كافية من البروتين ولا يشمل أي منتجات حيوانية. ويعني خلو الوجبات الغذائية النباتية من المنتجات الحيوانية ميلها إلى أن تكون مرتفعة الكربوهيدرات. نتيجة لذلك، يمكن أن يكون اتباع النظام الكيتوني أكثر صعوبة للنباتيين، وقد لا يكون هذا النظام الغذائي الخيار الأمثل لمن يريدون خسارة الوزن وتحسين حالتهم الصحية.

■ فوائد الكيتو

فوائد الحمية الكيتونية متعددة من بينها العلاجية حيث تعتمد لمواجهة مرض الصرع، وتحسّن أعراض حساسية الأنسولين، وهي تقلل الشهية أيضا لمن يشتكون من الرغبة الدائمة في الأكل. ويمكن أن تحسن مستويات الكوليسترول والدهون الثلاثية وبالتالي تواجه فرط ثلاثي غليسيريد الدم.

وبالرغم من غياب بحث يدرس فوائد أو مخاطر اتباع نظام غذائي كيتوني نباتي إلا أن العديد من الدراسات تابعت آثار اتباع النظام الغذائي النباتي، وفي العام 2014 درست تجربة آثار حمية أيكو أتكنز النباتية، وهي حمية تشبه حمية كيتو، وتحتوي على نسبة عالية من البروتين وضئيلة من الكربوهيدرات.

واتبع المشاركون في التجربة التي استمرت 6 أشهر، نظاما غذائيا نباتيا منخفض الكربوهيدرات واتبع فريق آخر نظاما غذائيا نباتيا عالي الكربوهيدرات لكنه تضمن البيض ومشتقات الألبان. وقال الباحثون إن الذين اتبعوا نظاما غذائيا نباتيا منخفض الكربوهيدرات سجلوا نتائج أفضل في مستوى خسارة الوزن. كما تمكنوا من الحد من نسبة كل من البروتين الدهني منخفض الكثافة، والكولسترول الكلي، ومن خفض مستويات الدهون الثلاثية.

وتؤكد هذه النتائج أن هذه الحمية تلائم الأشخاص الذين يعانون من أمراض القلب، وتشمل الفوائد المحتملة الأخرى للنظام الغذائي النباتي كالحد من خطر الإصابة بالسكري وبعض أنواع السرطان.

وفي ذات السياق أظهرت دراسة أخرى أجريت في نفس العام شملت أكثر من 96 ألف شخص أن النباتيين يتمتعون بانخفاض بنسبة 75 بالمئة من خطر ارتفاع ضغط الدم، وانخفاض في خطر الإصابة بمرض السكري من النوع الثاني بنسبة تصل إلى 78 بالمئة. كما تراجع لديهم خطر الإصابة بالسرطان بنسبة 14 بالمئة.

وأوضح الباحثون أنه على الرغم من تمتع جميع النباتيين بانخفاض في مخاطر الإصابة بأمراض القلب والوفيات الناجمة عن مشاكل القلب والأوعية الدموية، إلا أن هذه الفوائد ظهرت أكثر عند الذكور من الإناث.

ووجدت دراسة أجريت عام 2012 شملت الأطفال والمراهقين الذين يعانون من السمنة أن الفوائد الأخرى لهذا النظام الغذائي تشمل تخفيض كتلة الدهون ومستويات الأنسولين.

ويشير الباحثون الذين دققوا في هذه الدراسات إلى فعالية اتباع نظام غذائي منخفض الكربوهيدرات، مثل النظام الكيتوني الغذائي، في تقليل عوامل الخطر الرئيسية المرتبطة بأمراض القلب، بما في ذلك ارتفاع ضغط الدم والكوليسترول الضار ومستويات الدهون الثلاثية.

■ مخاطر الكيتو

مهما كان النظام الغذائي المتبع في الحميات فإن الخبراء يؤكدون أنه يجب على الجميع توخي الحذر عند اختيار النظام الغذائي الذي ينوون اتباعه.

ووفقا لدراسة أجريت في 2019، حدد الباحثون جملة من الآثار قصيرة المدى، والتي قد تدوم فترة تصل إلى عامين، للنظام الكيتوني الغذائي، بالإضافة إلى أن النتائج الصحية على المدى الطويل تحتاج إلى المزيد من البحث.

أبرز عيوب النظام الغذائي الكيتوني، تتمثل في الصعوبة التي يجدها البعض في الحفاظ على الكمية المنخفضة من الكربوهيدرات.

وتشمل المخاطر الصحية للكيتو الإمساك بسبب قلة الألياف، واحتمال الإصابة ببعض أمراض القلب بسبب كثرة الدهون المشبعة، كذلك الإصابة بالحصى في الكلى، وانخفاض ضغط الدم، وفي بعض الحالات نقص التغذية.

وبسبب هذه المشكلات الناجمة عن النظام الغذائي الكيتوني فإنه يعد حمية لا تناسب بعض الفئات، بما في ذلك الحوامل أو المرضعات أو الذين لديهم سجل صحي يشمل متاعب صحية مثل اضطرابات الأكل، وداء السكري، ومشكلات المرارة، ومشكلات الكبد، أو البنكرياس ومن يعانون من اضطرابات في الغدة الدرقية. وعند التكيف مع النظام الغذائي الكيتوني، قد يصاب بعض الناس بـ"الإنفلونزا الكيتونية"، والتي ينجر عنها الصعوبة في التركيز والدوخة والصداع وانخفاض الطاقة في الجسم وكذلك تقلب المزاج وظهور تشنج في العضلات، ومشكلات في النوم، كما قد ترافق الكيتو اضطرابات في المعدة، بما في ذلك الغثيان والإسهال وأحيانا يدخل الشخص في مرحلة الضعف العام.

■ نصائح الخبراء

تقول أكاديمية التغذية وعلم التغذية، وهي من أكبر المنظمات المكونة من خبراء الغذاء والتغذية في الولايات المتحدة، إن اتباع نظام غذائي نباتي يمكن أن يوفر العديد من الفوائد الصحية إذا تم التخطيط له عن طريق المختصين في التغذية. وذكرت الأكاديمية أن الحميات النباتية الصحيحة صحية لجميع مراحل الحياة وتحتوي على جميع العناصر الغذائية اللازمة للحصول على صحة جيدة.

ولكن رغم التخطيط الدقيق، يمكن أن تفتقر الوجبات الغذائية النباتية للعناصر الغذائية الأساسية، مثل الكالسيوم، والحديد، والأحماض الدهنية من نوع أوميغا 3، وفيتامين بي 12، وفيتامين د، والزنك.

كما يجب على من يتبعون النظام الكيتوني النباتي التفكير في تناول مكملات الفيتامينات والمعادن لضمان حصول أجسامهم على ما يكفي من العناصر الغذائية الأساسية. ويقيّد النظام الغذائي الكيتوني الكربوهيدرات بـ50 غراما أو أقل في اليوم الواحد. ويشجع ذلك الجسم على استخدام الدهون كمصدر رئيسي للطاقة، ويتجنب متابعو الكيتو تناول المنتجات الحيوانية وهو ما يضمن الحصول إلى بعض الفوائد الصحية، مثل فقدان الوزن السريع وخفض الدهون في الجسم. كما يستفيد البعض من تعزيز صحة القلب.

ومع ذلك، يرى الخبراء أن هذا النظام يبقى شديد التقييد ولا يناسب الجميع. ويمكن أن يشعر البعض بالصداع والتعب في المراحل المبكرة من اتباعه، لذلك يكون ضروريا وضع تخطيط لهذا النظام مع طبيب مختص وتناول المكملات الغذائية لتجنب أوجه القصور.

■ الريجيم منخفض الكربوهيدرات

يقلل النظام الغذائي منخفض الكربوهيدرات من استهلاك المواد الكربوهيدراتية التي تزود الجسم بالسعرات الحرارية إلى حوالي الربع من إجمالي السعرات الحرارية الغذائية. ويركز هذا النظام الغذائي على البروتينات من اللحوم والأسماك والبيض وبعض الخضروات، ويُقصي الخبز والحلويات وبعض أنواع الحبوب.

عند اتباع النظام الغذائي منخفض الكربوهيدرات، من المتوقع أن يزيد تناول البروتين والدهون الصحية والخضروات لتحلّ محل الكربوهيدرات وتعزّز الشعور بالشبع. ومن خلال تقييد استهلاك الكربوهيدرات، يمكن إقصاء العديد من الأطعمة ذات السعرات الحرارية العالية من النظام الغذائي، وكل هذه العوامل يتم تحديدها بهدف تقليل استهلاك السعرات الحرارية لتعزيز فقدان الوزن. ويرتبط النظام الغذائي منخفض الكربوهيدرات بالعديد من الفوائد الصحية للأشخاص الذين يعانون من مرض السكري، بما في ذلك فقدان الوزن وتحسين السيطرة على نسبة السكر في الدم وعوامل الخطر على صحة القلب والأوعية الدموية، كما ينتشر اتباعه لإنقاص الوزن.

وعلى الرغم من أن هذا النظام يبقى غير مناسب للجميع، إلا أنه خيار مفيد لفقدان الوزن.

■ تأثير خفض الكربوهيدرات

يرتكز الريجم منخفض الكربوهيدرات على إقصاء العديد من الأطعمة المصنعة عالية الكربوهيدرات، ويمكن لفوائده أن تستمر على المدى الطويل وهو أيضا يعد أقل تقييدا وأقل تطرفا من الكيتو وأسهل وأقل حدة. ولكن لا تخلو الحمية منخفضة الكربوهيدرات من السلبيات من بينها أن يشعر متبعها بالضعف أو الإمساك تبعا للحد من خيارات الطعام وخيارات الفاكهة خاصة، ويمكن أن يؤثر على المغذيات الدقيقة الضرورية لعمل الأجهزة الحيوية.

> الكيتو يبقى شديد التقييد ولا يناسب الجميع. ويمكن أن يشعر البعض بالتعب في المراحل المبكرة من اتباعه

ويعمل هذا الريجيم على تقييد استهلاك الكربوهيدرات، مثل الموجودة في الحبوب والأرز والخضروات النشوية، بنسبة تتراوح بين 10 و30 بالمئة من السعرات الحرارية الكلية، ما قد يؤدي إلى فقدان الوزن.

■ الخيار الأفضل

عندما يتعلق الأمر بالاختيار بين الحميتين: الكيتو والحمية منخفضة الكربوهيدرات، توجد عدة عوامل يجب مراعاتها.

يكمن الفرق الرئيسي بين الحميتين في نسبة تناول الكربوهيدرات والبروتين. ويمكن أن يكون تناول البروتين مرتفعا عند اتباع الحميات الغذائية منخفضة الكربوهيدرات، ويجب أن يكون تناوله معتدلا في الأنظمة الغذائية الكيتونية.

بالإضافة إلى ذلك، يعدّ تناول الدهون أعلى في النظام الغذائي الكيتوني، حيث تعوض الكربوهيدرات والبروتين.

ويكون النظام الكيتوني الغذائي مقيدا بشدة، مما يؤدي إلى ضعف التزام الأشخاص به على المدى الطويل. علاوة على ذلك، من المرجح أن يتسبب النظام الكيتوني في آثار جانبية غير مرغوب فيها.

لذلك، يعدّ اتباع نظام غذائي منخفض الكربوهيدرات الخيار الأفضل لمعظم الناس. ومع ذلك، يجب استشارة الطبيب قبل البدء في أي نظام غذائي لتقليل خطر حدوث مضاعفات.

ويعمل كلا النظامين على الإنقاص من كمية الكربوهيدرات، لكن يبقى النظام الكيتوني الغذائي أكثر تقييدا بالنسبة لغالبية الأفراد، ويبدو اتباع النظام الغذائي منخفض الكربوهيدرات أكثر احتمالا على المدى الطويل.

كميات مضبوطة

ضمانات لصحة أفضل

الحميات النباتية الصحيحة صحية لجميع مراحل الحياة وتحتوي على جميع العناصر الغذائية اللازمة للحصول على صحة جيدة

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

عدوى التغيير المكرر للمدربين تضرب كبار أوروبا

الإطاحة بكوفاتش تفتح الباب أمام وجوه معهودة لتدريب بايرن

أثارت مسألة عدم الاستقرار الإداري لبعض الفرق الكبرى في أوروبا ردود فعل قوية وطرحت تساؤلات حول ظاهرة التغيير المتكرر للمدربين التي أصبحت تطبع عمالقة أوروبا في المواسم الأخيرة، فيما يرى محللون رياضيون أن الأزمة لا تتوقف عند حدود الإقالات وتغيير المدربين بل تتعدى ذلك إلى ظاهرة أكثر إيلاما حول نفس الوجوه المكررة التي يعاد توزيعها مع كل أزمة تضرب هذا الفريق أو ذاك وإقالة مدربه.

برلين – فتّحت إقالة الكرواتي نيكو كوفاتش من تدريب بايرن ميونيخ الألماني الأسبوع الماضي والأسماء المطروحة لخلافته عيون الكثير من المحللين الرياضيين والمهتمين بأخبار كبار الدوريات الأوروبية والفرق الناشطة بأعرق المسابقات في أوروبا على الكثير من الأسئلة الحارقة والأطروحات التي يتأجل طرحها مرات ومرات. وكان من بين هذه الأسئلة وأكثرها إثارة للاهتمام: أليس من الأجدر البحث عن مدربين جدد في القارة الأوروبية عوض الوجوه التي يتم تدويرها بين الأندية والفرق الكبرى مع كل أزمة يقع فيها هذا الفريق أو ذاك؟ ما هي الأسباب الحقيقية التي أوقعت بعض الأندية الكبيرة في مطبات أزمة النتائج في السنوات الأخيرة؟ وكيف يتمّ تشريحها لفهم ظاهرة تغيير المدربين التي باتت شبيهة ببعض الدوريات في البلدان "الصاعدة كرويا"؟ هل تعاني هذه الفرق من أزمات مادية بدّدت حاجتها إلى تغيير داخلي هي أشد ما تكون بحاجة إليه مع مرور كل فترة انتقالات؟

هذه الأسئلة وغيرها تناولها المحللون بالدراسة والتحليل لفهم ظاهرة تغيير المدربين التي باتت سؤالا مطروحا في أكثر من نادٍ أوروبي كبير يعرف بطابع الاستقرار الذي ميّز إدارته الفنية طيلة سنوات مضت على غرار بايرن ميونيخ الألماني وريال مدريد الإسباني ويوفنتوس الإيطالي ومانشستر يونايتد وتوتنهام الإنكليزيين وغيرها من الفرق العملاقة المحسوبة على كبريات الأندية العالمية.

ثورة على المدربين

يذهب بعض المحللين إلى التساؤل عن تلك الحاجة الملحة إلى فهم هذا "البراديغم" الذي يحرّك نشاط بعض الأندية في التعاقد مع مدرب جديد بسبب سوء النتائج أو تعثر الفريق في مسابقة أوروبية ما، عوض قراءة الأسباب الأساسية والوقوف على أبرز المعوقات الحقيقية التي أوقعت الفريق في هذا المطب. فيما يعتبر آخرون أن المسألة تخضع لتقييم داخلي ولقاءات دورية بين المسؤولين في إدارات هذه الأندية لجرد حصيلة هذا المدرب أو ذاك محليا وقاريا ومن ثمة اتخاذ القرار المناسب بشأنه بالإقالة أو البقاء. بينما يعتبر شق ثالث أن هذه الظاهرة تستمد قوتها من النتائج الحاصلة في بعض الأندية والتي تحدد مستقبل هذا المدرب أو ذاك إن كان بالسلب أو الإيجاب، وهي أمور طبيعية لا محالة، فبغياب النتائج من الطبيعي أن تتم إقالة هذا المدير الفني وتغييره بآخر يكون أقدر على رفع التحدي.

لكن في مقابل هذه التحليلات تطرح ظاهرة تغيير المدربين أسئلة محيّرة لبعض المهتمين بدراسة الدواعي الموضوعية لاتخاذ قرار الإقالة، لأن المدرب هو جزء من منظومة كبيرة تشمل اللاعبين والإطار الطبي والإداري والأكاديميات الصغرى التي تجهز اللاعبين وغيرها من المكونات التي تيسّر اشتغال هذه المنظومة ككل، لكنه يبقى المسؤول الوحيد في نهاية المطاف وهو من يتحمل المسؤولية في حالة الفشل.

وبالتوازي مع هذا الطرح، يرى بعض المحللين أن النجاح والفشل أمران متلازمان ويتحتم التعامل معهما بنفس الكيفية، ويتساءل هؤلاء لماذا تتم المباركة والإشادة بهذا المدير الفني أو ذاك في حال التتويج ورفع الألقاب وعندما يصبح الفريق في أزمة تتجه أصابع الاتهام مباشرة نحوه؟ ويستدل أصحاب هذا الرأي على ذلك بمثال ريال مدريد الإسباني الواقع تحت نيران أزمة النتائج، وهو من كان قبل سنوات قليلة ماضية يتربع على عرش القارة الأوروبية بطلا بلا منازع بفضل المدير الفني الفرنسي زين الدين زيدان الذي بات من بين الأسماء اللامعة في عالم التدريب، لكنه يعيش فترة صعبة هذا الموسم مع الفريق الإسباني الذي فقد هويته بعد رحيله عنه في 2018. هل الأزمة في المدرب أم في بعض الوجوه التي كانت من الركائز الأساسية ولم يقدر الريال على تعويضها أمثال البرتغالي كريستيانو رونالدو؟

ظاهرة اعتيادية

بالمثل يعيش بايرن ميونيخ الألماني نفس الظرفية تقريبا رغم أن العملاق البافاري سجل في سنوات قليلة مضت فترة انتعاشة حقيقية مع المدرب المخضرم يوب هاينيكس الذي قرر اعتزال التدريب نهائيا في 2013 وعندما استنجد به بايرن بعد فترة مخيبة مع كارلو أنشيلوتي عاد من جديد في 2017 ليضع الفريق على السكة الصحيحة ويغادر.

يراهن البعض على أن المسألة أكثر من كونها أزمة نتائج، هي عدوى باتت مفاعيلها تشق صفوف الأندية الكبرى مع كل خيبة قارية يقع فيها هذا الفريق أو ذاك وسرعان ما تتم التضحية بالمدرب كأول من يدفع الفاتورة بالاستغناء عن خدماته بجرّة قلم.

وباتت عدوى انتقالات المدربين بين كبار الدوريات الأوروبية بمثابة ظاهرة اعتيادية في السنوات الأخيرة. وتتخلل هذه الانتقالات دعوات صريحة تنفخ في السيرة الذاتية لهذا المدرب أو ذاك لإبرازه بين الأكثر ترجيحا لتولي منصب على رأس هذه الإدارة الفنية أو تلك. ويبرز بين هؤلاء المدرب البرتغالي جوزيه مورينيو أو من يطلق عليه لقب "السبيشل وان" والمرشح بين قائمة طويلة لخلافة كوفاتش في بايرن. وتدرج مورينيو بين العديد من الأندية وخبر جلها تقريبا في السنوات الأخيرة، ومرّ بين معظم الدوريات الأوروبية ليستقر به الحال خارج أسوار مانشستر يونايتد بعد سوء النتائج.

مدرب آخر يبرز كمثال للمدير الفني الرحالة هو الإيطالي كارلو أنشيلوتي الذي تولى قيادة بايرن في موسم 2016–2017 ولم تعمر رحلته مع الفريق طويلا بسبب سوء النتائج.

وبالمثل يضرب مسار مشابه مانشستر يونايتد الإنكليزي الباحث عن هويته هو الآخر في الموسمين الأخيرين وتغيب عنه روح الفريق القتالية التي عرفت عن "الشياطين الحمر" في مختلف المسابقات المحلية والقارية بعد مسلسل النتائج السيئة مع جوزيه مورينيو ورحيله بنهاية الموسم الماضي لتكتمل بقية حلقاته المخيبة مع أولي غونار سولسكاير الذي استلم الفريق في نهاية الموسم الماضي ولا يزال يبحث عن طريق التعافي من خيبة النتائج فيما يطمح جاره الآخر توتنهام هوتسبير إلى استعادة تعافيه هو الآخر رغم الأخبار والتقارير التي تكاد لا تتوقف عن بحث الفريق المستمر عن خليفة للأرجنتيني ماوريسيو بوكيتينو.

ومع رحيل كوفاتش عن تدريب بايرن بدأ النادي البافاري مجددا رحلة البحث عن المدير الفني الجديد لتولي المسؤولية خلال الفترة المقبلة.

وأقال بايرن مدربه الكرواتي الأحد الماضي بعد أكثر من عام تقريبا على توليه المسؤولية ليعيد إلى الأذهان ذكريات الإطاحة بالإيطالي كارلو أنشيلوتي قبل عامين بطريقة مشابهة.

وتجلى المستوى المتراجع لبايرن في الآونة الأخيرة من خلال المباراة التي خسرها الفريق أمام آنتراخت فرانكفورت 1–5 السبت الماضي بالدوري الألماني (بوندسليغا) وهي الهزيمة التي كلفت كوفاتش منصبه مع الفريق رغم قيادته بايرن إلى ثنائية الدوري والكأس في الموسم الماضي.

ويتشابه رحيل كوفاتش في هذا التوقيت مع رحيل أنشيلوتي عن تدريب الفريق في خريف عام 2017 حيث أقيل في أواخر سبتمبر 2017 بعد الهزيمة 0–3 أمام باريس سان جرمان الفرنسي في دوري الأبطال الأوروبي.

سيناريو مشابه

على غرار كوفاتش، لم يستمر أنشيلوتي كثيرا في تدريب بايرن حيث تعاقد معه في يوليو 2016 وفاز معه بلقب البوندسليغا في أول موسم له مع الفريق، لكن هذا لم يكن كافيا للإبقاء عليه.

كما تشابهت بيانات النادي بعد فسخ التعاقد مع كوفاتش مع نظيرتها إثر الإطاحة بأنشيلوتي في 2017 .وقال حسن صالح حميديتش المدير الرياضي لبايرن في تصريحات على موقع النادي بالإنترنت، "ننتظر الآن تطورا إيجابيا من لاعبينا" وهو نفس التصريح الذي أدلى به كارل هاينز رومينيغه الرئيس التنفيذي للنادي عقب إقالة أنشيلوتي في 2017.

وكان أنشيلوتي بحاجة إلى التعامل مع سخط اللاعبين البارزين الجالسين على مقاعد البدلاء وهي المشكلة التي واجهت كوفاتش أيضا. وكانت وسائل الإعلام الألمانية أشارت إلى أن كوفاتش لم يحظ بدعم وتأييد كامل من لاعبي الفريق.

ولم يسبق لإدارة بايرن أن شعرت بالرهبة في التعامل مع مثل هذه الحالات حيث ضمت قائمة المدربين الذين أطاح بهم النادي البافاري قبل انتهاء عقودهم أسماء كبيرة منها أوتو ريهاغل وأوتمار هيتزفيلد وفيليز ماجات ويورغن كلينسمان ويوب هاينكس.

وكان الإسباني بيب غواردیولا، الذي يتولى تدريب مانشستر سيتي الإنكليزي حاليا، من بين عدد قليل للغاية من المدربين الذين رفضوا تجديد عقودهم مع الفريق ورحلوا عن بايرن برغبة منهم وليس نزولا عند رغبة النادي.

وربما تكون إدارة نادي بايرن تعلمت الدرس مما حدث في 2009 عندما خسر الفريق أمام فولفسبورغ 1–5 حيث أبقى النادي على المدرب كلينسمان لخمس مباريات أخرى قبل أن يضطر في النهاية إلى فسخ عقده.

وأسند النادي مهمة الإشراف المؤقت على الفريق إلى المدرب المساعد هانزي فليك حيث قاد الفريق في مباراتيه أمام أولمبياكوس اليوناني الأربعاء الماضي بدوري أبطال أوروبا ثم أمام بوروسيا دورتموند السبت بالدوري الألماني.

وجوه مكررة

يتساءل بعض الدارسين لانتقالات المدربين بين الأندية الكبرى عن الجدوى من ظاهرة التغيير التي باتت تطبع الكبار مع نفس الوجوه المكررة التي يتم تداولها بين هذا النادي أو ذاك في السنوات الأخيرة.

وباتت نفس الأسماء تقريبا تطرح مع كل إطاحة بمدرب في الفرق الكبرى، حيث تميل الكفة لصالح هذا أو ذاك من الجالسين على مقاعد الانتظار مثلهم مثل اللاعبين الذين ينتظرون جولة الميركاتو وإن كان بصيغة باتت اعتيادية في الكثير من الأحيان.

وإضافة إلى المثال الذي يبرز حديثا ويتلخص في وضعية بايرن ميونيخ الألماني رغم أن أمثلة كثيرة تفسر هذه الظاهرة التي تكررت في الموسمين الأخيرين، كان آخر فصولها الرحيل غير المتوقع لمدرب تشيلسي ماوريسو ساري إلى يوفنتوس الإيطالي بعد الإقالة المفاجئة لماسيميليانو أليغري وغيرها من مفاجآت انتقالات المدربين التي باتت متوقعة في كل لحظة في الدوريات الأوروبية العملاقة، يتزايد الحديث مؤخرا عن مصير غامض لأكثر من مدير فني أبرزهم زين الدين زيدان وإرنستو فالفيردي في برشلونة والريال وأولي غونار سولسكاير وماوريسيو بوكيتينيو في مانشستر يونايتد وتوتنهام الإنكليزيين.

وبالمقابل يبرز من بين المرشحين لخلافة كوفاتش في إدارة بايرن بعض الوجوه المكررة التي خبرتها ملاعب كرة القدم العالمية لفترات طويلة على غرار أرسين فينغر وماسيميليانو أليغري والبرتغالي جوزيه مورينيو. كما يبرز بين المرشحين كل من لاعبي بايرن السابقين الإسباني تشابي ألونسو والهولندي مارك فان بوميل وميروسلاف كلوزه الذي يتولى التدريب حاليا بقطاع الناشئين في النادي، إضافة إلى بوتكيتينو مدرب توتنهام الإنكليزي.

لكن بايرن أكد أنه سيمنح نفسه بعض الوقت للبحث عن بديل جيّد لكوفاتش وسيستغل فترة توقف مسابقة البوندسليغا لدراسة المسألة بتروّ أملا في الخروج باختيار صائب.

وقال رئيس النادي الألماني أولي هونيس، إن مسؤولي النادي "سيفكرون بهدوء في الطريقة الملائمة لمعالجة هذا الأمر". وأضاف "أعتقد أنه من الآن حتى المباراة المقبلة خارج ملعبنا ضد دوسلدورف (في 23 نوفمبر بعد فترة التوقف الدولية) خلال ثلاثة أسابيع، سنعرف كيفية حل مسألة المدرب".

> الأسماء التي دخلت دائرة الترشيحات عبّر البعض منها عن رغبته في عدم ترك ناديه أو أعفى نفسه من خوض هذه المغامرة في حين غمز البعض الآخر بالإعلان عن جاهزيته فيما اكتفى طرف ثالث بدور المراقب بانتظار قرار الحسم

وفي مقابل هذه الأسماء التي دخلت دائرة الترشيحات، فإن البعض منها عبّر عن رغبته في عدم ترك ناديه أو أعفى نفسه من خوض مثل هذه المغامرة، في حين غمز البعض الآخر بالإعلان عن جاهزيته لقيادة العملاق البافاري، فيما اكتفى طرف ثالث بدور المراقب بانتظار قرار الحسم الذي ستصدره إدارة بايرن ميونيخ عن هوية المدرب الجديد.

وأكد الألماني توماس توخيل مدرب باريس سان جرمان أنه "لا يمكن أن يفكر ولو لدقيقة في أي نادٍ آخر". وبدوره حسم أليغري موقفه من قيادة بايرن ميونيخ خلال الموسم الحالي عبر تصريح لشبكة "سكاي سبورت ألمانيا" أعلن فيه رفضه للعرض الذي حصل عليه من جانب إدارة بايرن ميونيخ لخلافة كوفاتش.

فيما قدم الفرنسي أرسين فينغر إجابة مبهمة حول إمكانية توليه تدريب بايرن ميونيخ خلفا للكرواتي نيكو كوفاتش، بينما أكد مقرب من أحد المرشحين لقيادة بطل الدوري الألماني لكرة القدم في المواسم السبعة الأخيرة، رالف رانكيك، أنه غير مهتم.

نهاية متوقعة

> عدوى انتقالات المدربين بين كبار الدوريات الأوروبية باتت ظاهرة اعتيادية، وتتخلل هذه الانتقالات دعوات صريحة تنفخ في السيرة الذاتية لهذا المدرب أو ذاك لإبرازه بين الأكثر ترجيحا لتولي منصب على رأس هذه الإدارة الفنية أو تلك

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

صراع فاصل يطبع قمة الجولة بالدوري الإنكليزي

سيتي يسعى للفوز وتقليص فارق النقاط وليفربول للهروب أكثر

يعيش الدوري الإنكليزي على وقع جولة استثنائية ستتحدد ملامحها، الأحد، في لقاء قمة منتظر بين المتصدر ليفربول ومطارده المباشر مانشستر سيتي، والفائز فيه سيكون رابحا على قاعدة تعزيز عدد النقاط بالنسبة للأول والهروب في الصدارة وتقليص الفارق بالنسبة للثاني إلى ثلاث نقاط ومواصلة الضغط على المتصدر أكثر.

منافسة شرسة

ليفربول – يدخل ليفربول الباحث عن لقبه الأول في بطولة إنكلترا لكرة القدم منذ ثلاثة عقود، مباراة فاصلة على ملعبه، الأحد، ضد بطل الموسمين الماضيين مانشستر سيتي، آملا في استغلال نقص الخط الدفاعي للأخير لتحقيق فوز يعزز به صدارته.

ومنذ لقبه الأخير في الدوري الإنكليزي عام 1990، اختبر ليفربول العديد من المحطات التي بدت فيها كأس البطولة في متناول لاعبيه، قبل أن تجري الرياح على عكس ما تشتهي سفن ملعب أنفيلد.

لكن الملعب الأسطوري في كرة القدم، سيكون، الأحد، على موعد مع موقعة في المرحلة الثانية عشرة من الدوري الممتاز، يأمل المضيف بقيادة مدربه الألماني يورغن كلوب في أن يخرج منها بتوسيع الفارق البالغ ست نقاط حاليا (31 مقابل 25)، عن مطارده بقيادة الإسباني بيب غواردیولا.

وستحضر أمام ليفربول ومشجعيه، ذاكرة الموسم الماضي الذي شهد جمع فريقهم رصيدا مذهلا من النقاط (97 نقطة)، دون أن يكفي لمنحهم لقبا طال انتظاره، إذ أنهوا الدوري بفارق نقطة واحدة فقط خلف سيتي. وتلقى ليفربول في الموسم الماضي خسارة وحيدة في الدوري، كانت بضيافة فريق مدينة مانشستر (2–1) في الثالث من يناير 2019.

ولا تزال هذه الخسارة الأخيرة لليفربول في الدوري المحلي منذ ذلك الحين.

وقال غواردیولا في تصريحات، الجمعة عشية المباراة، "في الموسم الماضي فزنا بلقب الدوري الإنكليزي الممتاز على حساب أقوى منافس واجهته في مسيرتي" التي شملت تدريب برشلونة الإسباني وبايرن ميونيخ الألماني. وأضاف "حاليا ليفربول هو أقوى فريق في العالم. نعرف ما يعنيه اللعب في أنفيلد بالنسبة إليهم وبالنسبة إلى كل من يواجههم".

وصنع كلوب انقلابا في الملعب التاريخي للنادي الأحمر. ومنذ توليه المسؤولية في خريف العام 2015، أعاد الألماني الفريق إلى مصاف الكبار في إنكلترا وأوروبا، وتوّج صعوده التدريجي الثابت بلقب دوري الأبطال في الموسم الماضي للمرة السادسة في تاريخ النادي.

وبات الفريق منافسا دائما على لقب إنكلترا، وإن كان لا يزال يسعى إليه. الخسارة الأخيرة أمام سيتي هي الوحيدة في آخر 50 مباراة من الدوري.

وفي أنفيلد، يبدو ليفربول فريقا مستعصيا على الخسارة. ويعود سقوطه الأخير في الدوري الإنكليزي على هذا الملعب إلى أبريل 2017.

أنفيلد أيضا هو الملعب الذي حقق عليه الفريق الأحمر "ريمونتادا" تاريخية في نصف نهائي دوري الأبطال في الموسم الماضي، بإسقاط برشلونة ونجمه الأرجنتيني ليونيل ميسي برباعية نظيفة، بعد خيبة الخسارة بثلاثة أهداف نظيفة على ملعب كامب نو في المدينة الكتالونية ذهابا.

> **ستحضر أمام ليفربول ومشجعيه ذاكرة الموسم الماضي الذي شهد جمع فريقهم رصيدا مذهلا من النقاط (97 نقطة) دون أن يكفي لمنحهم لقبا طال انتظاره**

لكن سيتي ليس فريقا سيئا بدوره. فهو أحرز لقب الدوري الممتاز مرتين توالیا، وفي 2017–2018 تلقى خسارة على يد ليفربول (4–3) كانت الأولى له في الموسم، تلتها أخرى يتيمة أمام الغريم الآخر مانشستر يونايتد.

ونمت المنافسة بين الفريقين بشكل كبير، وشهد الموسم ما قبل الماضي أيضا خروج سيتي على يد ليفربول من دوري الأبطال الأوروبي، بخسارة إجمالية قاسية في مباراتي الذهاب والإياب (5–1).

وفي سياق المديح المتبادل بين الفريقين والمدربَين، اعتبر كلوب أن المنافسة الثنائية "تكبر وتكبر (..) مانشستر سيتي فريق كرة قدم جيد جدا. الحمد لله أن ثمة منافسة، لأن هذا يعني أننا لسنا في موقع سيء".

وأضاف "ستكون مباراة كبيرة بين فريقين جيدين (..) النبأ الأفضل بالنسبة إلينا هو أنها ستكون في أنفيلد".

والفارق هذا الموسم أن عثرات سيتي تبدو أكبر مما كانت عليه في الموسمين الماضيين. وبعدما أنهى الموسم الماضي بأربع هزائم، تلقى سيتي نصف عددها حتى الآن (أمام نوريتش سيتي وولفرهامبتون) في المباريات الـ11 الأولى فقط (من أصل 38 مرحلة يتألف منها الدوري).

وفي المقابل، لا يزال ليفربول الفريق الوحيد الذي لم يتلق أي خسارة في إنكلترا، مع عشرة انتصارات وتعادل واحد قبل المرحلة الثانية عشرة.

وعلى الرغم من أن الفريق حقق انتصارات وجمع نقاطا صعبة في الشهر الماضي (فوز متأخر على أستون فيلا، تعادل متأخر مع مانشستر يونايتد..)، فإنه سيكون، الأحد، أمام فرصة استغلال جانب يحاول غواردیولا جاهدا تحسينه منذ توليه المسؤولية في 2016، ألا وهو خط الدفاع.

فسيتي سيدخل مباراة، الأحد، في غياب حارس مرماه الأساسي البرازيلي إيدرسون المصاب، لينضم إلى المدافع الفرنسي إيمريك لابورت الغائب لفترة مطولة، بينما يجهد الظهير الفرنسي بنجامان مندي لاستعادة مستواه بعدما أبعدته الإصابة لفترات مطولة خلال الموسمين الماضيين.

وعلى الرغم من ذلك، يقلل غواردیولا من شأن فارق النقاط الست في مرحلة مبكرة نسبيا، لاسيما وأن ليفربول سبق له التفريط في الصدارة في مرات سابقة. وقال الإسباني الذي خسر في ثلاث من زياراته الأربع السابقة إلى أنفيلد "الأمر (اللقب) لا يحسم أبدا في نوفمبر".

وتابع "الأمر أصعب بالطبع في مواجهة ليفربول، الفريق الذي خسر مرة واحدة فقط في الموسم الماضي ولا يزال دون هزيمة هذا الموسم"، مضيفا "لذا يمكنه أن تتوقع أنهم لن يخسروا العديد من المباريات، لكن الموسم لا يزال طويلا، ويمكن للعديد من الأمور أن تحدث".

وخلافا للصراع التكتيكي بين المدربين فما هو أكيد أنه ستتخلل هذا اللقاء عدة مواجهات ثنائية في خط الهجوم سيقدمها نجمان شابان يتشاركان قميص المنتخب الإنكليزي، الأول هو الظهير الأيمن لليفربول ترنت ألكسندر–أرنولد، وجناح سيتي رحيم ستيرلينغ الذي سبق له الدفاع عن ألوان الفريق الأحمر.

وصنع ألكسندر–أرنولد لنفسه دورا أساسيا لاسيما من خلال اختراقاته على الأطراف وقدراته على توفير كرات عرضية متقنة للثلاثي المصري محمد صلاح والسنغالي ساديو مانيه والبرازيلي روبرتو فيرمينو.

وفي مقابل ذلك، ينتقد البعض ألكسندر–أرنولد على المساحات التي يتركها خلفه في المنطقة الدفاعية، والتي قد تصيب فريقه في مقتل، مع تمتع سيتي بلاعب سريع ماهر على الجهة اليسرى هو سترلينغ (24 عاما).

وانتقل الأخير من ليفربول إلى الفريق الأزرق عام 2015 في صفقة قدرت بخمسين مليون جنيه إسترليني، لكنه لم يتمكن منذ ذلك الحين من هز شباك فريقه السابق كلما حل ضيفا في أنفيلد. هل يكون هذا الموسم مختلفا، لاسيما وأن ستيرلينغ هو أفضل مسجل لفريقه في مختلف المسابقات، وهز الشباك 18 مرة في 20 مباراة مع ناديه والمنتخب؟

أما في خط الدفاع فسيكون التنافس بين لاعب الارتكاز البرازيلي فابينيو الذي يحظى بأهمية محورية في خطط مدربه الألماني يورغن كلوب في المقابل، يحضر البلجيكي كيفن دي بروين صاحب الأداء المحوري في منتصف ملعب سيتي.

وحقق تشيلسي انتصارا ثمينا على كريستال بالاس بهدفين دون رد، السبت، في المباراة التي أقيمت على ملعب ستامفورد بريدج. وبتلك النتيجة ارتفع رصيد تشيلسي إلى 26 نقطة، ليرتقي إلى المركز الثاني مؤقتا، بينما تجمد رصيد كريستال بالاس عند النقطة 15 في المركز التاسع. وكان واتفورد قد حقق أول فوز له هذا الموسم، الجمعة، إثر تغلبه على مضيفه نوريتش سيتي بهدفين نظيفين في افتتاح المرحلة الثانية عشرة من بطولة إنكلترا لكرة القدم.

هناك خلف الأضواء

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

دوري إيطاليا هذا الموسم يبدو مختلفا عن المواسم السابقة، يبدو أكثر إغراء وإثارة، الكالتشيو هذا الموسم بدا وكأنه يستعيد "شبابه" وحماسة السنين الخوالي.

هذا الدوري لاح أكثر غبطة وبهجة وكأنه بدأ يخطو نحو التعافي والنهوض من جديد بعد فترة من الركود والتراجع دامت مواسم عديدة.

وما ساعد "الكالشيو" على استعادة متعته هو النجاح المتصاعد في استقطاب عدد من نجوم العالم، ربما كانت نقطة التحول في الموسم الماضي عندما "أغوت" السيدة العجوز إحدى أساطير هذا الزمان فتعاقدت مع "الدون" كريستيانو رونالدو الذي ملأ الدنيا كلها في إيطاليا فور قدومه.

قدوم رونالدو حفّز بقية الأندية للتعاقد بدورها مع نجوم "سوبر"، فكان إنتر ميلان أكثر الناشطين هذا الموسم، فنجح في جلب العملاق البلجيكي روميلو لوكاكو وظفر بتوقيع النجم التشيلي البارز أليكسيس سانشيز.

الأمر المؤكد حاليا وحسب خبراء الدوري الإيطالي، فإن استعادة بعض الأندية للبعض من عافيتها المالية بعد امتلاكها من قبل مستثمرين أجانب ستساعد بلا ريب في استقدام نجوم عالميين آخرين على مدار المواسم القليلة المقبلة.

سيغدو الدوري الإيطالي أكثر قوة، ستعود الأندية هناك عاجلا أم آجلا إلى الواجهة الأوروبية، سيكون هناك نجوم كثر ولاعبون سوبر من شتى أصقاع العالم يريدون تنشيط الكالتشيو.

ستملأ أخبارهم كل وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، لكن هناك موقع لنجوم لم يصنع منهم الإعلام نجوم الصف الأول؟ هل بمقدور اللاعبين المحليين أن ينجحوا في مزاحمة الكبار والتفوق عليهم؟

نعم بكل تأكيد، فنجم نادي لاتسيو تشيرو إيموبيلي يحمل الإجابة الشافية التي تثبت أن البحث خلف الأضواء قد يؤدي إلى العثور على الكنوز المدفونة.

إيموبيلي هجرته الأضواء، لكنه فرض نفسه نجما، استطاع أن يفجر كل طاقاته ويثبت أنه الأفضل إلى حد الآن، نعم إنه الأفضل بين جميع المهاجمين، والأرقام تؤكد ذلك.

تشيرو يقود صدارة هدافي الدوري الإيطالي، لقد نجح في تسجيل 13 هدفا بعد مرور 11 جولة فقط، هداف لاتسيو يتقدم بأربعة أهداف عن أقرب ملاحقيه.

أوروبيا يعتبر إيموبيلي الهداف الثاني في مختلف المسابقات بعد ليفاندوفسكي خاصة وأنه سجل هدفين في الدوري الأوروبي. لكن الأهم من كل هذه الأرقام هو أن تشيرو يواصل تألقه اللافت مع لاتسيو لموسم جديد، فرغم تقدمه نسبيا في العمر بما أنه يبلغ حاليا من العمر 29 سنة إلا أن "العتيق" يزداد ألقا، وهذا اللاعب أثبت أن التقدم في العمر لا يساوي شيئا في معترك "النجومية".

تشيرو أثبت أنه اللاعب الرئيسي في فريقه، أكد أيضا أنه يستحق مكانا دائما في تشكيلة المنتخب الإيطالي الذي نجح في العودة إلى الأضواء في تصفيات أمم أوروبا وحقق نتائج لافتة بقيادة هداف لاتسيو.

أما الأخير فإنه اتخذ منذ بداية مسيرته مكانا بعيدا عن الأضواء، ربما الظروف والأقدار قادته إلى الارتكان في المكان، لكنه تألق فيه واستطاب المقام هناك دون بهرج النجومية الزائفة.

فمسيرة تشيرو بدأت متقلبة وصعبة، بدأت تحديدا مع اليوفي حيث علّق عليه الجميع آمالا عريضة لكنه لم يقدر على تفجير طاقاته بسبب قوة المنافسة.

اضطر مكرها بعد ذلك إلى اللعب لعدة مواسم معارا مع أندية مختلفة، فالأمور لم تسر مثلما يريد هذا اللاعب، قبل أن تكون تجربته مع تورينو حاسمة ومفصلية في مسيرته.

فتشيرو الذي قدّر له أن يكون نجم الصفوف الخلفية، لعب لفائدة فريق لا ينافس على الألقاب. لقد حكمت عليه الظروف، لكنه نجح في تطويعها لفائدته، فتألق مع هذا الفريق وحقق نجاحا جلب له بعض الاهتمام.

في عالم كرة القدم فإن الأندية القوية والمعروفة عادة ما تبحث عن لاعبين لديهم جينات التألق حتى وإن لم يكونوا نجوما، ويبدو أن بوروسيا دورتموند الألماني وجد في إيموبيلي هذا النموذج.

حرص على التعاقد معه، وكان له ما أراد، لكن من عبث الأقدار فإن اللاعب الإيطالي، يبدو أنه أصر على ألا يتخذ مكانا دائما ضمن دائرة النجوم البراقة.

لم ينجح في تجربته الألمانية، لم يقدر على الصمود فغادر سريعا ليبحث عن وجهة جديدة، ليخوض تجربة قصيرة مع إشبيلية.

تجربة كانت بمثابة محطة عبور للعودة مجددا إلى إيطاليا، عاد ليتخذ مكانه المحبذ، هناك خلف الأضواء وبعيدا عن الضغوط، فاستماله نادي لاتسيو وراهن على فطرته التائقة للتألق مع أندية الصف الثاني.

هناك في العاصمة الإيطالية روما، حدث المنعرج الأهم في مسيرة هذا اللاعب، لقد بات أشبه "بماكينة" أهداف، أصبح يتمتع ويمتع، فقاد لاتسيو إلى تحسين نتائجه بشكل ملحوظ طيلة المواسم الماضية.

أما اليوم ومن موقعه خلف الكواليس ووراء أضواء النجومية والشهرة، كسر إيموبيلي كل الأعراف وأثبت أن التألق ليس حكرا على "نجوم الشباك".

بلماضي يرشح محرز لجائزة أفضل لاعب أفريقي

الجزائر – يرى جمال بلماضي مدرب المنتخب الجزائري أن مواطنه رياض محرز، لاعب مانشستر سيتي، يستحق جائزة أفضل لاعب في أفريقيا هذا العام.

وقال بلماضي، السبت في تصريحات صحافية خاصة، "في اعتقادي محرز الأجدر بالجائزة، غالبا ما يجري التركيز على اللاعبين الأفارقة، الذين يسجلون أهدافا حاسمة أو يصنعونها برفقة أنديتهم، لكن إذا كان هناك وقت لتتويج لاعب جزائري بالجائزة فهو الآن، بعد فوزه بكأس أمم أفريقيا".

وأضاف "مانيه قال في تصريح سابق، لو طلبوا مني استبدال كأس أمم أفريقيا بلقب دوري أبطال أوروبا، لوافقت على الفور.. هو يقول ذلك لأنه يعلم قيمة التتويج بهذا اللقب القاري، فهناك عدة لاعبين كبار، على غرار دروغبا، حققوا كل شيء مع أنديتهم وفشلوا في التتويج بالكان".

وعن إمكانية تتويج الجزائر بلقب أمم أفريقيا 2021، للمرة الثالثة في تاريخها، قال بلماضي خلال زيارته إلى مسقط رأسه مدينة مستغانم، حيث حظي بتكريم رسمي وجماهيري "أعتقد أن الحديث عن ذلك سابق لأوانه".

وأردف "ما زلنا لم نبدأ التصفيات، ولا يمكننا استباق الأحداث، المهم بالنسبة لنا هو مواصلة حصد الانتصارات، وإسعاد الشعب الجزائري الذي يضع علينا آمالا كبيرة، ويستحق منا الكثير من التضحيات".

> **بلماضي يرى أن هدف الجزائر الأساسي بلوغ نهائيات أفريقيا 2021 قبل التفكير في كأس العالم ومواصلة العمل وتسيير المرحلة المقبلة مباراة بمباراة**

وختم بلماضي "هدفنا الأساسي بلوغ نهائيات أفريقيا 2021، قبل التفكير في كأس العالم، علينا مواصلة العمل وتسيير المرحلة المقبلة مباراة بمباراة، من أجل تفادي الوقوع في أخطاء الماضي".

وأقيم حفل استقبال بسيط على شرف بلماضي بمسقط رأسه حيث تم منحه وساما شرفيا وشهادة شكر وتقدير عرفانا بالمجهود الكبير الذي حققه مع المنتخب وإحرازه للقب أفريقيا.

وتوجه بلماضي بعدها للمشاركة في مباراة ودية استعراضية برفقة أبناء مسقط رأسه ضد قدماء لاعبي مستغانم. واحتفت الجماهير التي حضرت بالمدرب حيث صفقت له طيلة المباراة.

بارتي تكتسح كارولين في كأس ديفيز

برث (أستراليا) – أثبتت الأسترالية آشلي بارتي أنه يمكن الاعتماد عليها دائما، بعد أن سحقت كارولين غارسيا لتساعد بلادها في التعادل 1–1 مع فرنسا في نهائي كأس ديفيز للتنس لفرق السيدات في افتتاح منافسات الفردي، السبت.

وتلقت أستراليا ضربة مبكرة بعد أن تقدمت فرنسا بفوز ساحق لكريستينا ملادينوفيتش على منافستها أيلا توملیانوفيتش 1–6 و1–6، لكن بارتي الشرسة ساوَت بين الكفتين بعد أن اكتسحت غارسيا 0–6 و0–6 في ملعب برث وسط حماس جماهيري.

وستعود بارتي إلى اللعب، الأحد، في الفردي والزوجي إذا تطلب الأمر، في ظل سعي أستراليا إلى تحقيق اللقب لأول مرة خلال 45 عاما.

وقالت بارتي بعد أن حققت فوزها العاشر على التوالي في الفردي بكأس الاتحاد "لم أكن أتمنى مباراة أكثر مثالية من هذه. ربما تكون أفضل مباراة في حياتي".

وأضافت "يا له من مكان رائع لتحقيق هذا الانتصار. إنه مذهل".

وكسرت ملادينوفيتش إرسال توملیانوفيتش مبكرا وحسمت المجموعة الأولى خلال 38 دقيقة لتمضي نحو الانتصار الذي أحبط أصحاب الضيافة في بداية المواجهة وعزز آمال فرنسا في تحقيق اللقب لأول مرة منذ 2003.

وقالت بارتي عن هذه المباراة "النتيجة واضحة. كريستينا كانت متحكمة وفرضت سيطرتها في الملعب. أعتقد أنني سأواجه تحديا أمامها غدا لإبعادها عن الشعور بالراحة".

مردود ثابت للبطلة

العرب
الأحد 2019/11/10
السنة 42 العدد 11524

الاحتجاجات اللبنانية تصبح مصدر رزق للباعة المتجوّلين

لم تكن ساحات التظاهرات وسط بيروت مكانا للاحتجاج على غلاء المعيشة فحسب، بل حولها بعض الشباب إلى مصدر رزق بنشر عرباتهم المتجوّلة بين صفوف المحتجين، ونجحوا في الحصول على ما عجزوا في السابق عن تحصيله من مال.

بيروت – تفوح روائح الجبن الذائب من داخل الكعك على الفحم، وعرانيس الذرة والفول على عربات باعة متجوّلين أنهكتهم الأوضاع الاقتصادية ووجدوا مصدر رزق جديد لهم في وسط بيروت، حيث يتجمع بشكل يومي تقريبا آلاف المتظاهرين.

يتوافد الباعة إلى ساحتي الشهداء ورياض الصلح بعد ظهر كل يوم بدءا من السادسة، أي في الوقت الذي يبدأ فيه تدفق المشاركين في الاحتجاجات غير المسبوقة والمتواصلة في البلاد منذ 17 أكتوبر الماضي. وكان بينهم إبراهيم الذي يقول "الثورة أصبحت بالنسبة إلينا مصدر رزق جديد، وفي الوقت نفسه نتظاهر مع الناس"، في إشارة إلى تأييده لمطالب الحراك الشعبي.

ويبيع إبراهيم (27 عاما) الكعك يوما والذرة والفول في يوم آخر. يراقب من بعيد المكان الذي خبّأ فيه أغراضه خوفا من أن تكتشفها القوى الأمنية وتصادرها، لأن وقوف العربات في المكان ممنوع.

وأضاف الشاب العشريني أنه يعمل أصلا في تركيب الجبس في ورش البناء، موضحا "انتقلنا إلى هنا لنعمل مع بدء الاحتجاجات بعدما لاحظنا وجود أعداد كبيرة من الناس. هذا أفضل من البقاء من دون عمل"، مشيرا إلى أن عمله تراجع كثيرا منذ أشهر جراء ركود يشهده قطاع البناء.

ويوافق بائع الذرة والفول، عماد حسن سعد، الذي يطلق على عربته اسم "عربة الثورة"، على أن الاحتجاجات باتت "مصدر رزق جديد"، مؤكدا أن "البيع هنا أكثر لأن كثافة الناس أكثر".

ويساعد عماد ثلاثة شبان، لتلبية طلبات الزبائن؛ أحدهم يقشر حبات الليمون، ويقوم الثاني بتقطيعها بسرعة على لوح خشبي، أما الثالث فيسحب عرانيس الذرة من ماء يغلي في قدر كبير على نار قوية، ويحضّر الأطباق ويقدمها إلى الزبائن.

وأفاد إبراهيم أن كل بائع "يجني ما بين 35 و40 دولارا أميركيا، إذا كان البيع جيدا".

وأكدت فريال شمص، إحدى المتظاهرات، "أنا أشجعهم لأن أحدا لا يعرف" الظروف المعيشية التي يعانون منها.

وتحمل المتظاهرة دانا زيات طبق فول بيديها وتقول "تجمّع الناس هو فرصة لهؤلاء الشباب ليتمكنوا من العمل ولو لفترة مؤقتة". وتضيف صديقتها جنى خزعل "هذه الثورة فتحت مجالا للعمل للشباب الفقراء الذين غير القادرين على استئجار محلّ".

ويكثر خصوصا في الساحة بائعو الكعك، والكعكة في لبنان هي طعام الفقير. على الرغم من ذلك، لم يكن أحدهم قادرا على بيع ما يكفي لتأمين قوته قبل "الثورة".

وقال بائع كعك رفض ذكر اسمه "في اليوم الأول للاحتجاجات كان بحوزتي كعك وتنقلت في مناطق عدة لكنني لم أتمكن من بيعها، فنصحني أصدقائي بأن أحاول بيعها في وسط بيروت ونجحت ولا أزال أعمل".

واعتاد بعض المتظاهرين المصرّين على مواصلة تحركهم حتى تحقيق مطالبهم، بعد الهتافات وإقامة حلقات رقص وغناء للتأكيد على سلمية تحركهم، الجلوس في ساحات الاعتصام وتدخين النرجيلة، وتناول الطعام وأحيانا لعب الورق لتمضية الليل في المكان.

أماكن استرزاق جديدة

وتجمّع عدد من الشباب والشابات حول امرأة مسنّة، تجلس على الأرض وتضع أمامها وروداً حمراء للبيع. يسألونها عن أسباب وجودها حتى وقت متأخر في وسط العاصمة. تجيب بصوت خافت إن الفقر والعوز دفعاها إلى القدوم إلى هنا أملة في إيجاد مصدر رزق أفضل. ويتحمس الشباب من حولها لمساعدتها، يعرضون عليها الحلول.

صباح العرب

عدلي صادق

بلا حسد

في كل سنة، تعلن المنظمة الدولية للتعاون الاقتصادي والتنمية، قوائم الدول المتفوقة في مجال الرعاية الصحية، وذات النسب الأعلى في معدلات الإنفاق عليها. وللأسف تخلو كل هذه القوائم من أسماء الدول العربية الأكثر استخداما للعبارة القدرية "إن الأعمار بيد الله". ذلك علما بأن الغالبية العظمى من دول العالم المتقدمة في الرعاية الصحية، وكذلك شعوبها، تعرف وتُقرّ بأن الأعمار بيد رب العالمين، أيا كان وصف واسم الرب الذي تؤمن به. لكنها تتخذ كل التدابير لإبعاد شبح الموت ما استطاعت، ثم تحمد الله على سلامة الناجين، فلا تحذو حذو الدول المتخلفة، فتداري خيبتها، بالحديث عن الموت الحق والتذرّع بالأقدار!

جداول الدول المتقدمة في الرعاية، إنفاقا وعلاجا، هي بمثابة لوائح شرف، بقطع النظر عن السلوك السياسي للدول. فإسرائيل الباغية سياسيا، تحتل مراكز متقدمة في كل الجداول، وهذا الذي يجعل أعدى أعدائها حين يمرض، يتوسل "تحويلة طبية" إلى مستشفياتها. ولأن موضوع الرعاية الطبية شديد الأهمية، وهو صنو الحياة، فإن جداول منظمة التعاون "OECD" مصنّفة حسب أنواع الأمراض. وللدول نفس عدد الأسرّة في مستشفياتها، لكل ألف إنسان، جدول يحدد مراكزها، كما أن للنوبات القلبية، التي يصل مصابوها إلى المستشفيات خلال ثلاثين يوميا؛ قائمة تحدد مراكز الدول التي نجحت في إنقاذ المصابين!

كوريا الجنوبية حلّت في المركز الأول في عدة جداول، أما الولايات المتحدة فلم تحظ بهذا المركز إلا في جدول واحد. واليابان التي لا تزال حزينة على ضربها بالنووي الأميركي، حصلت على أكبر نصيب من المراكز الأولى. فالمسألة لا تتصل بالقوة العسكرية والقدرات الصاروخية. أما إسرائيل، فقد حصلت على المركزين الثاني والثالث عالميا، في التصدي لنوعين من السرطانات. لكن ما يحزننا أكثر من الضرب بالنووي، هو أن أقطارنا العربية كلها، ظلت خارج الجداول، ومن المسلمين حصل الأتراك، على مراكز متأخرة في نصف القوائم الست، التي تقف كلها عند الـ35. فالجداول قصيرة، لأن ما بعدها، سيكون لدول تدنى جدا نسب الإنفاق الحكومي على الرعاية الصحية وتختل العدالة في تعيين حقوق الناس في الطبابة!

الأقطار العربية، لم يكن لها في الجداول نصيب، بالرغم من وجود مستشفيات حديثة فيها، ربما بسبب أن معظم المستشفيات الخاصة، مشروعات ربحية استثمارية، ليست في متناول المريض الفقير، وغير مدرجة في مفردات الإنفاق الحكومي.

ليتهم يستبدلون هذه الجداول، بأخرى فاضحة ومحرجة للدول التي فيها مستشفيات تقتل مرضاها. لكي لا تصيبنا ذميمة الحسد، لمن احتلوا جداول ليس لنا فيها نصيب!

الأقدام مقاس «33» ورقة رابحة من أجل زواج جيد

باريس – يغوص معرض باريسي في علاقة الجسم بالأحذية، التي رغم أنها باتت توفر راحة أكبر لا تزال تفرض قيودا على الإنسان بحسب الموضة الرائجة.

ويتناول معرض "مارش إي ديمارش" تاريخ الأحذية في متحف الفنون الزخرفية في باريس.

ويقول مؤرخ الموضة ومفوض المعرض دوني برونا إن الفكرة أتت من حذاء انتعلته ماري أنطوانيت في العام 1792 وكان مقاسه 33. وثمة نماذج أخرى عن أحذية ارستقراطيين وبورجوازيين كبار في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لا تزيد مقاساتها عن ذلك.

ويتساءل "كيف تمكنوا من إدخال أقدام بالغين في أحذية بهذا الصغر؟"، ويرد قائلا "أفراد الطبقات الراقية لم يكونوا يمشون بل يبقون قابعين في منازلهم. فمواجهة الوحول وبرك المياه والنفايات كان حكرا على الطبقات الشعبية وأقدامهم الكبيرة".

ومن العروضات دليل حول علاج الأرجل يعود إلى العام 1802 يوصي "بربط أصابع القدمين بأربطة" للحصول على أقدام جميلة. وكان الجيل الراقي في مطلع العشرينات يتمتع بأقدام نحيفة لأنه كان ينتعل أحذية في الطفولة قياسه أصغر بنقطتين.

وتقليد القدم الصغيرة مصدره الصين حيث كان يتمّ ثني أصابع القدم تحت باطن القدم لدى الفتيات اعتبارا من سن الخامسة.

وأضاف برونا "كانوا (الصينيون) لا يترددون أحيانا في كسر العظام بواسطة عصا حديدية من أجل زيادة التقوس. وكان الوضع الأمثل التوصل إلى قياس 26 كحدّ أقصى في سن البلوغ مع قدم على شكل برعم زهرة لوتوس". وتابع "كانت الفتيات يعتبرن أن القدم الصغيرة ورقة رابحة من أجل زواج جيد".

وقد بدأت راحة الأحذية تتحسن اعتبارا من النصف الثاني من القرن العشرين فقط.

وخلال العرض الأخير للأزياء الراقية من دار "ديور" في يوليو، عمدت المصممة الإيطالية ماريا غراتزيا كيوري إلى عدم استخدام الكعوب العالية مصممة أحذية مؤلفة من نعل لاصق بالجوارب.

وترى المصممة أنه من الناحية الأنتروبولوجية، تشكل الكعوب العالمية "تطورا معاصرا لتقاليد أقدام اللوتوس الصينية".

ويدعو المعرض الزوار إلى تجربة أحذية بكعوب شاهقة والمشي بها استنادا إلى حواجز. وثمة فسحة مكرسة لمشاهد شهيرة في أفلام سينمائية من بينها مشية مارلين مونرو الشهيرة أو جان مورو وهما تنتعلان كعوبا شاهقة.

تشارليز ثيرون تكرم على مسيرتها الجريئة

لوس أنجلس – كرّمت الممثلة الجنوب أفريقية، تشارليز ثيرون، لمسيرتها "الجريئة" قد تناولت فيها مواضيع منها التحرش الجنسي قبل فترة طويلة من قيام حركة «مي تو»، بمنحها جائزة "أميركن سينماتك" السنوية في نسختها الثالثة والثلاثين ببيفرلي هيلز.

وقالت ثيرون "أنا متأثرة بشدة.. أحتاج إلى مشروب".

وقد أثبتت ثيرون موهبتها من خلال دورها كمومس وسفاحة في "مونستر" وفازت عن أدائها بجائزة أوسكار أفضل ممثلة في العام 2004.

وأكد جيسون ريتمان مخرج فيلمي "يونغ أدولت" و"تالي" اللذين شاركت فيهما ثيرون "إنها أجرأ ممثلة عملت معها على الإطلاق وربما من أكثر البشر الذين قابلتهم جرأة".

وأوضحت تشارليز أن تأديتها لدورها الشجاع كعاملة مناجم شنت حملة عنيفة على التحرش الجنسي في فيلم "نورث كانتري" في العام 2005، جاء في وقت تغاضت فيه هوليوود عن هذه القضايا.

وقد رشحت للفوز بجائزة أوسكار ثانية عن هذا الدور. وبعد عقد من ذلك، اجتاحت حركة «مي تو» هوليوود.

وجائزة "أميركن سينماتك" هي "جائزة تقديرية في منتصف المسيرة المهنية"، سبق أن فاز بها توم كروز.

عيادة لعلاج إدمان الألعاب الإلكترونية في أبوظبي

أبوظبي – يستعد المركز الوطني للتأهيل لافتتاح عيادة خارجية هادفة إلى علاج إدمان الألعاب الإلكترونية في العام المقبل.

وقال حمد الغافري، مدير المركز، إنهم يعتزمون افتتاح عيادة خارجية لعلاج إدمان الألعاب الإلكترونية وذلك في المقر الرئيسي للمركز بأبوظبي.

وكانت منظمة الصحة العالمية قد أدمجت إدمان الألعاب الإلكترونية ضمن تصنيفها الدولي للأمراض.

وكان المركز قد استضاف، الجمعة، في أبوظبي أعمال الاجتماع السادس للسلوكيات الإدمانية وتأثيراتها على الصحة العامة وذلك للبحث في إدمان الألعاب الإلكترونية والأعراض الصحية وسبل التشخيص وبرامج التأهيل.

وأكد الغافري "شهدنا خطوة مهمة بإضافة إدمان الألعاب الإلكترونية إلى التصنيف الدولي للأمراض من منظمة الصحة العالمية حيث أسهمت هذه الخطوة في تعميق فهمنا لهذه الظاهرة سواء في الإمارات أو حول العالم".

وتستهدف العيادة علاج المدمنين على استخدام الإنترنت والألعاب الإلكترونية، باستخدام مقياس إدمان الإنترنت لليافعين.

أحيت مدينة نابلس الفلسطينية، أمس، ذكرى مولد النبي محمد (ص) بتوزيع أصحاب المحال التجارية الحلوى على الزبائن والمارة، كما جابت فرق تسمى "العدة" تتبع الطرق الصوفية شوارع المدينة، مرددة المدائح النبوية، على وقع قرع الطبول والدفوف. ويحتفل المسلمون في جميع أنحاء العالم بمولد النبي.

مطعم أسكتلندي يرفع عن زبائنه حرج الموعد الغرامي الأول

إدنبرة – يتيح مطعم في مدينة إدنبرة الأسكتلندية لكل زبائنه، خيار دفع مبلغ الفاتورة بالتساوي بين الطرفين، للتخلص من إحراج "أول موعد غرامي".

وعلى الراغبين في الاستفادة من هذه السياسة الهادفة لمكافحة أي إحراج قد يتعرض له المتواعدان في المراحل الأولى من علاقتهما العاطفية، يستطيعان طلبها عند الحجز بالمطعم بواسطة الهاتف أو عبر موقعه على شبكة الإنترنت.

وفي حال اختيار دفع الفاتورة بالتساوي، فإنه عند وصول النادل إلى الطاولة، سيقدم فاتورتين لكل طرف، على أن يدفع كل منهما نصف القيمة.

وبحسب صحيفة "ذا إندبندنت" البريطانية، فإن غاري هاردنغ، مدير المطعم وصف هذه السياسة الجديدة بأنها "اتفاقية القرن الـ21".

وقال هاردنغ "قد تسبب الفاتورة عند وصولها حوارات غير مريحة بين الطرفين في موعدهما الغرامي الأول، لذا قررنا أن تكون تلك مسؤوليتنا من أجل التخلص من ذلك الإحراج، نحن نحب أن نعمل بشكل مختلف، ولا يوجد مطعم في المدينة يوفر مثل هذه الأمور". وأكد أن "دفع الفاتورة بالتساوي" أمر اختياري وليس إجباريا بالنسبة لزبائن المطعم.